السبت 22 تشرين الأول 2022
العدد 4758 السنة السابعة عشرة
Samedi 22 Octobre 2022 nº 4758 17ème année

24 صفحة
10000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

المانيفستو الشيوعي
إعادة قراءة

«الموساد» يستهدف «إكس حزب الله»

تجنيد في الخارج وطلب العودة إلى الحزب [4]

سبعة مصارف: إما سيولة جديدة أو تصفية؟
عون يتفق مع الأسد على ترسيم بحري قريب [2]

لا تأمن تل ابيب ان تكون للتعاون العسكري بين موسكو وطهران، تبعات غير طيبة على مسار علاقاتها بالروس، خصوصاً ان هولاء تتزايد حاجتهم الميدانية إلى اسلحة غير تقليدية (أ ف ب)

البلاد

نبض الضفة
عدي
كلّ الكلام
[12]

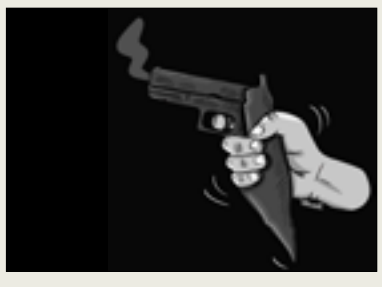

أهل الأرض
«جيروعة» فلسطين
في موسم الزيتون
[15]

تقرير
ثالث رئيس وزراء خلال شهرَين
المنقذ البريطاني لا يأتي
10

قضية اليوم

هوكشتين يحمل التواقيع قبل الجمعة... والقبارصة إلى بيروت بعدها

عون اتّصل بالأسد: حوار قريب للترسيم البحريّ

لبنان يطلب من قبرص تعديل الإحداثيات وإلغاء الخط 1 بعدما ثبت الخط 23

بالرئيس السوري بشار الأسد، وناقش معه العلاقات الثنائية وملف ترسيم الحدود البحرية، واتفقا على تشكيل وفود رسمية من الوزارات والإدارات الرسمية في البلدين، لعقد اجتماعات في بيروت ودمشق من أجل التوصل سريعاً إلى اتفاق، خصوصاً أن نقاط النزاع ليست من النوع غير القابل للعلاج، وإن كانت تحتاج إلى نقاش تقني وقانوني. وأكد عون والأسد أن المباحثات اللبنانية – السورية حول ملف ترسيم الحدود ستتم من دون أي وسيط وأن ما يتفق عليه الطرفان سيتم توثيقه كمعاهدة بين بلدين ولا يكون شبيهاً في أي حال من الأحوال بما جرى مع إسرائيل، لا لناحية وجود وسيط أميركي أو حاجة إلى ضمانات أممية أو دولية ولا إلى تفاوض غير مباشر. وقد باشرت الجهات المعنية في البلدين إعداد الأوراق الخاصة بالإحداثيات والخطوط الخاصة بالمناطق الاقتصادية الخالصة لكلا الجانبين.

وفي جانب متصل، تلقّى لبنان رسالة رسمية من وزارة الخارجية القبرصية، تستعجل إطلاق الحوار بين الجانبين لإعادة ترتيب الأمور بين البلدين في ضوء ما تمّ التوصل إليه بين لبنان وكيان الاحتلال. وقد ذلك برنامج العمل الجديد المتعلق بتصحيح الحدود البحرية بين لبنان وقبرص وترسيم الحدود البحرية بين لبنان وسوريا.

وعلمت «الأخبار» أن الرئيس ميشال عون أجرى قبل يومين اتصالاً تثبيتها لدى الأمم المتحدة.

وقالت مصادر معنيّة، إن المسألة العالقة مع قبرص باتت محصورة في نقل الإحداثيات التي كانت قائمة على أساس ما تصرّف به العدو من طرف واحد عندما اعتمد الخط 1، إلى الإحداثيات الجديدة بعد تثبيت الخط 23 من قبل الجانبين اللبناني والإسرائيلي. والنقاش التمهيدي القائم حالياً يدور حول ما إن كانت هناك ضرورة لمفاوضات ولو شكلية أو تقنية مع الجانب القبرصي، أو يتم الاكتفاء برسالة يبعث بها الرئيس عون إلى نظيره القبرصي ويطلب فيها تعديل ملحق اتفاقية 2007 من حيث إحداثيات الحدود. وما يسمح تالياً باستبدال المستند المرفق، دون حاجة إلى أي مباحثات. كما يصار إلى الطلب من السلطات القبرصية إبلاغ إسرائيل نتيجة التفاهم الجديد مع لبنان، وبالتالي مطالبة قبرص بتعديل اتفاقها مع إسرائيل بناءً على النقاط الجديدة المثبتة مع لبنان.

لقاء الناقورة

في هذه الأثناء، ينتظر لبنان وصول الوسيط الأميركي في ملف الطاقة عاموس هوكشتين إلى بيروت الثلاثاء أو الأربعاء المقبلين. ويفترض أن يتم حسم الموعد الدقيق وفقاً لاتصالات يجريها هوكشتين مع الحكومة الإسرائيلية التي أبلغت المعنيين في واشنطن أنها ستكون جاهزة لتوقيع الأوراق في يوم الأربعاء أو الخميس المقبلين، وقد تولّى الوسيط الأميركي إبلاغ لبنان بأنه لا يتوقع أي مفاجآت من نوع قانوني أو سياسي تؤخر توقيع حكومة يائير لابيد على الأوراق الخاصة بالتفاهم.

وفي حال تم الأمر، فإن الرئيس عون سيصدر الثلاثاء المقبل قراراً باختيار الشخصية التي سوف تمثل لبنان في لقاء الناقورة، حيث يفترض أن يحصل الآتي:

أولاً: يُعقد لقاء في غرفتين منفصلتين، تجمع الأولى الوفد اللبناني مع مندوبين عن الأمم المتحدة وعن الإدارة الأميركية، وتجمع الثانية الوفد الإسرائيلي مع مندوبين عن الأمم المتحدة وعن الإدارة الأميركية.

ثانياً: بعد أن تكون الولايات المتحدة قد أرسلت إلى لبنان رسالة موقّعة من قبل هوكشتين، بصفته ممثلاً الحكومة الأميركية، وتتضمّن ما يُعتبر "نقاط التفاهم" بين لبنان وإسرائيل على حدود المناطق الاقتصادية الخالصة للجانبين. يكون لبنان قد أعدّ رسالة جوابية تشتمل على إشارة إلى الرسالة الأميركية وأن لبنان موافق على مضمونها.

ثالثاً: ينتظر لبنان أن يعلن الوسيط الأميركي أولاً، تسلّمه التوقيع الإسرائيلي على الرسالة الجوابية على نسخة مطابقة من الرسالة المرسَلة من قبله إلى لبنان، ثم يجري التوقيع وتسليم الرسالة الجوابية إلى هوكشتين في الناقورة.

رابعاً: يرسل لبنان وإسرائيل رسالتين منفصلتين إلى الأمم المتحدة، تشتملان على إشارة إلى بنود التفاهم وإيداعها لدى المنظّمة الدولية التي يُفترض بها ممارسة دور الضامن لعدم خرق التفاهم من قبل الطرفين، ويجري تثبيت الإحداثيات الخاصة بالحدود البحرية.

وفي هذا السياق، لا يكون لبنان بحاجة إلى إرسال مرسوم جديد، لأنه سبق أن أودع الأمم المتحدة نسخة عن المرسوم الذي يثبّت الخط 23، بينما سيكون العدو مضطراً لإرسال مرسوم جديد يتضمن إقراراً منه بالتراجع عن الخط 1 الذي كان قد أودعه سابقاً لدى الأمم المتحدة، على أن تقر إسرائيل بأن الخط 23 هو الخط الجديد.

وبانتظار وصول الوسيط الأميركي، يدرس الرئيس عون لائحة مرشحين لتولي رئاسة الوفد اللبناني إلى الناقورة، مع ميل إلى تسمية ضابط من الجيش اللبناني أو موظف مدني في وزارة الطاقة لتولي المهمة، علماً أن الولايات المتحدة تفضل بأن يكون رئيس الوفد ذا صفة سياسية رسمية، خصوصاً أن حكومة العدو كانت قد قرّرت في وقت سابق أن يكون رئيس وفدها إلى الناقورة هو مستشار الأمن القومي أيال حالوتا الذي كان لابيد قد كلّفه حصراً بإدارة المفاوضات قبل الإعلان عن التوصل إلى تفاهم مع لبنان بوساطة أميركية. وليس معلوماً إن كان العدو سيعيد النظر في مستوى تمثيله في الناقورة ربطاً بقرار لبنان.

(الأخبار)

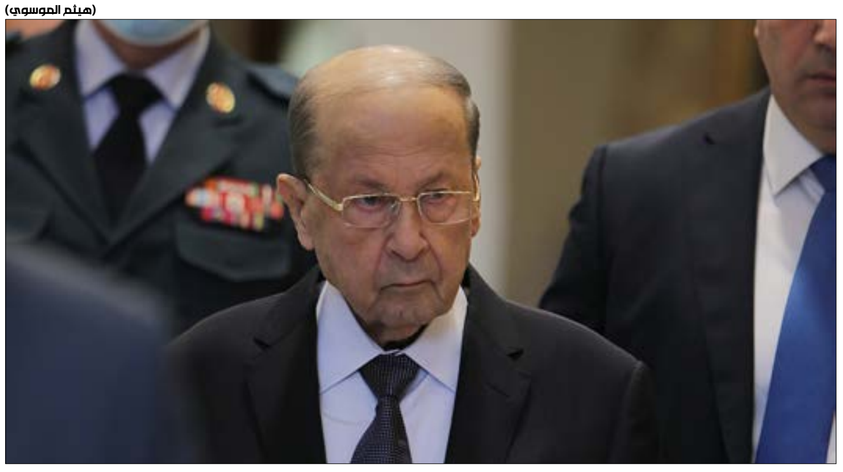
(هيثم الموسوي)

في الواجهة

آخر مفاوضات الحكومة: مَن يَصْدق ومَن لا يَصْدق؟

لم يعد في التداول السياسي سوى سؤال واحد هو الأكثر اهتماماً بالأيام التسعة المتبقية في عمر ولاية الرئيس ميشال عون: تولد الحكومة الجديدة قبل تبادل الرسائل المرتبطة بترسيم الحدود البحرية مع اسرائيل الخميس المقبل أم بعدها أم لن تولد أبداً؟

نقولا ناصيف

قد لا يكون ثمة مثيل، وليس سابقة فحسب، للمفاوضات غير المباشرة الدائرة من حول تأليف الحكومة دونما ان تقترن بأي اتصال مباشر بين المرجعين الدستوريين المعنيين وهما رئيسا الجمهورية والحكومة، وإن في الأيام القليلة الأخيرة في عمر الولاية. لم يعد اي من طرفَي التفاوض يريد الآخر ينحني له تسليماً بخسارته امامه فقط، بل المطلوب كسره والوقوع معاً في الهاوية وليس الرقص على حافتها. لا يفضي ذلك سوى الى الفوضى. العبارة المألوفة وقد اصبحت ملازمة تقريباً كل استحقاق رئاسي، كما كل شغور، منذ ايلول 1988.

كلا الرئيس نجيب ميقاتي ورئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل المفترض أنه يفاوض باسم رئيس الجمهورية وباسم كتلته المسيحية الممثلة في الحكومة، يدوران من حول شرطين فقط لا يسع احد تبرير المغزى الفعلي لهذا الاشتباك ومآله: اصرار باسيل على ان يكون سيد التصرف بحقائب حصته في مقابل اصرار ميقاتي على ربط اي تبديل بالحقائب بمنح حكومته الثقة. لم يعد يُعرف فعلاً في الحكومة القائمة اي ضوابط تسيّرها: رئيسها يقايض المقعد الكاثوليكي في حصته (الوزيرة نجلا رياشي) بالمقعد السنّي في حصة باسيل (الوزير امين سلام) من اجل ان يحتفظ بالحصة السنّية، دونما فقدانه تأثيره في مقاعد مسيحية اخرى. عندما يطلب رئيس الحكومة التخلص من وزيرين يصعب عنده التعاون معهما، يسهل احدهما لفقدانه الظهير كالمقعد الدرزي (الوزير عصام شرف الدين) ويستحيل الآخر بسبب ظهيره كالمقعد الماروني (الوزير وليد فياض). ليست المقايضات فحسب مادة التبادل والتناحر: يريد باسيل مقعدين كاثوليكي وماروني في المتن وجزين ارضاء لاثنين من مرشحيه خسرا في انتخابات ايار هما ادي معلوف وامل ابوزيد.

الأكثر عجباً في ما يدور في المفاوضات غير المباشرة كثرة الوسطاء: المدير العام للأمن العام اللواء عباس ابراهيم ووفيق صفا عند باسيل الاربعاء، ثم عند ميقاتي الخميس، صفرا اليدين بينهما. لغز الوساطة التي قيل ان الوزير وليد نصار يقودها: ميقاتي يقول ان الاول وسَطه لديه. ليست الحال احسن في ما يصل الى النائب علي حسن خليل وحسين الخليل من معلومات ونقل رسائل. مرة ينقل عن رئيس الحكومة انه في غنى عن ثقة باسيل وكتلته بحكومته، ومرة يشترطها ثمن تبديل في ثلاث حقائب. على خط الشرطيين المستعصيين دخل اخيراً عامل ثالث كان تردد يخجل قبل اسابيع، كما لو انه جسّ نبض ثم اختفى بعد استمزاج آراء قضاة كبار، ثم عاد في الايام الاخيرة الى الصدارة، وهو اصدار الرئيس ميشال عون قبل مغادرته قصر بعبدا، في الربع الساعة الاخير ربما، مرسوم قبول استقالة حكومة ميقاتي. صلاحية منوطة دستورياً به منفرداً، تذكّر بمرسوم ربع الساعة الاخير الذي اصدره عام 1988 الرئيس امين الجميّل بترؤس عون حكومة عسكرية انتقالية قبل ولوج الشغور الرئاسي الاول. كلا المرسومين، الذي صدر قبل 34 عاماً او الجاري الكلام على صدوره الآن، اجراءان دستوريان لوظيفة سياسية من شأنها ان تفرض امراً واقعاً في نهاية المطاف يتخطى النص والاجتهاد المحيطين بها. يراد بذلك لمرسوم قبول استقالة الحكومة ان يكون اللاعب غير المحسوب الذي يدخل في المواجهة ويعيد خلط الادوار والاوراق، من غير ان يستبعد التلويح بالفوضى او التسبب بها حتى. بانتهاء الانتخابات النيابية في ايار المنصرم، اضحت حكومة ميقاتي في حكم المستقيلة حكماً عملاً بالمادة 69 من الدستور. هي بذلك لا تحتاج الى موافقة رئيس الجمهورية على قبولها، لانها الاستقالة واقعة بحكم الإلزام الدستوري وليست منبثقة من ارادة رئيسها او حجب الثقة عنها او استقالة اكثر من ثلث اعضائها. مع ذلك، طبقاً للعُرف، قبلها رئيس الجمهورية وطلب من رئيسها تصريف الاعمال الى حين تأليف حكومة جديدة، واجرى من ثم استشارات نيابية ملزمة لتسمية رئيس مكلف للحكومة، على ان يصدر مرسوم قبول الاستقالة بالتزامن مع مرسومي تسمية رئيس الحكومة وتأليفها، فتصبح الحكومة المستقيلة عندئذ منعدمة الوجود. حتى الوصول الى هذا الموعد تبقى تصرّف الاعمال، مكتسبة قانونية تسييرها المرافق العامة.

> «الحكومة القانونية كما الواقعية تمارس صلاحيات الرئيس ما خلا حل المجلس وتوجيه رسائل اليه»

في فحوى ما يقول به المنادون بصدور مرسوم قبول استقالتها، في معزل عن صدور المرسومين الآخرين المفترض انهما ملازمان له، انه يبطل وجودها لتصريف الاعمال حتى، ويجعلها منعدمة الوجود، وتالياً تصبح البلاد خارج اي ادارة او مرجعية للمرافق الرسمية. ذلك ما حصل تماماً الرابعة فجر 5 تشرين الثاني 1989 عندما اصدر عون، رئيس الحكومة العسكرية الانتقالية، مرسوم حل مجلس النواب للحؤول دون التئامه في الساعات التالية من اجل ما كان يُعدّ له سراً وتسرّب قبل ساعات قليلة، وهو انتخاب نائب زُغرتا رينه معوض قبل ظهر ذلك اليوم في مطار القليعات. رمى حل البرلمان سلفاً الى ابطال انتخاب معوض لصدوره عن مرجعية منحلة، لكنه قاد ايضاً الى إحداث شغور دستوري ثانٍ في السلطة الاشتراعية بعد شغور رئاسة الجمهورية. بيد ان حجم الدعم الدولي والاقليمي المعطى يومذاك لاتفاق الطائف فرض امراً واقعاً معاكساً، هو ان اعاد مجلس النواب، المحلول دستورياً دونما ان يكون كذلك شرعياً، بناء نفسه بنفسه بأن انتخب رئيسه وصوّت على اتفاق الطائف وانتخب رئيساً للجمهورية كي تنشأ من القليعات، لا من قصر بعبدا آنذاك، الشرعية الدستورية اللبنانية الجديدة.

اذا صحّ فعلاً ان رئيس الجمهورية في صدد خيار كهذا، مؤدى ذلك انه يذهب في اتجاه إحداث صدمة تتجاوز الصراع الناشب بين ميقاتي وباسيل ليضع النظام برمته في لحظات حرجة وامام امر واقع جديد. بعض النواب القريبين من الرئيس، من خارج تياره، استمزجوا آراء حقوقية لم تُرضهم تماماً، قالت ان الحكومة المستقيلة تستمر في تصريف الاعمال الى حين تأليف حكومة جديدة تفادياً للشغور في السلطات الدستورية العليا.

لم يكن الرأي المُقال هذا سوى تكرار لحديث العهد لما كان استمزج رأيه فيه قبل اكثر من عقدين الرئيس السابق لمجلس شورى الدولة ووزير العدل سابقاً الدكتور جوزف شاوول في 18 آذار 2008، في عزّ شغور رئاسة الجمهورية والنزاع الناشب آنذاك من حول حكومة الرئيس فؤاد السنيورة بين قائل بدستوريتها وطاعن فيها.

قال رأيه ذاك: «يمكن بالفعل ان يمر البلد في حقبة تواجه ازمة خطيرة او ظروفاً استثنائية تتطلب التصويت على قوانين لها طابع العجلة، فلا يمكن التسليم بأن السلطات الدستورية مجردة في هذه الحال من كل الصلاحيات. مرد ذلك الى انه، كما يوجد في القانون الاداري مبدأ استمرارية المرافق العامة (continuté des services publics)، يوجد في القانون الدستوري مبدأ عام لا يقل أهمية عن الاول هو استمرارية مبدأ السلطات العامة (continuté des pouvoirs publics)». يضيف الرأي المستند الى اجتهادات العالم الدستوري الفرنسي Léon Duguit ان «حكومة قانونية كانت أم واقعية في استطاعتها ان تقترح مشاريع القوانين من اي نوع كانت، عادية او دستورية اذا اقتضى الامر في اي من حالات الضرورة القصوى. ومجلس الوزراء المنوط به صلاحيات رئيس الجمهورية وكالة، في استطاعته ممارسة كل الصلاحيات التي يمارسها طبيعياً رئيس الجمهورية باستثناء حل مجلس النواب وتوجيه رسائل الى المجلس».

سبعة مصارف: إما سيولة جديدة أو تصفية؟

محمد وهبة

قالت مصادر مطلعة إن حاكم مصرف لبنان رياض سلامة، ينوي حسم بعض الملفات المصرفية سواء كانت المصارف المعنية محالة إلى الهيئة المصرفية العليا، أم أنها تعاني من قصور ومؤشرات سلبية في السيولة. وبصفته حاكماً لمصرف لبنان وولياً على لجنة الرقابة على المصارف، بنك الاعتماد ورئيساً للهيئة المصرفية العليا، يمكنه أن يقرّر إحالة أي مصرف إلى الهيئة، ويمكنه أيضاً أن يفرض القرار الذي يلائمه فيها. لذا، تشير المصادر إلى أن القرارات التي يتحدّث عنها سلامة تتراوح بين تعيين مدير مؤقّت عليها لتصفيتها، أو إمهالها فترة زمنية قصيرة لا تتجاوز أسبوعين لتسوية أوضاعها قبل اتخاذ قرار بتعيين مدير مؤقّت عليها.

حتى الآن، لم يتّضح بشكل حاسم إذا كانت الهيئة قد أصدرت أي قرار بشأن الملفات الخمسة المعروضة أمامها، وهي: فدرال بنك لبنان، بنك الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، الاعتماد المصرفي، بنك البركة، بنك الاعتماد الوطني. هذه المصارف تعاني من مشاكل متعدّدة، لكنها تعاني من أزمة سيولة محورها الأساسي المؤونات بالعملات الأجنبية المترتبة عليها، والمراكز السلبية بالعملات الأجنبية وقدرتها على تغطية هذه المراكز. المراكز تعني أن هذه المصارف اشترت دولارات لا تملكها ولم يعد بإمكانها الحصول عليها من إيراداتها الضعيفة، بالتالي بات يترتب عليها أن تغطّيها عبر زيادة في رأس المال. والمؤونات هي المبالغ التي تستخصصها المصارف من رأسمالها لتغطية خسائر مترتّبة عليها من سندات اليوروبوندز، أو من توظيفاتها لدى مصرف لبنان، أو من قروض القطاع الخاص. يمكن أن تكون لدى هذه المصارف خسائر إضافية من محاور أخرى، إنما المهم كيف سيتم التعامل محاسبياً مع هذه الخسائر في ظل تعددية أسعار الصرف؟ وهذا الأمر الذي يثار اليوم على اعتبار أن المصارف لا يمكنها زيادة رساميلها إذا كانت خطة الحكومة ستذيب كل الرساميل منذ الآن. فهل هناك أي ضمانة بألا يتم استعمال الزيادة على رأس المال، في إطفاء الخسائر؟

وتردد مصادر في مصرف لبنان أن القرار شبه محسوم بتصفية «فدرال بنك»، لكنه بالنسبة لبقية المصارف أمهلها أسبوعين من أجل تسوية أوضاعها. وتردّد أيضاً أنه قد يتم تعيين الرئيس السابق للجنة الرقابة على المصارف سمير حمود، مديراً مؤقتاً على بنك الاعتماد المصرفي، إلا أنه جرى تأكيد بأن حمّود يعمل مستشاراً هناك منذ فترة من دون أن يحسم أي خبر عن وضعية المصرف الذي التزم سابقاً بإعادة رسملة بقيمة 200 مليون دولار، وتنظيف ميزانية المصرف، علماً بأن مشكلة بنك الاعتماد المصرفي مع لجنة الرقابة على المصارف، تتعلق بخسائره المقوّمة بأسعار صرف متعدّدة.

من بين المصارف المحالة إلى الهيئة المصرفية، فإن بعضها اتخذ تدابير تعيد إحياء ملاءته المالية من خلال إعادة تخمين العقارات التي يحملها في ميزانيته، إلا أنها لا تعالج مشكلة السيولة. وهذا الأمر ينطبق على مصارف ليست محالة إلى الهيئة المصرفية، فعلى سبيل المثال، إن «بنك ميد» لديه محفظة عقارات خمّنها بنحو 300 مليون دولار، لكن لجنة الرقابة على المصارف لم توافق على هذا التخمين لأنه مبالغ فيه برأي رئيسة اللجنة ميا دباغ. تردّد أيضاً أن الحاكم أبلغ مسؤولي بنك ميد بأن عليه تسوية وضعية السيولة خلال أسبوعين، إلا أن مسؤولاً في المصرف قال إن وجود رئيسة مجلس الإدارة ريا الحسن في زيارة لدى الحاكم فسّر بشكل سلبي، لأن المصرف عالج هذه المشكلة أصلاً.

وبحسب المصادر فإن مصرف بنك لبنان والخليج قد يكون عرضة لقرارات قريبة أيضاً، علماً بأن المصرف ليس محالاً إلى الهيئة المصرفية العليا.

وفق مصادر مطلعة، فإن ما يترتب على المصارف لغاية الآن من مراكز قطع مفتوحة (مراكز سلبية بالعملات الأجنبية) يفوق 9 مليارات دولار، وهذا الأمر كاف لوحده أن يفلس المصارف كبرى ومصارف متوسطة، ولا يتعلق الأمر بالمصارف المحالة إلى الهيئة المصرفية العليا حصراً، أو تلك التي تدقق فيها اليوم لجنة الرقابة على المصارف، لأن المشكلة الفعلية هي في العقل الذي يدير عملية إعادة الهيكلة بكاملها، لأنه لا يستهدف الحفاظ على المصارف ضمن رؤية واضحة للمستقبل، بل يريد منها أن تبقى عاملة من أجل إعادة إحياء النموذج الاقتصادي الذي أوصل لبنان إلى حاله اليوم.

هل سلّمت الأطراف المعنيّة بتشكيل الحكومة بالفراغ الحكومي؟

السؤال صار حاضراً بقوة، بعدما دخلت البلاد الأيام العشرة الأخيرة من ولاية رئيس الجمهورية ميشال عون، حيث يتحوّل المجلس النيابي دستورياً إلى هيئة انتخابية لا هيئة اشتراعية. ومع أن مصادر بارزة معنيّة بالملف أكّدت أن «هذا الأمر لن يكون عائقاً كون رئيس المجلس نبيه بري يتصرف على قاعدة الضرورات تبيح المحظورات»، فضلاً عن معيار «استمرارية الحكم»، إلا أنها أشارت إلى أن «المشكلة هي في إخفاق الوسطاء الذين يديرون المفاوضات بين عون ورئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل من جهة والرئيس نجيب ميقاتي من جهة أخرى». وأشارت المصادر إلى أن «المدير العام للأمن العام اللواء عباس إبراهيم لم يقصد عين التينة أمس، إلا لإطلاع رئيس مجلس النواب على الحصيلة السلبية للمشاورات التي امتدّت منذ الأسبوع الماضي حتى الساعات الأخيرة»، وتالياً فإن بقاء الستاتيكو الحالي لفترة طويلة لن يكون مفاجئاً، وربما صار حاجة لأكثر من طرف.

تقديرات المعنيين تتحدث عن أن ميقاتي يتصرّف انطلاقاً من أن لا بديل عنه، وهو يستعين في موقفه على خصوم عون الذين لا يريدون إعطاءه حكومة آخر العهد، تحديداً بري ورئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط، بينما صارَ محسوماً أن عون وباسيل لن يفتحا الطريق أمام حكومة جديدة لا يملك فيها رئيس التيار الوطني الحر الحصة الوازنة التي تجعله شريكاً كاملاً مع حق الفيتو إزاء عدد من الملفات تبدأ بالانتخابات الرئاسية ولا تنتهي بالتعيينات، خاصة بعدَ أن أصبح الفراغ في قصر بعبدا أمراً واقعاً بفعل التطورات الداهمة في المنطقة والعالم، وانتظار النتائج. بينما يبقى حزب الله وحيداً في القتال من أجل الإسراع في قيام الحكومة، وهو يعتقد أن «وجودها في المرحلة المقبلة بما تحمله من

> تبادل الشروط بين ميقاتي وباسيل يعقد الوساطات

مؤشرات سلبية أفضل بكثير من حكومة تصريف الأعمال، تبدأ بصراع دستوري حول تولي حكومة تصريف الأعمال لصلاحيات رئيس الجمهورية ولا تنتهي عند الصراع الطائفي».

وفي هذا الإطار، أشارت المعلومات إلى أن المفاوضات التي تولاها الحزب وإبراهيم لم تُحرز أي تقدّم بسبب الشروط واللاءات المتضادّة وسلّة المطالب التي تختصرها معادلة تقوم على: تمسّك باسيل بتغيير 4 وزراء مسيحيين في الحدّ الأدنى، وإصرار ميقاتي على 3 فقط مع تمسكه بتغيير وزير الطاقة وليد فياض وهو ما لم يلتزم به باسيل. علماً أن هذه المعادلة تُعزّزها عقدة موازية لا تقلّ أهمية عن الخلاف على الحقائب والأسماء وحق كل فريق في تبديل وزرائه، وسمّتها مصادر معنيّة بالتشكيل بـ«أمّ العقد» وتتّصل بموضوع الثقة التي يرفض باسيل أن يُعطيها لحكومة ميقاتي، كما قالت المصادر، وهو أمر «يستغربه حتى حلفاء باسيل نفسه، فلماذا يرفض إعطاء الثقة لحكومة تضمّ وزراء هو من اختارهم وسمّاهم وفرضهم؟»، وقد أشارت المعلومات التي كُشفت عن المداولات الحكومية إلى أن «الأمور تعقّدت عند هذه النقطة»، فقد دفع رفض باسيل لهذا الأمر ميقاتي إلى التشدّد وصار إعطاء الثقة للحكومة شرطاً من شروط ميقاتي الأساسية، إذ أكد أنه مستعدّ لإظهار ليونة في عدد الوزراء الذين سيتم استبدالهم والأسماء أيضاً، لكن ليس قبل التعهّد بإعطاء الثقة.

(الأخبار)

قضية اليوم

هكذا جنّد «الكذّاب» من العراق إلى الصرفند مقابل 3 آلاف دولار

الموساد يستهدف عناصر «إكس حزب الله»

في سياق «الاجتياح الاستخباري» للبنان، مستفيداً من الانهيار الاقتصادي، اكتشف فرع المعلومات توجّهاً جديداً لدى استخبارات العدو. إذ تبيّن من خلال التحقيق مع أربعة موقوفين أنّ الموساد يستهدف التواصل مع عناصر عملوا سابقاً في حزب الله لتجنيدهم، وتكليفهم بالسعي للعودة إلى الجسم التنظيمي للحزب. في ما يأتي قصة الموقوف عباس ع. الذي انتسب إلى حزب الله لسنوات وقاتل في صفوفه قبل أن يجنّده الموساد مقابل 3 آلاف دولار

رضوان مرتضى

(هيثم الموسوي)

«لمين المستقبل؟»، سؤالٌ كان عباس ع. (مواليد 1997) يجيب عليه بعبارة: «المستقبل للشجاع». كانت هاتان العبارتان كلمة السرّ بين العنصر السابق في حزب الله ومشغّله «أدم»، الضابط في استخبارات العدو الإسرائيلي، أثناء التواصل بين صفحة وهمية أنشأها الشاب اللبناني على فايسبوك وصفحة الموساد الرسمية.

في الثالث من آب الماضي، أوقف فرع المعلومات في قوى الأمن الداخلي عباس ع. في بلدة الصرفند، للاشتباه فيه في التعامل مع العدو الإسرائيلي، بناء لإشارة مدعي عام التمييز القاضي غسان عويدات. والموقوف الذي يقيم في بلدة السكسكية، درس اختصاص ميكانيك السيارات لمدة سنتين، قبل أن يتفرّغ للعمل لحّاماً. انتسب إلى حزب الله عام 2014، وخضع لدورات ثقافية وعسكرية. وقال في التحقيق معه إنه شارك في معارك الزبداني في سوريا عام 2016 ضمن اختصاص المشاة، كما شارك في معارك القلمون في اختصاص مضاد للدروع. في عام 2017 ترك الحزب، وعمل في أحد المطاعم في زحلة، قبل أن يتنقّل بين عدد من المهن، وسافر إلى تركيا والعراق بحثاً عن عمل.

> كُلّف الموقوف بالعودة إلى صفوف الحزب وطُلبت منه إحداثيات لمناطق القتال في سوريا

لم يكن التحقيق مع الموقوف سهلاً. فهو لم يكد يجيب على أي سؤال بصدق سوى عن اسمه. حاول مراراً التهرّب من أسئلة المحققين، وقدّم إفادات كاذبة واحدة تلو الأخرى، وفي كل مرة كان المحققون يواجهونه بالدليل الذي يثبت كذبه، كان يخترع كذبة جديدة. في 76 صفحة من صفحات التحقيق، لم يملّ المشتبه فيه بالتعامل مع العدو من المراوغة والكذب، ولم يسأم المحققون من مواجهته بأدلة تكذبه.

بدأت القصة عبر فايسبوك عام 2021 عندما وقع عباس على صفحة تحمل العلمين اللبناني والإسرائيلي مع عبارة «تتضامن مع شعب لبنان». تواصل مع الصفحة عبر «الماسنجر» للسؤال عن إمكان مساعدته في السفر إلى ألمانيا، فتلقى إجابة من شخص عرّف عن نفسه بأنه «رامي»، ثم وصله باخر يدعى «أدم». طلب الأخير من عباس المشغّل بحمايته وتأمينه اقتصادياً وتسديد ديونه وتسهيل سفره وعائلته إلى ألمانيا خلال عامين. وساله أسئلة شخصية عن حياته وعلاقاته وما إذا كان يصلّي، وأبلغه بضرورة حصر التواصل بينهما عبر خاصية الاتصال على تطبيق الواتساب لأنه أكثر أمناً. وطلب منه أن لا يُخبر أحداً بشأن تواصلهما و«ما يتكون إلا مبسوط». وأبلغ الموقوف المحققين أن «أدم» و«رامي» كانا يتحدثان معه «بعربية مكسّرة بشكل غريب». وقال إنه بعدما أبلغ «أدم» بأنه انتسب سابقاً إلى حزب الله وقاتل في صفوفه في سوريا، بدأ التركيز معه على علاقته بالحزب، فأدرك أن «رامي» و«أدم» من جهاز الاستخبارات الإسرائيلي. وكما في كل علاقة تنشأ بين المشغّل الإسرائيلي وأي عميل محتمل، طلب «أدم» من عباس شراء هاتف جديد وتنزيل تطبيقات خاصة بتحديد المواقع وVPN وسكايب وإنشاء بريد إلكتروني جديد. وبواسطة تقنية الـ video call دربه على تحديد المواقع، وذكر الموقوف أن البرنامج أظهر تفاصيل دقيقة لكافة الشوارع والأبنية. كما دربه على كيفية إرسال الإحداثيات من لبنان على أن يظهر أن تلك الرسالة مُرسلة من دولة أخرى. وأفاد بأن أدم أبلغه أنه سيؤمن سفره إلى تركيا أو دبي أو إحدى الدول الأفريقية للخضوع لدورة تدريبية على عدد من الأجهزة الإلكترونية لتعلّم كيفية تحديد المواقع وتعلّم تقنيات جمع المعلومات والإفادة عنها. ولكن عليه ذلك قبل العودة إلى لبنان للتعاقد مجدداً مع حزب الله من أجل إرسال إحداثيات بمواقع تابعة للحزب. وطلب المشغّل الإسرائيلي من عباس تنظيم تقرير مفصّل بالأسماء الثلاثية وأرقام كل من يعرفهم في حزب الله أو على علاقة بالحزب وأعمارهم ومسؤولياتهم، بما في ذلك أسماء أقاربه المنتسبين إلى الحزب أو المقربين منه. كما طلب منه تحديد إحداثيات الأماكن التي تدرّب فيها وتلك التي قاتل فيها في سوريا. واعترف المشتبه فيه بأنه زوّد المشغّل الإسرائيلي بأسماء وأرقام هواتف 12 مسؤولاً وعنصراً من حزب الله.

في كل مرحلة من مراحل التحقيق، كان عباس يحاول إبهام المحققين بأنه قطع التواصل مع الموساد، ولكن في كل مرة كان يتبين كذبه. إذ إن التحليل الفني والتقني لأجهزته الإلكترونية بيّن عدداً من الرسائل والمحادثات بينه وبين مشغله. وبعدما كذب بأنه لم يتواصل مع مسؤولين في حزب الله للعودة إلى صفوفه كما طلب منه آدم، أبرز له المحققون محادثات على تطبيق الواتساب مع ثلاثة مسؤولين من الحزب يطلب فيها مساعدتهم للانتساب مجدداً إلى صفوفه. كذلك تبيّن أن الموقوف أخبر مشغله عن «دورة الأخيار» التي ينوي الالتحاق بها، وأن الموافقة على عودته للانخراط في صفوف الحزب تحتاج بين ستة أشهر وسنة. وفي الأثناء، كان «أدم» يلحّ عليه بضرورة العودة لجمع أكبر قدر من المعلومات عن الحزب من الداخل، وكان يستفسر منه عن تفاصيل عن كل خطوة يقوم بها لضمان عدم مراوغته. وفي إحدى المرات، أبلغ الموقوف مشغّله أنه توسّط مع أحد أقربائه، وهو مسؤول في الحزب، لمساعدته، وأنه قصد فرع المكافحة في حزب الله حيث أخضع لتحقيق على مدى أربع ساعات ليتقدم بطلب استرحام، وأبلغ بأن عليه انتظار الموافقة على الطلب التحضيري والطلب الاستثنائي اللذين تقدم بهما، وأن ذلك يستغرق ثلاثة أشهر. وهنا طلب منه مشغّله بواسطة رسالة أن يجيب بتفصيل ودقة عن كل من الأسئلة التالية: ما اسم مسؤول النقطة وما هو رقم هاتفه؟ ما هو طلب الاسترحام واين توجد وحدة المكافحة في النبطية بالتحديد؟ صف لي بالضبط ماذا فعلت في هذا اللقاء وتفاصيل الطلب الذي قمت بإملائه؟ قلت بأنك تكلمت مع مسؤول في حزب الله من أقاربك، ما اسمه ومتى آخر مرة تكلمت معه فيها؟ قلت إنك تكلمت مع مسؤول آخر في حزب الله لمساعدتك، ما اسمه الثلاثي ورقم هاتفه وماذا يعمل وفي أي وحدة هو؟ قلت إن الإجابة ستأتي خلال ثلاثة أشهر من أجل الرد على طلب الاسترحام، من قال لك ذلك؟.

سيل الأسئلة هذا كان كفيلاً بإخافة العميل لدفعه إلى أن يكون دقيقاً وعدم الكذب كي لا يتم افتضاحه.

خلال التحقيق، وفي كل مرة كان المحققون يواجهون فيها الموقوف بأدلة على كذب إفادته، كان يُجيب مرة بأن الأمور اختلطت عليه، وأخرى بأنه كذب لأنه شعر بالخوف. وفي نهاية التحقيق، قال إنه حاول الإدلاء بإفادات كاذبة وإخفاء بعض الأمور لحماية نفسه كونه موقوفاً بجرم التعامل مع جهاز استخبارات العدو الإسرائيلي وهو ما يعاقب عليه القانون بشدة.

كذب عباس حتى في تواريخ سفره ليتبين من حركة الدخول والخروج أنها مختلفة عمّا أدلى به. وقد تبيّن للمحققين، بعد تأكيده توقفه عن التواصل مع مشغّله، أنه تقدم بالفعل بطلب لإعادة الانتساب إلى صفوف حزب الله، وسعى جاهداً لتحقيق ذلك. كما تبيّن من خلال محادثات تمكن المحققون من استرجاعها أنه كان يُنفّذ حرفياً ما يطلبه منه مشغله الإسرائيلي. ورغم كل هذا التواصل، أبلغ عباس المحققين أنه تقاضى من «أدم» 3 آلاف دولار فقط. «في طريق العودة شربتُ القهوة وتذكرت كلامك وبدأت بالضحك». هذه كانت واحدة من الرسائل التي أرسلها عباس إلى مشغله الإسرائيلي، لكنه أبلغ المحققين أنه لم يعد يذكر السبب!

مقال

جورج عبد الله ومركزية الصهيونية في فرنسا

وليد شرارة

الدولة الفرنسية تريد أن يموت المقاوم اللبناني والعربي جورج عبدالله في زنازينها. هذا هو التفسير الوحيد لإصرارها على بقائه في الأسر بعد 38 سنة على اعتقاله، رغم استيفائه الشروط المطلوبة للإفراج عنه وفقاً للقانون الفرنسي منذ 1999، وإفشالها لقرار محكمة الإفراج المشروط بإطلاقه في 2003، ورفضها المتكرر لجميع طلبات محاميه للإفراج عنه خلال أكثر من عقدين. كما تجاهلت أيضاً مطالبة الرئيس ميشال عون مراراً بإطلاق سراحه، على عكس من سبقه ممن تجاهلوا قضية هذا المناضل وأسقطوها من حسابات علاقاتهم بباريس.

الشراسة المنقطعة النظير التي تبديها الإمبريالية الفرنسية الهرمة حيال قضية عبدالله لا مجال لمقارنتها بتعاملها مع أي من معتقلي التنظيمات التي لجأت للعنف المسلح على الأراضي الفرنسية في سبعينيات وثمانينيات القرن المنصرم، فرنسية كانت أو أجنبية.

لا ريب في أن الولايات المتحدة والكيان الصهيوني ضغطا باستمرار على السلطات في هذا البلد لإبقاء من يتهمونه بالمسؤولية عن تصفية اثنين من عملاء استخباراتهما في 1982 قيد الاعتقال. لكن قرار هذه السلطات بالتجاوب المستمر مع هذه الضغوط هو الذي ينبغي التوقف عنده. ماذا لو توفي المقاوم اللبناني والعربي في السجون الفرنسية بعد مضي كل هذا الزمن وهو الذي يبلغ اليوم الواحدة والسبعين من العمر؟ الدولة الفرنسية هي المسؤولة عن حياته، وهي من سيتحمل تبعات أي مكروه قد يحصل له. في الحقيقة، الموقف الفرنسي الرسمي من عبدالله لا يرتبط فقط بالخضوع لضغوط أميركية وإسرائيلية، وهو ينجم عن تحولات في داخل النخب السياسية الحاكمة في هذا البلد، من سماتها الرئيسية تعاظم النفوذ الصهيوني في أوساطها لدرجة يمكن مقارنتها مع الحالة السائدة في أوساط النخب الحاكمة في الولايات المتحدة، ديموقراطية كانت أو جمهورية. قضية جورج عبدالله تكشف الكثير عن واقع السياسة الفرنسية اليوم، وعن الموقع المركزي الذي باتت تحتله الحركة الصهيونية في قلب منظومتها المسيطرة. هي مؤشر جديد، بين مؤشرات أخرى كثيرة، على أن إسرائيل لم تعد مجرد أداة للإمبريالية، بل أضحت، من خلال الحركة الصهيونية في بلدان الغرب، مكوناً عضوياً داخل بنية هذه الإمبريالية. من يسعى لمساواة مناهضة الصهيونية باللاسامية، وهي جرم على المستوى القانوني، كالرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، ويعتبر وفريقه إسرائيل نموذجاً يحتذى في «مكافحة الإرهاب»، وامتداداً حضارياً وسياسياً للغرب في معركته مع «الظلامية والتطرف»، وقطباً للتطور العلمي والتكنولوجي، سيفعل ما بوسعه لتعظيم الشراكة معها. هذه النظرة لإسرائيل، التي تتضمن قدراً كبيراً من التماهي الثقافي - الأيديولوجي معها، تعني عملياً تصنيف أعدائها أعداء لفرنسا، ويتضح ذلك في تعامل حكوماتها المتعاقبة مع جورج عبدالله.

> قلق من الإحجام عن التصويت بحجّة النتيجة المحسومة

لم يتهم المقاوم اللبناني بقتل أي مواطن فرنسي. هو «أدين» أساساً بالمسؤولية عن عمليتي استهداف لعميل الاستخبارات العسكرية الأميركية، تشارلز راي، في 18 كانون الثاني 1982، وياكوف برسيمانتوف، مسؤول محطة الموساد في باريس، في 3 نيسان 1982، والذي سجل اسمه على جدار شُيّد تكريماً لقتلى هذا الجهاز في رامات هشارون في ضاحية تل أبيب. انتسب جورج عبدالله للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في أواسط السبعينيات، وكان من المؤيدين لتوجهات أحد مؤسسيها، الشهيد وديع حداد، حول ضرورة توسيع المواجهة مع العدو الصهيوني لتشمل استهداف مصالحه ومسؤوليه في بلدان الغرب الإمبريالي الداعمة له، وعدم حصرها في حدود فلسطين وحدها. بعد استشهاد حداد مسموماً في 1978، تأسست الفصائل الثورية المسلحة اللبنانية في 1981 لتمثل امتداداً لنهجه، وشنّت مجموعة من الهجمات في فرنسا ضد أهداف للعدو الصهيوني. مقولة عولمة الحرب ضد العدو أثارت نقاشاً واسعاً آنذاك في صفوف جيل التلاحم الفلسطيني - اللبناني، الذي انقسم بين داعم لها من جهة، وبين من رأى أن الأولوية هي لتركيز الجهود على ساحة الصراع الرئيسية في جنوب لبنان وفلسطين من جهة أخرى. لكن هذا الخلاف لم يحل دون إقرار أصحاب الرأي الثاني بالطبيعة النوعية لعمليات الفصائل، أي الضربات التي وجهتها إلى مسؤولين أمنيين أعداء، وحرصها على تجنب وقوع ضحايا مدنيين غربيين، ما قد يسيء إلى سمعة القضية التي تناضل لأجلها. تميز جورج عبدالله طوال سنوات اعتقاله بتمسكه بالمبادئ التي ناضل لأجلها، ورفضه الاعتذار عن أي من العمليات ضد العدو، وهو كان شرطاً لإفراج الدولة الفرنسية عنه، وبدفاعه الثابت عن المقاومة في فلسطين ولبنان، وعن قضايا الشعوب التي تكافح ضد الهيمنة الإمبريالية عبر العالم. هو يتعرض لذلك لعملية قتل بطيئة من قبل المنظومة الغربية-الصهيونية. قوى المقاومة في لبنان وفلسطين، وجميع الشرفاء والأحرار في العالم مدعوون لإنقاذ بطل من أبطالنا قابع في سجون الإمبريالية الهرمة، وإفهامها أن تعرضه لأي سوء لن يمر من دون عقاب.

سجين الديموقراطية الفرنسية

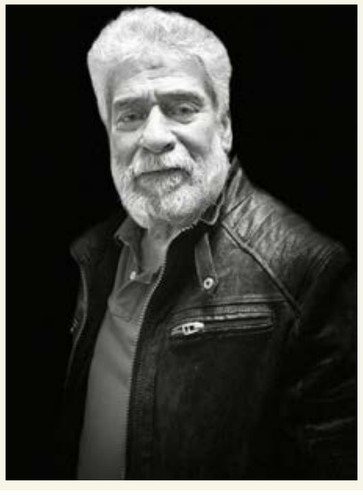

في 24 الجاري ينهي المناضل جورج عبدالله 38 عاماً في سجون الديموقراطية الفرنسية العريقة التي تتخذه رهينة بعد انتهاء محكوميته منذ عام 1999. المناضل اللبناني العربي، نزيل سجن لنموزان في البيرينيه، بات اليوم في الواحدة والسبعين من العمر، وهو أقدم سجين سياسي في أوروبا. في 2018، وفي تحوّل في موقف الدولة اللبنانية التي لطالما كانت أضعف من أن تجرؤ على المطالبة بمناضليها، زار السفير اللبناني في باريس رامي عدوان عبدالله في سجنه، بناء على توجيهات من الرئيس ميشال عون، مؤكداً له أن قضيته باتت «قيد المتابعة الحثيثة لدى الدولة اللبنانية». ورد المناضل عبدالله على عدوان يومها بالطلب «ألا تتسوّلوا إطلاق سراحي ولا تكونوا في موقف ضعف. وأنا متيقن من ذلك لأن في لبنان اليوم قيادات مناضلة لا تعرف التسوّل. أثق تماماً بتحرك الرئيس ميشال عون في قضيتي لأنه رجل دولة، وهو ما أثبته في كل المراحل، وفي مواقفه مع المقاومة. المطلوب أن أخرج بعد 35 عاماً بكرامة، وإلا أفضّل البقاء هنا». وعلى مدى سنوات ولايته، كانت هذه القضية حاضرة في غالبية اللقاءات التي عقدها عون مع المسؤولين الفرنسيين، لكن الضغوط الكبيرة التي تمارسها الولايات المتحدة وإسرائيل على باريس لإبقاء المناضل عبدالله في الاعتقال كانت أقوى.

سيرة الحكم في لبنان في سيرة صائب سلام [12]

أسعد أبو خليك *

حديثنا هنا عن مذكرات صائب سلام التي صدرت حديثاً في ثلاثة أجزاء بعنوان: «صائب سلام: أحداث وذكريات» وقلتُ من قبل إنّ الأجزاء الثلاثة هي يوميّات دوّنها صائب ونشرتها العائلة كما هي من دون تصحيح أو تنقيح أو تحرير، مع أنها تنقل صورة معبّرة عن مكنونات صائب سلام وتفكيره في محطات تاريخيّة هامّة شارك هو في صنع بعضها.

يُفاجأ القارئ الذي تابع سلام في حياته السياسيّة الناشطة أن صائب في اليوميّات هو غيره في الحياة العامّة في الصحافة في زمانه. هناك معالم إزدواجيّة لا تخفى. قلتُ أختبرُ الأمر وأتحقّق بنفسي، وأعود إلى صحف مرحلة صائب في رئاسة الحكومة بين 1970 و1973، أي في عهد فرنجيّة. المسافة بين المواقف كبيرة جداً وتوحي بانفصام. صحيح أن الكثير من الناس تقول في العلن ما لا تقوله في السرّ مع أن الأصعبي يعرّف المروءة عند العرب بأنها: ألا تفعل في السرّ أمراً وأنت تستحي أن تفعله جهراً. ويصلح ذلك في الكلام وفي المواقف أيضاً. بتنا نعرف اليوم، مثلاً، أن أحاديث رفيق الحريري في السرّ كانت مناقضة تماماً لتصريحاته العلنيّة: أطنب في مديح النظام السوري والمقاومة في العلن وتآمر ضدّهما في السرّ مع الدّ أعدائهم. وصائب كان يكتب في اليوميّات ما لم يكن يقوله علانية. وفي نوفمبر من عام 1972، وقع صائب في ورطة. جلس في مقابلة مع طلال سلمان (وكان مراسلاً لمجلّة «الصيّاد») ويبدو أن صائب فهم بأن الحديث ليس للنشر، لكن سلمان نشره كما هو. وقامت القيامة يومها وهدّد صائب بإقامة دعوى ضد سلمان (لكنه لم يمض فيها ما يؤكّد صحّة ما نشره سلمان من كلام صائب). والذي نُشر في الصحف آنذاك عن المقابلة وردود الفعل على المقابلة يؤكّد صحّة ما نشره طلال سلمان عنه. وتناول الكلام عدداً من خصوم سلام، مثل كرامي واليافي طبعاً، بالإضافة إلى النظام السعودي. وسارع صائب إلى نفي كلامه من اليونان حيث كان يقضي إجازة، لكن الذي ورد في الصحف عن مقابلة صائب في «الصيّاد» (مثل زعم صائب أن عبد الحكيم عامر فرض ترشيح رشيد الصلح على قائمة صائب وعبدالله اليافي) يتطابق تماماً مع كلام صائب في اليوميّات (لكن في اليوميّات كانت الإشارة إلى دور عبد الحكيم عامر متعلّقة بانتخابات 1960. كما ورد في الحلقة السادسة من هذه السلسلة ـ لكن في «الصيّاد» قال صائب إنها كانت في قمع الحركة الطلابيّة في جامعات لبنان. ويزور صائب السعوديّة في صيف 1976 ولكن المراسم الملكيّة لم تكن كما كان يتوقّعها صائب لكلامه عن أحمد زكي اليماني. لكن نفي صائب لكلامه كان ملتبساً في حينه، إذ أكّد أن المواضيع التي وردت في الحديث «تناولها فعلاً لكن ليس على هذه الصورة إطلاقاً. أخذ من كل موضوع ما يريد وحرّفه كما يريد وكما أوحت إليه إلى الطائف حيث الملك خالد والأمير فهد والأمير سلطان. ويقول عن أحاديث الملك خالد: «أحاديث الملك كانت كالعادة، عمومية لا تسفر عن نتيجة واضحة، لكن الأمير فهد بعد أشهر فقط من نهاية ولاية سلام في الحكومة المسؤوليّة عن الانهيار في البلد، وبات يصرّح برأيه عن جهله وتخلّفه وعن فساد ابنه طوني. أي أن صائب غطى على فرنجيّة عندما كان في نعرف نربأ به من في عهد فرنجيّة ودَمّه فقط عندما وقعت الواقعة بينهما إثر اغتيالات فردان في نيسان 1973.

وصف صائب لمرحلة رئاسته للحكومة في تلك الحقبة كان أنها فترة ذهبيّة. وهي لم تكن كذلك أبداً. هي فترة عطّلت فيها الحكومة تسليح لبنان

يجب أن نسجّل للتاريخ أن العظيم غسان كنفاني دخل السجن في نوفمبر 1972 في عهد فرنجيّة ـ سلام وذلك بسبب انتقاده في مجلّة «الهدف» للملك فيصل

والأمر الثاني الذي يطالعك في الأرشيف أن وصف صائب لمرحلة رئاسته للحكومة في تلك الحقبة كان أنها فترة ذهبيّة، وهي لم تكن كذلك أبداً. هي فترة عطّلت فيها الحكومة تسليح لبنان بوجه الاعتداءات الإسرائيليّة المتكرّرة. وفي نوفمبر من عام 1972، يتهم كمال جنبلاط صائب سلام مباشرة بـ«رفض صفقة التسليح السوفياتي في اللحظة الأخيرة» («النهار»، 15 نوفمبر، 1972). والحريّات العامّة لم تكن مُصانة كما وصفها صائب. في عهده زُجّ بجورج حاوي في السجن، بعد خطاب ألقاه في النبطيّة وانتقد فيه تمنّع الجيش عن مواجهة إسرائيل. ويجب أن نسجّل للتاريخ أن العظيم غسان كنفاني دخل السجن في نوفمبر 1972 في عهد فرنجيّة ـ سلام وذلك بسبب انتقاده في مجلّة «الهدف» للملك فيصل. وكانت معظم أحكام المطبوعات في عهده تصدر لحماية طغاة الخليج من النقد في صحافة لبنان، لكن الصحافة كانت تسمح بنقد الحكام غير المتحالفين مع أميركا (ما أشبه اليوم بالأمس في هذا الصدد). كما أن حكومة سلام منعت تجديد إقامة الوطني السعودي، عبدالله الطريقي، وبإيعاز مباشر من الحكومة السعودية، وفي عهد سلام تمّ إطلاق النّار على عمّال «غندور» المضربين وتعاونت أجهزة الحكم مع قمع الحركة الطلابيّة في جامعات لبنان. ويزور صائب السعوديّة في صيف 1976 ولكن المراسم الملكيّة لم تكن كما كان يتوقّعها بسبب «تضارب المواعيد» بين زيارته وزيارة رشيد كرامي (ص. 754، ج2). لكن برودة الاستقبال أثارت حنق صائب فأرسل إلى الحكومة رسالة محدّداً أنه مرتبط بمواعيد إذا لم يتم استقباله قبل يوم الإثنين، عندها، لحقت به دائرة «المراسم» وأقنعته بالتوجّه إلى الطائف حيث الملك خالد والأمير فهد والأمير سلطان. ويقول عن أحاديث الملك خالد: «أحاديث الملك كانت كالعادة، عمومية لا تسفر عن نتيجة واضحة، لكن الأمير فهد كان إلى جانبي يتدخّل باستمرار لتغطية الثغرات». واختلى صائب بالأمير فهد (وكان معه ابنه فيصل) ووضع «كل النقاط على الحروف أمامه». ويبدو أنه كان هناك خلاف مالي بين الطرفين لم نعرف به من قبل إذ يقول: «والتحدّث عن كلّ ما جرى منذ مقابلتنا الأخيرة، ومغادرتي المملكة وأنا مستاء من المعاملة ومن رسالتهم مع د. رشاد فرعون بعد عشرة أيام، وعرضهم عليّ مبلغ المليون ليرة الذي رفضته، والكتاب الذي وجّهته له على الأثر مُسجّلاً له رفضي، ثم المراسيل التي كانت بينه وبيني بعد معركة انتخابات رئاسة الجمهوريّة (العام 1976)، وكيف أنهم خذلونا خذلاناً تاماً بعد التأكيدات الجازمة التي كان يبعثها إليّ مع فيصل بوقوفهم معنا بكلّ إمكاناتهم المعنويّة والماديّة» (ص. 755، ج2). هذه من الإشارات النادرة في اليوميّات إلى علاقة مالية مع السعوديّة غير معلّقة بدعم «المقاصد». وصائب يبدو متيرّماً غالباً من المبالغ التي تُعرض عليه (مثلما رفض مبلغ مُطلق عليهم اسم «الإدارة الدينيّة» يتسلّمه صورياً سنان برّاج، ولكن وراءه في الحقيقة ثلاثة شيوعيّين حتماً وهم: إسبر بيطار وطانيوس وكميل، وإدارة التربية كذلك، والدعاية أيضاً، ومن وراء هذا كلّه أقدرُ الشيوعيّين، الأمين العام محسن إبراهيم الذي أطلقَ عليه اسم مبني بريجنيف» (ص. 765، ج2). لكن نفس هؤلاء الشيوعيّين سارعوا بالرغم من كراهية صائب لهم إلى التودّد له بحلول الاجتياح الإسرائيلي في صيف 1982، بعد أن كانت الناس قد نبذت الحركة الوطنيّة والمقاومة الفلسطينيّة.

ثم ينقل عن علي الشاعر حديث أبو عمّار مع السفراء العرب. كالعادة، لم يكن لعرفات أي خطّة في مواجهة التدخّل العسكري السوري. اكتفى كعادته في الأزمات والملمّات، بإطلاق التهديدات التي لا يعنيها ولا ينفّذها. وصل به التهديد بأنه «إذا قضى علي الفلسطينيّين هنا، فإنهم سيفجّرون العالم العربي بأسره» (ص. 766، ج2). ردّ الشاعر على تهديد عرفات بتسليمه مبلغاً يقدّر بـ«حوالى 5 ملايين دولار». كان يمكن للمقاومة الفلسطينيّة في عزّها أن تفجّر العالم العربي بأسره، وكان هذا مشروع جورج حبش ورفاقه لكن الذي منع ذلك هو عرفات نفسه واكتفى بإطلاق التهديد كي يتلقّى المزيد من المال لدعم بيروقراطيّته وخصوصاً من ليبيا والعراق» (ص. 755، ج2). لكن ماذا يفعل صائب بعشرة ملايين دولار لدعم «رؤّاد الإصلاح»؟ الذين يذكرون أعضاء المليشيا وهم يتجوّلون في سيّارتين يستغرب حاجة الحركة إلى هذا الكمّ من المال. ومن المستهجن أن صائب استعمل عبارة «المخرّبين» التي كان العدوّ يستعملها في إشارة إلى الفدائيّين قبل أن يستقرّ على عبارة إرهابيّين في الثمانينيّات. ثم عرّج صائب في طريق العودة على دمشق حيث التقى حافظ الأسد وشجّعه على عدم الاتفاق مع كمال جنبلاط. ويستمرّ صائب بالشكوى من الأوضاع في بيروت الغربيّة، خصوصاً مشروع الحركة الوطنيّة لإقامة «إدارة مدنيّة» و«أمن شعبي». وبالفعل، كان الوقت غير سانح لهذه المشاريع المتاخرة، لأن الناس كانت قد فقدت الثقة بقدرة الحركة الوطنيّة والمقاومة الفلسطينيّة على تنظيم الأوضاع في بيروت الغربيّة. ويضيف صائب في إشارة تحمل نغرة طائفيّة: «فالأمن عند من يُطلق عليهم اسم «الإدارة المدنيّة» يتسلّمه صورياً سنان برّاج، ولكن وراءه في الحقيقة ثلاثة شيوعيّين حتماً وهم: إسبر بيطار وطانيوس وكميل، وإدارة التربية كذلك، والدعاية أيضاً، ومن وراء هذا كلّه أقدرُ الشيوعيّين، الأمين العام محسن إبراهيم الذي أطلقَ عليه اسم مبني بريجنيف» (ص. 765، ج2). لكن نفس هؤلاء الشيوعيّين سارعوا بالرغم من كراهية صائب لهم إلى التودّد له بحلول الاجتياح الإسرائيلي في صيف 1982، بعد أن كانت الناس قد نبذت الحركة الوطنيّة والمقاومة الفلسطينيّة.

ثم ينقل عن علي الشاعر حديث أبو عمّار مع السفراء العرب. كالعادة، لم يكن لعرفات أي خطّة في مواجهة التدخّل العسكري السوري. اكتفى كعادته في الأزمات والملمّات، بإطلاق التهديدات التي لا يعنيها ولا ينفّذها. وصل به التهديد بأنه «إذا قضى علي الفلسطينيّين هنا، فإنهم سيفجّرون العالم العربي بأسره» (ص. 766، ج2). ردّ الشاعر على تهديد عرفات بتسليمه مبلغاً يقدّر بـ«حوالى 5 ملايين دولار». كان يمكن للمقاومة الفلسطينيّة في عزّها أن تفجّر العالم العربي بأسره، وكان هذا مشروع جورج حبش ورفاقه لكن الذي منع ذلك هو عرفات نفسه واكتفى بإطلاق التهديد كي يتلقّى المزيد من المال لدعم بيروقراطيّته (غير) الثوريّة. مرّة أخرى أكّد له علي الشاعر أن السعودية «تساعده» ماديّاً «عمّا قريب» (ص. 767، ج2). صائب دائماً يخبرنا عن وعود بمساعدات ماليّة، لكن لا يخبرنا عندما يصله المال إلا نادراً، مثل المرة التي زاره فيها علي الشاعر وسلّمه «شيكاً باللّيرة الإسترلينيّة يعادل خمسة ملايين ليرة لبنانيّة، وهو المبلغ الذي كان قد وعدني به نيابة عن الأمير فهد تسديداً لعجز المقاصد المالي» (ص. 778، ج2).

طار سلام إلى السعوديّة لشكر المملكة على العوْن الأخير، ثم طالتِ الأمير فهد «بمساعدتنا على القيام بمشروع الإعمار الذي كنتُ قد تقدمتُ به بواسطة التعمير والإنماء لنستعيض عن الاستمرار بالطلب من هذا الحدوف أو ذاك، فرحّب فهد بذلك ترحيباً شديداً، وتواعدنا على أن أعدّل المشروع الذي كنتُ قد تقدمتُ به قبل سنة ونصف السنة للأمير سلمان» (ص. 781، ج2). هنا تكاد تشعر بالدوار من كثرة المشاريع والطلبات والأمراء. وعندما يعود إلى لبنان يُفاجأ صائب بتصريح لبشير الجميّل يدعو فيه إلى «نوع من اللامركزيّة السياسيّة التي لا تعني في نهاية الأمر سوى الدعا بتقسيم لبنان» (ص. 781، ج2). يتصل سلام ببيار الجميّل فيقول له الأخير أن تصريح بشير «ليس هو رأينا النهائي كما تعلم».

وعند اغتيال كمال جنبلاط يكتب صائب مرثيّة عنه لم يسبقه إليها أحد في أدب المراثي الهجائيّة إذ يقول: «كان ظاهرة إنسانيّة، إنه أكبر زعيم قبيلة وأهم إقطاعي في لبنان، ومع هذا فإنه ينادي بالديموقراطيّة ويرأس حزباً اشتراكيّاً، وهو ينتمي روحياً إلى الدروز ـ كما يحبّ أن يقول. لكنه في نفس الوقت يعلن إسلامه. وهو زعيم إقليمي شوفي ودرزي، ومع هذا نراه ينادي بوحدة لبنان، وبوحدة العرب... إنه مزيج من التناقضات لم يكن ليرفّ له جفن وهو يمارسها جميعاً، متقلّب في مواقفه وسياسته بين يوم وآخر، أفلبس هو حامل جائزة لينين السوفياتيّة، في نفس الوقت الذي يُقال عنه: إنه يتبع توجيهات الأميركيّين الذين يشتمهم علناً» (ص. 786، ج2). صحيح أن شخصيّة كمال جنبلاط هنا تشبه كثيراً شخصيّة ابنه السياسيّة، وليس في ذلك إجحاف أبداً من قبل صائب، إذ إن التقلّبات وسمت سيرة الأب والابن معاً. لكن لم يقدّم صائب دليلاً أن كمال يتبع توجيهات الأميركيّين، مع أنه كان ثابتاً في دعم حكم أنور السادات، ودافع عنه حتى عندما باشر بمحاربة الناصريّة في مصر. لكن صائب يذهب بعيداً في الحقد والتشفّي عندما يقول عن جنبلاط «لم يخلُ الأمر من كثيرين شعروا بالراحة إزاء التخلّص من جنبلاط وهؤلاء لم يكونوا في صفوف المسيحيّين وحدهم، بل كان بينهم مسلمون ودروز» (ص. 787، ج2). ما أذكره بوضوح عن تلك المرحلة أن حالة من الحزن الشديد سادت في أوساط المسلمين كافّة في بيروت الغربيّة وفي الجنوب بعد اغتيال جنبلاط. لم يكن هناك من ينافسه في زعامة المسلمين في حينه ما زاد من نفور سلام منه.

ويبلغ الحقد والتشفّي حدّه الأقصى في حديثه عن عبدالله اليافي في سنوات شيخوخته إذ يقول عنه: «مسكين عبدالله اليافي. لقد أصبح فعلاً في حالة خرف شديد، وصار كثيراً ما يضيّع خلال الحديث، إضافة إلى أن أوضاعه باتت من السوء بحيث أنه نُسي شعبيّاً ولم يعد له أي وجود سياسي» (ص. 795، ج2). هذا الكلام عن رجل كان في السادسة والسبعين من عمره. لا الموت ولا المرض يخفّفان من ضغائن صائب. وخلافاً للصورة الشائعة عن وحدة صف الجبهة اللبنانيّة، نقل له إبراهيم النجّار (عضو المكتب السياسي لحزب الكتائب) عن حالة الصراع: «الخلافات كثيرة ومتشعّبة وحادّة بين بشير الجميّل وكميل شمعون وسليمان فرنجيّة من جهة، وبقيّة اعضاء الجبهة اللبنانيّة من جهة أخرى، وكذلك فإن الخلافات داخل قيادات حزب الكتائب على أشدّها، ولولا بيار الجميّل لما تمكّن احد من ضبطها» (ص. 795، ج2). وصارحه أمين الجميّل في تضايقه من «جبهة الكفور» (وكان اسم جبهة الكفور هو تشنيعي من قبل معارضيها في المنطقة الغربيّة من بيروت واستعمل أمين المصطلح في لقائه مع سلام، ص. 803، ج2). وعن بشير الجميّل يقول أمين لصائب: «أخي بشير لا يفهم شيئاً ولا يطلع منه شيء». وأرفق الجميّل في زيارته المحامي عبد الحميد الأحدب، وكان من قلّة من المسلمين الساترين في خط «الكتائب» (وكان عبد الحميد الأحدب من ضمن العشرين أو الثلاثين مسلماً الذين وعدهم بشير الجميّل برئاسة الحكومة في عهده الذي لم يبدأ، ومنهم عثمان الدنا وسليمان العلي وعليا الصلح وأحمد الحاج وصائب سلام نفسه).

وساءت العلاقة بين صائب وبين قادة المقاومة. وكانت قيادة عرفات تنمّي علاقتها مع قادة اليمين المسيحي بعد أن شعرت بخطورة استمرار الحرب، فيما كانت تلجم جموح بعض قادة الحركة الوطنيّة الذين كانوا من أنصار المواجهة مع المليشيات الانعزاليّة (كان اليسار الثوري والتنظيم الشعبي الناصري والذي أصبح أخيراً تحت قيادة أسامة سعد من ضمن «ثوّار التغيير» المتحالفين مع السعوديّة والإمارات) من ضمن الداعين للحسم العسكري ضد الانعزاليّين. ولم يكن عرفات ناجحاً في تحالفاته وعلاقاته لأنه لم يكن ذا مصداقيّة، كما محاوروه يتوقّبون حضور أبو الوليد (سعد صايل، الذي اغتالته عناصر من حركة أمل في البقاع، حسب مقالة مفصّلة لصقر أبو فخر) لأن الأخير كان ذا مصداقيّة عالية مع أن عرفات لم يكن يسمح لمن حوله بأي سلطة قرار لا تمرّ عبره. وكان عرفات قادراً باستسهاله للخداع والأكاذيب أن يُقنع محاوريه ـ أنه بناء على من يجلس معه ـ يفضّل «التجمع الإسلامي» أو «جبهة المحافظة على الجنوب» أو الحركة الوطنيّة أو اليمين اللبناني على غيرهم في الساحة اللبنانيّة. ومريدو عرفات بين الكتّاب والصحافيّين اللبنانيّين بالغوا كثيراً في الحديث عن دهاء عرفات لأنهم تناسوا دور المال السياسي الذي كان غالباً في إدارة عرفات للساحة اللبنانيّة (كان هناك نوّاب وكتّاب وشخصيّات تقدميّة يتلقّون مرتّبات من عرفات).

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

معارك ما بعد الترسيم

سعد الله مزرعاني *

في بلدٍ عزَّت فيه، منذ ثلاث سنوات على الأقل، الإنجازات، ولو بسيطة، وعصفت به الأزمات والانهيارات والفشل والخسائر والفضائح... شكّلت مفاوضات ترسيم الحدود البحرية الجنوبية مع العدو الصهيوني، مناسبة، بل فرصة نادرة، لإعلان تحقيق «انتصار تاريخي» من قبل أركان السلطة اللبنانية. أثار هذا الإعلان ردود فعل عدة، منددة، أو موافقة، أو متحفظة. إلا أنه يمكن القول، بشكلٍ عام، إن الموقف الرسمي ومعظم ردود الفعل عليه، قد اتسما بشيء، من التسرع والأنية وحتى الكيدية أو المناكفة.

لا شك أن الحدث «تاريخي» بوصفه تحولاً وانعطافاً ستترتب عليه نتائج مهمة أو خطيرة، لم تكن لتحصل لولا إقراره. وأن يكون «تاريخياً» فلا يعني ذلك، بالضرورة، أن يكون انتصاراً لأحد طرفي النزاع وخصوصاً للطرف اللبناني.

موضوع النفط في لبنان هو ملف وليس مجرد لحظة اتفاق. في هذا الملف، أيضاً، راكم لبنان نقاط ضعف لا نقاط قوة. وهو في ذلك كرر ما هو سائد بالنسبة لكل الملفات الأساسية الأخرى: الثروة المائية، الكهرباء، البنى التحتية عموماً، النقل، الصحة، التعليم... في ملف النفط ينبغي التوقف عند المحطات الآتية: عدم تكوين ملف متكامل ومبكّر لحقيقة وجود كميات نفط وغاز في لبنان أو في مياهه الإقليمية. وزارة الطاقة اللبنانية أعلنت عن رقم 95,5 ترليون قدم مكعبة عام 2012، فيما شركات البترول والغاز العالمية تتحدث عن ربع هذه الكمية! الخفة واللامسؤولية في الاتفاق مع قبرص عام 2007 حيث استندت إليه قبرص لتتبرع لإسرائيل بـ 860 كلم من المنطقة اللبنانية (ما عُرف بخط هوف لاحقاً)! إخضاع ملف النفط والغاز للمحاصصة السائدة والمهيمنة في المواقع السياسية والإدارية والتي نظمت عملية نهب البلاد وتبديد ثرواتها وموازنتها ما بين متحاصصي منظومة التسلط والفساد. من نتائج ذلك صدور المرسوم 2017/43 الذي نسف القانون البترولي الصادر عام 2010، خصوصاً المادة 5 منه التي ألغت دور الدولة حتى في مجرد الرقابة وخفّضت حصتها إلى37% مقابل حصة تتراوح بين 65% إلى 85% في الدول التي اعتمدت نظام المشاركة في الإنتاج (مقال نقولا سركيس «الأخبار» 2019/7/29). وجود ثغرات كبيرة في خريطة الترسيم اللبنانية وإهمال الوثائق التي تؤكد أن الخط 29 هو الذي ينبغي اعتماده بين لبنان وفلسطين المحتلة. لقد تمّ إسقاط هذا الخط كلياً في اتفاقية «الإطار» التي سلّمها الرئيس نبيه بري للرئيس ميشال عون الذي تسلم وتبنى من دون أي تبديل وتصويب، مضيفاً إليه التأثير السلبي للابتزاز الأميركي بوضع النائب جبران باسيل، الوريث السياسي للرئيس عون، على قائمة العقوبات الأميركية.

تحركت الوساطة الأميركية مجدداً عبر الوسيط الأميركي الإسرائيلي عاموس هوكشتين في مرحلة ما بعد سقوط الرهانات الأميركية على الانتخابات اللبنانية. لكن لنفس الأهداف السابقة، ولمحاولة ترصيد واستكشاف فرص الاستسلام اللبناني بعد عدّة سنوات من الضغوط السياسية والحصار والعقوبات والأزمة الداخلية المتمادية والطاحنة... وذلك، خصوصاً، لخدمة العدو الإسرائيلي بالدرجة الأولى واستكمالاً لخطط التطبيع معه التي تضمنتها «صفقة القرن» وجسدتها «اتفاقيات أبراهام» بين العدو الصهيوني وعدد من الدول الخليجية والعربية الأخرى.

انطلقت واشنطن من أن لبنان «استوى» تحت تأثير أزمته الشاملة، وهو بات مستعداً للرضوخ بأبخس الأثمان، أيضاً، بسبب ضعف وصراعات حكامه وتواطؤ معظمهم مع السيد الأميركي سابقاً وراهناً. وكذلك، كما أسلفنا، بسبب الفجوات التي يعاني منها مسار التفاوض اللبناني عموماً. كان ذلك هو المنطلق الذي اعتمده المفاوض «النزيه»، وهو يسخر من المطالب الرسمية اللبنانية، مردداً أمام محاوريه من الرؤساء والموظفين: «القليل خير من الحرمان»!

بدا الوسيط «النزيه» مطمئناً، إذاً، إلى قدرته على التحكم بمسار المفاوضات، وبالسرعة التي يتطلبها المسعى الأميركي الملح لاستخراج النفط من حقل «كاريش» وتعزيز الموقع الحوري الإسرائيلي في مجمل غاز ونفط شرق المتوسط الذي حظي الآن باهتمام كبير بعد الحرب الروسية - الأوكرانية. شجعه على ذلك أن لبنان الرسمي امتنع، بإجماع «الرؤساء» وخصوصاً الرئيس عون، عن توجيه رسالة إلى الأمم المتحدة لتأكيد حدوده البحرية حتى الخط 29 وليس خط «الإطار» الـ23. كان يمكن لهذه الرسالة أن تنسف المفاوضات كما كان يحصل في السابق. لكن، كان من شأنها أيضاً، جعل حقل «كاريش» هو موضوع التقاسم كما كان ينبغي. لا حقل «قانا» كما حصل في مشروع الاتفاق الذي ينتظر التوقيع خلال أيام، بحسب ما أعلن.

لا شكّ أن الأزمة الاقتصادية الهائلة قد لعبت دوراً سلبياً في قدرة لبنان على الدفع بتأجيل المفاوضات إذا تعذر عليه الحصول على كامل حقوقه. لكن بروز دور المقاومة الحازم قد غيّر في المقاربة العامة لمصلحة المفاوض اللبناني، من دون أن يكون كافياً لإلغاء الفجوات والاختلالات. من دون ذلك كنا، ربما، سنرفض الإقرار بالشروط الأميركية والإسرائيلية، لكننا، بالمقابل، سنبقى ممنوعين من التنقيب والاستخراج تحت ضغط واشنطن خصوصاً على الشركات التي تم التعاقد معها في البلوكين 4 و9.

إن إقحام المفاوضات في اللحظة السياسية وتجاذباتها واستقطاباتها قد اقترن، أيضاً، وكالعادة، بالنهج الفئوي والتحاصصي الذي عبّر عن نفسه في تجديد العقد، مجاناً، ومن دون التزامات أو غرامات للشركتين الفرنسية والإيطالية. وهو عقد مخل بالمصلحة الوطنية وقد يسري أيضاً على كل البلوكات الأخرى حيث سقط القانون الدولي بالضربة القاتلة لنهج المحاصصة، الذي أخرج الدولة اللبنانية من قطاع النفط والغاز، خلافاً لكل بلدان العالم التي اعتمدت نظام الشراكة كما أسلفنا. العيوب الخطيرة عموماً في الملف اللبناني قد فعلت فعلها، فضلاً عن النفوذ الأميركي الذي يوجه مواقف الكثير من الأفرقاء، بمن فيهم بعض غلاة المعترضين على الاتفاق من دون أن يضربوا الانحياز الأميركي ولو بوردة!

الأخطاء، كبيرة، وهي شائعة في تقاليد حكم وإدارة سلطة البورجوازية اللبنانية الكبيرة لمجمل شؤون البلد: ما أدى إلى الكارثة الهائلة التي يتخبط فيها لبنان وشعبه. إنها أسلوب حكم وليست لحظة تخل أو خيانة. أما بعض المكاسب فينتظر إنجازُها معارك كبيرة:

1- معركة مواجهة الأشكال الجديدة من الخداع الإسرائيلي والضغوط الأميركية، وخصوصاً مواجهة تحول الوساطة الأميركية إلى وصاية وقحة وحصرية وكذلك تعاقدياً، بالنسبة لشركة «توتال».

2- العودة إلى قانون النفط الذي وأده المرسوم 2017/43.

3- معركة منع نهب وسوء استغلال العوائد المتوقعة، بدءاً من العقود إلى تحرير القطاع من المحاصصة، إلى، على الأقل، إعادة مراقبة الدولة للقطاع وتعزيز حصصها وحضورها فيه... ذلك يتطلب حتماً، معركة تغيير حقيقية ذات طابع إنقاذي لقطاع الطاقة وللبلد عموماً! وقتها يمكن أن نتحدث عن «انتصار» تاريخي!

بروز دور المقاومة الحازم قد غيّر في المقاربة العامة لمصلحة المفاوض اللبناني، من دون أن يكون كافياً لإلغاء الفجوات والاختلالات

* كاتب وسياسي لبناني

على الغلاف

لم يَعُد الأمر في خانة التكهّنات أو التحليلات. على رغم النّفي الروسي والإيراني، بات شبه مؤكّد، أو حتى مؤكّد، أن روسيا تستخدم مسيّرات إيرانية في عملياتها العسكرية في أوكرانيا. يبدو بالفعل أنها بدأت بتغيير وجه الحرب هناك. تغييرٌ لا يقتاثير قلق القوى الغربية وإسرائيل على السواء: الأولى بسبب ما يمكن أن يُحدثه هذا التطوّر من تحوّلات في الميدان لغيْر مصلحة الأوكرانيين وحلفائهم؛ والثانية لأسباب كثيرة على رأسها أن هذه «الدرونز» التي يَجري اختبارها اليوم في ميدان عملي ومحسوس، مع ما يعنيه ذلك من فُرص كبيرة لتحسين تصنيعها وتشغيلها ومعالجة ثغراتها، باتت أيضاً في أيدي حلفاء إيران. والذين هُم على تماس مباشر مع الكيان. ويُضاف إلى ما تقدّم، أن التعاون العسكري المتنامي بين موسكو وطهران، لا تأمن تل أبيب أن تكون له تبعات غير طيّبة على مسار علاقاتها بالروس، خصوصاً أن هؤلاء تزايد، يوماً بعد يوم، حاجتهم الميدانية إلى أسلحة غير تقليدية لمواجهة الحرب البرّية الهجينة التي يخوضونها، وأن وقوف إيران إلى جانبهم في خضمّ تلك المواجهة، لن يكون، بحال من الأحوال، من دون أثمان

روسيا - أوكرانيا: المسيّرات الإيرانية تُغيّر وجْه الحرب

يحيى دبوق

استفاقت إسرائيل، في السنوات القليلة الماضية، إلى تهديد الطائرات المسيّرة الإيرانية، بعد أن تعاملت معها بوصْفها تهديداً ثانوياً في مشهد التهديدات الكلّية التي تُواجهها في المنطقة، خصوصاً قياساً إلى حجم الأسطول الإيراني من الصواريخ الباليستية، سواءً تلك الموجودة في إيران نفسها أو لدى حلفائها في المنطقة. إلّا أن هذه الاستفاقة جاءت متأخّرة نسبياً، وفقط بعدما تلمّست تل أبيب ارتفاع مستوى ذلك التهديد، الذي لم تأتِ الحرب الروسية - الأوكرانية، بدورها، إلّا لتُضاعف القلق الإسرائيلي والغربي عموماً منه، لا سيما إثْر استخدام الجيش الروسي المسيّرات الإيرانية التي تسبّبت بخسائر بشرية ومادّية كبيرة للجانب الأوكراني. وكان هذا القلق بدأ فعلياً بالظهور في أيلول 2019، في أعقاب الهجوم المسيَّر والصاروخي على منشأتَين لـ«أرامكو» في السعودية، والذي ألحق أضراراً بالغة بالمنشأتَين، وعطّل خمسة كيلومترات. وهي مخصّصة لمهام المراقبة واستهداف بطاريات المدفعية، خاصة بعد أن جرى تطويرها بإمكانات هجومية. يمكنها التحليق مدّة 12 ساعة، وقدارة على تتبّع تحرّكات العدو ليل نهار، تحمل قنابل انزلاقية لضرْب الأهداف المتحرّكة، إضافة إلى صواريخ مُوجَّهة هي نسخة عن صاروخ «غيل» الإسرائيلي، الذي اعتمته «حزب الله» من الجيش الإسرائيلي عام 2006. ونقل الإيرانيون، أخيراً، بعضاً من هذه الطائرات إلى الحكومة الإثيوبية، التي نجحت عبر استخدامها في وقْف هجوم المتمرّدين في منطقة تيغراي، وربّما أيضاً (وفقاً للتقرير العبري نفسه) أنقذت العاصمة أديس أبابا من السقوط. وبواسطة «مهاجر 6»، أيضاً، تمكّن القادة الروس من حلّ مشكلة كانت مستعصية لديهم، وهي إمكانية شنّ هجمات قصيرة، إذ إن هذه الطائرات تُمكّن القادة من الحصول على صور تضاريس حديثة قريبة، وهو ما يتيح لهم لاحقاً اختيار خطّة تتناسب مع الواقع الميداني، عند اتّخاذ قرار الهجوم.

> السؤال الذي يفرض نفسه في تل أبيب، يتعلّق بالثمن الذي ستُدفعه موسكو لطهران

الطائرة الثانية المستخدَمة في أوكرانيا هي «شاهد 191»، وهي نسخة إيرانية من طائرات الاستطلاع والمراقبة الأميركية «أر كيو 170»، التي أقلعت إحداها من أفغانستان وتحكّمت بها إيران وأنزلتها في أحد مطاراتها، ومن ثمّ عمل مهندسوها على استنساخها. تُمنح هذه الطائرة الجيش الروسي القدرة على المراقبة الاستراتيجية في عمق أوكرانيا، وتحديد الأهداف وتدميرها في المناطق الخلفية، وإنتاج مواد استخباراتية تكتيكية مفصّلة، تجعل من الممكن مهاجمة المنشآت وأنظمة الأسلحة في ساحة المعركة نفسها. أمّا الطائرة الثالثة فهي المسيّرة الانتحارية «شاهد 136»، التي يبلغ طول جناحَيها ما يقرب من مترَين. وهي قادرة على حمل 40 كيلوغراماً من المواد المتفجّرة، ومصمّمة لتدمير أهداف نُقطوية من مثل البنية التحتية والرادارات وأنظمة الدفاعية والمقرّات الرئيسة. يتمّ توجيهها إلى هدفها بمساعدة الأقمار الصناعية، وهي فعّالة جدّاً ضدّ الأهداف الثابتة، علماً أن ثمّة تقديرات عن نموذج آخر من هذه الطائرة برأس حربي موجّه، يسمح بضرب أهداف متحرّكة.

لا تُخفي إسرائيل قلقها من التعاون العسكري الإيراني - الروسي في مجال المسيّرات (أ ف ب)

ووزن الشحنة المنقولة على متن المسيّرة، من معدّات ومواد تفجيرية أو صواريخ. ومن هذا المنطلق، لم يَعُد ممكناً النظر إلى الطائرات من دون طيّار الإيرانية على أنها أنظمة أسلحة ثانوية يمكنها فقط «المضايقة وجمع المعلومات الاستخباراتية والردع»، بل باتت سلاحاً رئيساً يمكن أن يغيّر قواعد اللعبة، وإنْ «أحسن الإيرانيون ووكلاؤهم استخدامها، يمكنها أن تقلب الميزان العسكري في المنطقة»، وهذه واحدة من أهمّ النتائج التي خلص إليها «معهد القدس للاستراتيجيا والأمن»، في بحث مستفيض (25-01-2022) تحت عنوان «المسيّرات الإيرانية تقلب ميزان القوى في الشرق الأوسط».

بحسب تقارير منشورة في الدول الغربية، وكذلك في إسرائيل، يستخدم الجيش الروسي في الحرب على أوكرانيا، أنواعاً متعدّدة من المسيّرات الإيرانية، من بينها (موقع "كاكالبست" العبري، 30-09-2022) مثلاً، «مهاجر 6»، وهي طائرة مسيَّرة كبيرة يبلغ طول جناحَيها حوالى 10 أمتار، وتحلّق على علوّ خمسة كيلومترات. وهي مخصّصة لمهام المراقبة واستهداف بطاريات المدفعية، خاصة بعد أن جرى تطويرها بإمكانات هجومية. يمكنها التحليق مدّة 12 ساعة، وقدارة على تتبّع تحرّكات العدو ليل نهار، تحمل قنابل انزلاقية لضرْب الأهداف المتحرّكة، إضافة إلى صواريخ مُوجَّهة هي نسخة عن صاروخ «غيل» الإسرائيلي، الذي اعتمته «حزب الله» من الجيش الإسرائيلي عام 2006. ونقل الإيرانيون، أخيراً، بعضاً من هذه الطائرات إلى الحكومة الإثيوبية، التي نجحت عبر استخدامها في وقْف هجوم المتمرّدين في منطقة تيغراي، وربّما أيضاً (وفقاً للتقرير العبري نفسه) أنقذت العاصمة أديس أبابا من السقوط. وبواسطة «مهاجر 6»، أيضاً، تمكّن القادة الروس من حلّ مشكلة كانت مستعصية لديهم، وهي إمكانية شنّ هجمات قصيرة، إذ إن هذه الطائرات تُمكّن القادة من الحصول على صور تضاريس حديثة قريبة، وهو ما يتيح لهم لاحقاً اختيار خطّة تتناسب مع الواقع الميداني، عند اتّخاذ قرار الهجوم.

الطائرة الثانية المستخدَمة في أوكرانيا هي «شاهد 191»، وهي نسخة إيرانية من طائرات الاستطلاع والمراقبة الأميركية «أر كيو 170»، التي أقلعت إحداها من أفغانستان وتحكّمت بها إيران وأنزلتها في أحد مطاراتها، ومن ثمّ عمل مهندسوها على استنساخها. تُمنح هذه الطائرة الجيش الروسي القدرة على المراقبة الاستراتيجية في عمق أوكرانيا، وتحديد الأهداف وتدميرها في المناطق الخلفية، وإنتاج مواد استخباراتية تكتيكية مفصّلة، تجعل من الممكن مهاجمة المنشآت وأنظمة الأسلحة في ساحة المعركة نفسها. أمّا الطائرة الثالثة فهي المسيّرة الانتحارية «شاهد 136»، التي يبلغ طول جناحَيها ما يقرب من مترَين. وهي قادرة على حمل 40 كيلوغراماً من المواد المتفجّرة، ومصمّمة لتدمير أهداف نُقطوية من مثل البنية التحتية والرادارات وأنظمة الدفاعية

روسيا «تُصلح» تقديراتها: لا بديل من «الدرونز»

أوْقعت روسيا نفسها في خطأ تقديراتها التحدّيات المستقبلية التي رأت أنها ستُواجهها، وعلى هذا الأساس، عمدت إلى بناء قوّتها العسكرية، بما يشمل الخطط والإنتاج والاستيعاب والإجراءات التشغيلية المختلفة. وعلى رغم أن موسكو زادت ميزانية الصناعات العسكرية لديها أضعافاً مضاعَفة منذ سقوط الاتحاد السوفياتي، إلّا أن تركيزها انصبّ في اتّجاه ما يمكن أن يقابل الجيش الروسي من تهديدات عظمى، وليس تكتيكية نسبية. دفَع ذلك المخطّطين الروس إلى إنتاج عسكري متفاوت، مع التركيز على المستويات الأعلى، من مِثل الطائرات المقاتلة الخفيّة عن الرادارات، والسفن الحربية الحديثة، وأنظمة الرصد والمراقبة والدفاع الجوي، إلّا أنهم أهملوا في المقابل قطاعات واسعة من الأنظمة التسليحية، ومن بينها الطائرات المسيَّرة، التي اقتصر إنتاجها على نطاق محدود، بلا فاعلية عملية، وفق ما يَثبت اليوم في مواجهة برّية هجينة تُخاض ضدّ الولايات المتحدة وغيرها من الدول الغربية، على الأرض الأوكرانية.

تدخُّل القوى الغربية تسليحياً وإدارةً للقتال إلى جانب الجيش الأوكراني، غيّر المعادلات؛ إذ بدل أن تكون الحرب سريعة وخاطفة، تحوّلت إلى حرب استنزاف طويلة الأمد، الأمر الذي أبرز الحاجة إلى سلاح من نوع مختلف. هكذا، بات على روسيا أن تبحث عمّا يساعدها في تحقيق أهدافها من دون الاحتكاك المباشر في معارك عادت لتكون برّية، مع مواجهات مباشرة لم تكن ملحوظة لدى التخطيط العسكري الابتدائي للحرب، على طاولة التخطيط العسكري في موسكو. نظرياً، كان لدى الروس 4 موزّدين محتملين: إسرائيل والصين وإيران وكوريا الشمالية. بالنسبة إلى الأولى، بدا محسوماً أنها لن تغامر بخطوات مُعاكسة للإرادة الغربية إلى هذا الحدّ، فيما الثانية لديها أسباب خاصة بها، تدْفعها إلى التمهّل في التورّط مباشرة في حرب، ترى أن استمرارها ومنع الغلَبة فيها سريعاً، على تقديرات معتدّ بها، يصبّان في مصلحتها المباشرة. أمّا بيونغ يانغ، فإن طائراتها المسيّرة بدائية جدّاً ومحدودة، ولا تلبّي المطلوب منها روسياً، وبهذا لم يبقَ أمام صاحب القرار في موسكو إلّا طهران، التي سارعت على ما يبدو إلى تلبية الحاجة الروسية، بلا إبطاء. التجربة العملية في ساحة القتال أثبتت، إلى الآن، صوابيّة اختيار الجانب الروسي للمسيّرات الإيرانية. إذ، منذ ظهور هذه الأخيرة في السماء الأوكرانية، ظهرت قدرتها على الفتك والتملّص. وفي أكثر من جبهة قتال، ما أسهم في تغيير وجه المعركة. لكن يبقى السؤال الرئيس: ما الثمن الذي تُجبيه إيران حيال تلك المساعدة؟

نسخات أكثر تطوّراً من النوع نفسه، فيما ما يُثبت نجاعته يُصار إلى تعزيزه وتطويره إلى مستويات أعلى. والتجربة هنا لا تقتصر الإفادة منها على مجال الإنتاج، بل تمتدّ أيضاً إلى تحسين الأداء التشغيلي لـ«الدرونز»، سواءً لدى الجانب الإيراني، أو لدى حلفائه، حيث الاحتكاك المباشر مع إسرائيل.

ثانياً: يَختصر استخدام السلاح الإيراني في أوكرانيا، سنوات طويلة من الجهد والبحث والتجارب والتطوير من الجانب الإيراني، وهذا وحده يُعدّ مصدر إقلاق لإسرائيل، خاصة أن ما لدى إيران من خبرة يجري نقله أيضاً إلى حلفائها في المنطقة، المتاخمين مباشرة للكيان الإسرائيلي.

ثالثاً: تَخشى إسرائيل أن ترتبط المصلحة القومية الروسية، وفقاً لمسار التعاون الحالي وما يُقدَّر أن يليه لاحقاً، بالمصلحة الإيرانية، الأمر الذي من شأنه أن يبعد روسيا عن الحيادية تجاه ما يضرّ بإيران، سواءً في ما يتعلّق باستقرارها الداخلي أو نفوذها في الخارج، وأن يناى بموسكو أيضاً عن أسلوب «البيع والشراء» إزاء مصالح طهران، بالمستويات التي كانت تُراهن عليها تل أبيب والعواصم الغربية. وعلى ذلك، تتغيّر المعادلات والموازين المعمول بها ووفقها، في المنطقة وخارجها.

رابعاً: تعاملت إسرائيل مع روسيا طويلاً، بوصْفها «رئة» لإيران، فراهنت عليها كثيراً في أن تضغط على الجانب الإيراني، عبر معادلات وأخذ وردّ ومصالح متبادلة، لتحقيق ما لا يمكن لها أن تُحقّقه هي، وراعيته أميركا، بصورة مباشرة. إلّا أن المتغيّر الجديد، وما قد يَعقبه، من شأنه أن يقلب المعادلة، لتتحوّل إيران نفسها إلى «رئة» روسية، ما يعني بالضرورة والتبعية ضرراً استراتيجياً واسع النطاق لإسرائيل.

ثالثاً: السؤال الذي يفرض نفسه في تل أبيب، يتعلّق بالثمن الذي ستدفعه في مُعاكسة للإرادة الغربية إلى هذا الحدّ، فيما الثانية لديها أسباب خاصة بها، تدْفعها إلى التمهّل في التورّط مباشرة في حرب، ترى أن استمرارها ومنع الغلَبة فيها سريعاً. على تقديرات معتدّ بها، يصبّان في مصلحتها المباشرة. أمّا بيونغ يانغ، فإن طائراتها المسيّرة بدائية جدّاً ومحدودة، ولا تلبّي المطلوب منها روسياً، وبهذا لم يبقَ أمام صاحب القرار في موسكو إلّا طهران، التي سارعت على ما يبدو إلى تلبية الحاجة الروسية، بلا إبطاء. التجربة العملية في ساحة القتال أثبتت، إلى الآن، صوابيّة اختيار الجانب الروسي للمسيّرات الإيرانية. إذ، منذ ظهور هذه الأخيرة في السماء الأوكرانية، ظهرت قدرتها على الفتك والتملّص. وفي أكثر من جبهة قتال، ما أسهم في تغيير وجه المعركة. لكن يبقى السؤال الرئيس: ما الثمن الذي تُجبيه إيران حيال تلك المساعدة؟

والتي بدأت التقارير تفيد بأنها في مرحلة الإعداد لتزويد الجيش الروسي بها. بالنسبة إلى تل أبيب، الفرص محدودة، وهي تتعلّق بتعزيز الموقف الإسرائيلي المعادي لإيران، عبر استحداث مادّة تحريض جديدة ضدّ الأخيرة، بما يفيد في تصعيد مستوى العداء الغربي لها. أمّا المراقب العسكري الإسرائيلي، فسيكون له أن يعاين فاعلية السلاح الإيراني وتأثيره، كي يستعدّ لمواجهته في «لحظة الحقيقة»، إلّا أن للتهديدات مستويات واتّجاهات متعدّدة، يمكن تلخيصها بالآتي:

أوّلاً: في مقدّمة التهديدات، مراكمة الجانب الإيراني، التصنيعي والتشغيلي، تجربة معتدّاً بها جرّاء استخدام الجيش الروسي المسيّرات الإيرانية. إذ سيصبح لدى الإيرانيين حقل تجارب عملي وواقعي، محسوس ومادّي، يتيح لهم معاينة قدرات المسيّرات على اختلافها، واستكشاف ما فيها من ثغرات، حتى يَجري العمل على تلافيها في إنتاج ما سيلي من

قلقٌ إسرائيلي متنامٍ: أيّ ثمن سيَدفعه الروس؟

حسين الأمين

يكاد يكون محسوماً أن التعاون العسكري الروسي - الإيراني، الآخذ في التصاعد في الحرب الأوكرانية، سيؤثر في مجمل العلاقات بين البلدَين، سواءً في شكلها العام، أو في أشكالها المتّصلة بكلّ ساحة من الساحات المشتركة على حدة. ومن هنا، تتّجه أنظار المراقبين وتتركّز على سوريا، حيث أوّل تجربة تعاون روسي - إيراني عسكري مباشر في ميدان مليء بالتعقيدات وتشابك المصالح وتنافرها. ولعلّ أبرز المهتمّين و«القلقين» على هذا الصعيد، هم قادة المؤسّسة الأمنية في كيان العدو الإسرائيلي، الذين يراقبون بحذر شديد مسار التعاون العسكري الروسي - الإيراني في أوكرانيا، وانعكاساته على الوقائع القائمة في سوريا، حيث تشكّل العلاقة «المستقرّة» بين تل أبيب وموسكو، أحد المداميك الأساسية التي قام على أساسها الواقع السوري الراهن. والمعلوم أن استراتيجية العدو الأمنية هناك، تتمثّل في ما بات يُعرف بـ«المعركة بين الحروب»، لمنع نقل وتطوير قدرات تسليحية نوعية لمصلحة قوى المقاومة، ولا سيما «حزب الله»، بالإضافة إلى منع تثبيت بنية تحتية عسكرية لـ«محور المقاومة» في الجنوب السوري. وبعيداً من نقاش مستوى نجاح أو فشل هذه الاستراتيجية، فإنها لا تزال قائمة، بالتالي، فإن العدو يخشى من أيّ تغيّرات قد تؤثّر فيها، أو تهزّ من استقرارها، بالحدّ الأدنى.

أمس، عقد وزير الأمن الإسرائيلي، بني غانتس، مناقشات أمنية، حضرها رؤساء الأجهزة الأمنية وقيادة الجيش، ناقشت طلب أوكرانيا تزويد جيشها بمنظومات دفاعية لمواجهة الطائرات المسيّرة - إيرانية الصنع - التي يستخدمها الروس في استهدافات حساسة ودقيقة في العمق الأوكراني. وفي ختام المناقشات، تقرّر «إطلاق تصريحات واضحة ترفض بشدّة تزويد أوكرانيا بأسلحة ومنظومات دفاع جوي»، بحسب وسائل الإعلام العبرية. يبدو القرار مفهوماً وطبيعياً؛ إذ وفقاً لتقرير في «هآرتس»، ثمّة «اعتقاد لدى المؤسّسة الأمنية الإسرائيلية، بأن تزويد أوكرانيا بمنظومات دفاعية من شأنه خرق المعادلة مع الروس في الساحة السورية»، وهذا «الأمر سيدفع روسيا إلى تزويد سوريا وإيران بمنظومات دفاع جوي متطوّرة، من طرازَي أس-300 وأس-400، ستشكّل مصاعب أمام تنفيذ إسرائيل هجمات جوّية في سوريا». ويؤكد المسؤولون في المؤسّسة الأمنية أن «أيّ مساس بالسيطرة الحصرية لسلاح الجو الإسرائيلي في المجال الجوّي في المنطقة، يُعتبر استهدافاً لأهمّ الموارد الاستراتيجية للجيش».

> قد يكون الثمن المحلّي للحرب الأوكرانية، تغيّراً جوهرياً في قواعد اللعبة في سوريا

على أن الإسرائيليين لا يخشون من تأثيرات التعاون الروسي - الإيراني على الساحة السورية فقط، بل تمتدّ الخشية إلى ما هو أبعد من ذلك، أي إلى عموم المنطقة، من إيران إلى العراق واليمن وصولاً إلى سوريا ولبنان. إذ إن أيّ تطوّر نوعي في مستوى التسليح في أيّ من هذه الساحات، ناجم عن تعاون روسي ما، من شأنه على الأقلّ أن يربك الحسابات الأمنية الإسرائيلية، وخصوصاً في ما يتعلّق بالتفوّق الجوّي. ولعلّ أكثر ما يخشاه العدو في هذا المجال هو أن يكون ثمن الدعم الإيراني للروس، هو منظومات - أو تقنيات منظومات - دفاعية جوّية من الأنواع الروسية المتطوّرة. وفي انتظار ما سيتكشّف في المرحلة المقبلة، يبدو أن القراءة الإسرائيلية لتطوّر الموقف، تنطلق من قاعدة محورية، مفادها: التعاون الروسي - الإيراني في أوكرانيا، لا يعني بالضرورة تعاوناً روسياً - إيرانياً غير تقليدي في سوريا، بل إن انخراطاً إسرائيلياً في الحرب إلى جانب أوكرانيا، هو بالضرورة سبب منطقي لقرار روسي بتعاون استثنائي أكبر مع الإيرانيين في سوريا.

خلال الأيام الماضية، حفّز مرور ما يزيد على شهر كامل على آخر عدوان إسرائيلي على الأراضي السورية، النقاش حول الثمن الذي سيسدّده الروس للإيرانيين، مقابل دعم الأخيرين. وزير الأمن الإسرائيلي، بني غانتس، شارك في هذا النقاش، وأكد أنه «لم تكن هناك ضغوط من روسيا لعدم تنفيذ هجمات في الأراضي السورية خلال الفترة الحالية»، مشيراً إلى أن العدو يتحرّك «بحسب الحاجة وليس وفقاً لأيّ أجندة أخرى». ربّما يكون صحيحاً ما يقوله غانتس، لكن هذا لا يبدّد المخاوف الإسرائيلية المتزايدة، إذ في مرحلة ما، قد يكون الثمن المحلّي للحرب الأوكرانية، تغيّراً جوهرياً في قواعد اللعبة في سوريا.

طهران تتلقّى العقوبات: مساندة موسكو خياراً حاسماً

طهران ـ **محمد خواجوئي**

تحوّل موضوع المُسيّرات الإيرانية واستخدامها من قِبَل روسيا في حربها على أوكرانيا، إلى عنوان أوّل في قائمة اهتمامات المسؤولين الأوكرانيين والغربيين، الذين يدأبون منذ أيّام على اتّهام طهران بتزويد موسكو بهذه المسيّرات. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تعدّاه إلى نشاط مركّز لتسليط مزيد من الضغوط على إيران من بوّابة «تورّطها» في الحرب الروسية - الأوكرانية. وفي هذا الإطار، أعلنت الرئاسة التشيكية للاتحاد الأوروبي، الخميس، أن «دول الاتحاد قرّرت تجميد أصول 3 أفراد - بينهم الجنرال محمد باقري، رئيس هيئة الأركان العامّة للقوّات المسلّحة الإيرانية -، وكيان واحد، مسؤولين عن توريد الطائرات المسيّرة». وفي وقت سابق، ادّعت الولايات المتحدة أن لديها «الكثير من الأدلّة» على «استخدام روسيا مسيّرات حربية إيرانية في أوكرانيا»، مؤكدة أنها «لن تتردّد في فرْض عقوبات على كلّ الضالعين في عمليات نقل المسيّرات من إيران إلى روسيا».

في المقابل، وصفت موسكو الاتّهامات الغربية في هذا الصدد بأنها «تضليل جديد»، بينما دعت السلطات الإيرانية، على لسان وزير الخارجية حسين أمير عبد اللهيان، نظيرتها الأوكرانية إلى تقديم إثباتات وأدلّة على ادّعاءاتها. لكن التصريحات التي أدلى بها المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية، علي خامنئي، الأربعاء، بدت حمّالة أوجه، بل اعتُبرت من وجهة نظر بعض المراقبين، تأكيداً ضمنياً لضلوع إيران في توريد مسيّرات إلى روسيا، حيث قال: «حتى قبل بضعة أعوام، عندما كان يتمّ نشْر الصور المتعلّقة بالتجهيزات الصاروخية والمسيّرات الإيرانية المتطوّرة، كان (الغربيون) يقولون بأنها صور مركّبة ومفبركة، والآن يقولون إن المسيّرات الإيرانية خطرة للغاية، ولماذا تبيعونها لفلان وتعطونها لفلان».

في هذا الوقت، تتسارع المساعي في أروقة مجلس الأمن الدولي لفرْض مزيد من العقوبات على طهران، التي قال مسؤولون أميركيون، قبل مدّة، إن الوقت الراهن ليس مناسباً لاستئناف المفاوضات التي كانت نشطة معها، في سبيل إعادة إحياء الاتفاق النووي. وتُعتبر الولايات المتحدة والدول الغربية أن مبيعات المسيّرات الإيرانية إلى روسيا، تُمثّل انتهاكاً للقرار 2231، الصادر عام 2015 كضامن لـ«خطّة العمل المشتركة الشاملة». وبموجب هذا القرار، لم يكن يحقّ لإيران تصدير الأسلحة التقليدية حتى عام 2020. لكن بعد الانسحاب الأحادي لإدارة الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب، من الاتفاق النووي عام 2018، وبدء سياسة «الضغوط القصوى»، أعلنت الجمهورية الإسلامية، عام 2020، استناداً إلى القرار المذكور، أن فترة حظر صادرات أسلحتها قد انتهت، فيما لم يوافق مجلس الأمن الدولي على طلب الإدارة الأميركية آنذاك تمديد القيود على مبيعات السلاح الإيراني. لكنّ الدبلوماسيين الغربيين يُحاججون بأنه على الرغم من انتهاء فترة الحظر، فإن الأخير لا يزال ينسحب على المنظومات الصاروخية المتطوّرة حتى تشرين الأول 2023 على أقلّ تقدير. وفي ظلّ إعطاء تفسير موسّع لذلك النصّ، يذهب هؤلاء الدبلوماسيون إلى أن القيود على مبيعات السلاح الإيراني تشمل التكنولوجيات المتطوّرة، بما فيها تكنولوجيا الطائرات المسيّرة أيضاً، وهو التفسير الذي ترفضه إيران. ويبدي الطرف الغربي تخوّفاً كبيراً من احتمال أن يؤدّي استخدام روسيا «الدرونز» الإيرانية، إلى إعادة تفوّق موسكو العسكري على الأرض، ولا سيّما أن نتيجة هذه الحرب يمكن أن ترسم ملامح نظام جديد على الصعيد الدولي. ونقلت صحيفة «واشنطن بوست»، قبل أيام، عن مسؤولين أمنيين أميركيين وحلفائهم قولهم إن إيران تتحضّر لإرسال المزيد من الأسلحة إلى روسيا. وبحسب هذا التقرير، فقد اتّفق البلدان، بصورة «سرّية»، على أن ترسل طهران، فضلاً عن المسيّرات العسكرية، أسلحة أخرى إلى موسكو، بما فيها صواريخ «أرض-أرض». ويأتي التوتّر الإيراني - الغربي المتجدّد، في وقت تسبّبت فيه الاضطرابات الأخيرة في إيران، بمزيد من التدهور في علاقات طهران مع الغرب، وتحوّلت إلى سبب لفرض عقوبات جديدة على الجمهورية الإسلامية. لكن خلافاً لما يريده الغربيون، يرى المراقبون أن تكثيف تلك الضغوطات، سيدفع إيران إلى تعميق علاقاتها مع روسيا والصين، وتعزيز سياسة التحوّل شرقاً.

> يكثّف العسكر الأميركي - الغربي نشْر التقارير والمعلومات حول الدور الإيراني في الحرب

وصفت موسكو الاتهامات الغربية لإيران بأنها «تضليل جديد» (أ ف ب)

تراجع الجنيه الإسترليني الى اقلّ مستوياته مقابل الدولار الاميركي (أ ف ب)

تقرير استجابت الأسواق بحذر لإعلان ليز تراس تنحيها كرئيسة للوزراء بعد 44 يوماً فقط من تولّيها المنصب، حيث صعد الجنيه الإسترليني مقابل الدولار الأميركي، وأغلقت بورصة لندن على ارتفاع طفيف. وإذ عبّر ذلك بوضوح عن الارتياح إلى سقوط المشروع الاقتصادي - الاجتماعي الهلامي الذي حملته تراس، فإن الخلف لا يزال حاضراً ومتصاعداً بشأن معالم المرحلة التالية، لا سيما في ظلّ هشاشة الثقة بقدرة حزب «المحافظين» الحاكم على تصعيد شخصيات قادرة على إعادة إنهاض الاقتصاد البريطاني

ثالث رئيس وزراء خلال شهرَين
المنقذ البريطاني لا يأتي

لندن ـ **سعيد محمّد**

ستّدخل ليز تراس التاريخ حتماً، بوصفها صاحبة أقصر ولاية في رئاسة وزراء المملكة المتحدة، بعدما أعلنت، أوّل من أمس، من أمام مقرّ الرئاسة (في 10 دوانينغ ستريت في لندن)، أنها أبلغت الملك تشارلز الثالث برغبتها في الاستقالة من زعامة حزب «المحافظين»، والتنحّي عن المنصب الأهمّ في السلطة التنفيذية في البلاد، بعد 44 يوماً فقط من وصولها إليه، من خلال انتخابات داخل الحزب، خلفاً لبوريس جونسون. ويبدو أن قيادة «المحافظين»، الذين يتمتّعون منذ عام 2019 بغالبية مريحة في مجلس العموم مَكّنتهم من احتكار السلطة حتى موعد الانتخابات المقبلة في كانون الثاني 2025، أعلمت برغبة الملك في تسريع عملية تصعيد رئيس وزراء جديد، لتجنّب وقوع البلاد في مزيد من الفوضى. ولذا سارع غرهام برادي، رئيس لجنة النظام الداخلي في الحزب - تُعرف بـ«اللجنة 1922» -، إلى تجاوُز الإجراءات التقليدية التي تستغرق عادةً أكثر من شهرين، مُعلناً تنظيم عملية مستعجلة - على مرحلتَين - لانتخاب خَلَف لتراس، يُفترض أن تُحسم مع نهاية الأسبوع المقبل (الجمعة 28 تشرين الأوّل)، بحيث يمكن للحكومة عندها تقديم خطّتها المالية المنتظرة بعدما بثلاثة أيام (31 أكتوبر). واشترطت اللجنة تأييد 100 - كحدّ أدنى - من نوّاب الحزب في مجلس العموم (مجموع عددهم 356) لقبول ترشيحات المتنافسين.

وكانت تراس أعلنت، في كلمة مقتضبة أمام الصحافيين، أنها لم تَعُد قادرة على الوفاء بالتفويض الذي منحه إيّاها حزبها من أجل تحقيق النمو الاقتصادي والتخفيضات الضريبية، وأنها لذلك استقالت، وستُدير حكومة تصريف الأعمال إلى حين انتخاب خَلَف لها. وجاء هذا بعدما أطلقت رئيس الوزراء المنصرفة حالة هستيريا في الأسواق لدى إعلانها تفاصيل خطّة الإنفاق وتخفيض الضرائب في ميزانيّتها الموجَزة من دون تحديد مصادر تمويلها، مُتسبّبةً باهتزاز مكانة الأدوات المالية السيادية للدولة البريطانية، وتراجُع قيمة عملة البلاد إلى أقلّ مستوياتها التاريخية على الإطلاق مقابل الدولار الأميركي. وفي وقت تُواجه فيه بريطانيا واحدة من أسوأ حالات فُقدان الثقة في تاريخها، حيث ارتفعت تكلفة اقتراضها لتَفوق مستويات دول مفلسة من مثل إيطاليا واليونان، فشلت تراس في تسويق خُطّتها لإخراج المملكة من الركود الاقتصادي واستعادة النمو، ما اضطرها إلى التراجُع عن أجزاء منها، والتخلّي لاحقاً عن وزير ماليّتها وحليفها المقرّب كواسي كوارتنغ، واستبداله بجيريمي هانت، الذي سارع إلى إلغاء معظم الأجزاء الأخرى من الخطّة، وشرع في العمل على ميزانية جديدة يُفترض به تقديمها إلى مجلس العموم في 31 الجاري. لكن تلك الإجراءات لم تقنع الأسواق العالمية، كما لم تفلح في تخفيف الضغوط عن بنك إنكلترا المركزي، ولذا لم يكن ممكناً إبقاء تراس في السلطة حتى الموعد المذكور من دون تكلفة باهظة. وزادت الأمر سوءاً استقالةُ وزيرة الداخلية - بحجّة تحمّل المسؤولية عن إرسال معلومات رسمية عبر البريد الإلكتروني الشخصي -، كما بعض كبار مساعديها، في ما قُرئ على أنه استعداد لمغادرة السفينة المتّجهة إلى الغرق.

الآن، وبحسب المراقبين ومكاتب المراهنات في لندن، فإن ريشي سوناك - وزير المالية في حكومة جونسون ومنافس تراس في الجولة الأخيرة من انتخابات الحزب بداية أيلول الماضي - يُعدّ أقوى المرشّحين لتولّي المنصب بحُكم خبرته المديدة في التعامل مع الأسواق، مصرفياً ووزيراً. لكن ثمّة مرشّحين آخرين لديهم قاعدة دعم مهمّة بين نواب الحزب الحاكم، ومنهم بيني موردونت، وبن والاس، وسويلا برافرمان، وكيمي بادنوخ، إلى جانب بوريس جونسون، رئيس الوزراء السابق، الذي حصل في استطلاعات الرأي على أعلى نسبة تأييد شعبي في أوساط «المحافظين» (حوالى 160 ألف عضو)، فيما يُعتقد أنه لن يتمكّن من جمْع أصوات كافية بين النوّاب لخوض المنافسة. وفي المقابل أعلن جيريمي هانت، الذي يدير حقيبة المالية، عزوفه عن الترشّح، وكذلك فعل الوزير السابق، مايكل جوف.

على أن رحيل تراس، وتصعيد خليفة لها من داخل صفوف الحزب الحاكم، لن يكون كافياً بالطبع لتدارُك عاصفة الأزمات المتراكمة التي تُواجهها المملكة، والتي تبدو أعمقَ وأكبر من أن تتمكّن الفلسفة الاقتصادية النيوليبرالية للمحافظين من حلّها. وفي الحقيقة، فإن رئيسة الوزراء المغادِرة لم تكن سوى واجهة أخرى لتوجّهات المحافظين اليمينية بشكل أو آخر، لا سيّما تلك النوّاة الصلبة من النيوليبراليين، والتي تريد فرْض نموذج متطرّف من سياسة عالمي لتبييض الأموال والاستثمار والخدمات. ولذلك، فإن أيّ رئيس وزراء مقبل لن يستطيع إخراج بريطانيا من هذه الحلقة المفرغة. ويُخشى كثيرون، الآن، من أن إلغاء خطط تراس الاقتصادية، يعني بالضرورة استعادة استراتيجية تقشّفية، تكون محاورها تقليص الإنفاق العام، وتخفيض التقديمات الاجتماعية للفئات الأقلّ حظاً، وإلغاء المساعدات الدولية التي تقدّمها بريطانيا لحلفائها الفقراء، وربّما فرض مزيد من الضرائب. ومن شأن استراتيجية من هذا النوع أن تُطمئن رؤوس الأموال بشأن قدرة بريطانيا على الدفع والوفاء بالتزاماتها للدائنين، لكنها ستكون أشبه بـ«فيلم رعب» للطبقة العاملة التي تراجعت دخولها الحقيقية إلى مستويات قياسيّة لم تشهدها البلاد منذ أكثر من أربعين عاماً. وكانت أجندة التقشّف التي تبنّاها رئيس الوزراء (المحافظ) الأسبق، ديفيد كاميرون، ووزير ماليّته، جورج أوزبورن، للتعامل مع مترتّبات الأزمة المالية العالمية (2008)، قد هشّمت النموّ الاقتصادي، وأفشلت جهود استقطاب المستثمرين، وأنهكت الخدمات العامّة، وأفقرت الملايين من الفئات المهمّشة والمعدمة أصلاً.

> **تصعيد خليفة لتراس لن يكون كافياً بالطبع لتدارُك عاصفة الأزمات المتراكمة**

إزاء ذلك، دعت أحزاب المعارضة إلى إجراء انتخابات عامّة فورية، وجادلت بأن المحافظين لم يَعُد لديهم تفويض شعبي للانفراد بالحُكم. ونقْل عن كير ستارمر، زعيم «حزب العمل»، قوله: «بعد اثني عشر عاماً من تراكُم فشل حزب المحافظين، يستحق الشعب البريطاني أفضل من هذا». وطالب إيان بلاكفورد، زعيم «كتلة الحزب الوطني الإسكتلندي» في مجلس العموم، من جهته، بـ«إجراء انتخابات عامّة بصفة عاجلة»، فيما قالت كارلا دينير، من قيادة «حزب الخضر»: «لقد تصاعدت فوضى (سيرك) المحافظين بما يتجاوز أيّ ادّعاء بأن لهذي البلاد حكومة قابلة للحياة».

تحرير الأسواق. وتتبنّى النُخبة الحاكمة، منذ حكومة مارغريت تاتشر (بداية الثمانينيات من القرن الماضي)، نهجاً نيوليبرالياً متكاملاً يمثّل مصالح القلّة المتنفّذة؛ إذ خصخصت بشكل شبه كلّيّ قطاعات الطاقة والنقل والمياه، وفتحت أبواب قطاعات التعليم والصحّة والبريد للمستثمرين، وقلّصت من تعداد قوات الجيش والبوليس، وفرضت سياسات تقشّف قاسية، وتجنّبت الإنفاق على البنية التحتية، وأغدت كمصرف توضع اقتصاد المملكة

◄ وفيات ►

بقلوب يملؤها الحزن عامرة بالإيمان ننعى إليكم فقيدنا الغالي المغفور له بإذن الله تعالى
المرحوم
السيد حسن محمد حيدر مصطفى
زوجته: سمر خاتون
والده: المرحوم السيّد محمد حيدر مصطفى
والدته: سعاد شريف رضا
ابنته: ديما زوجة فايز صائب مطرجي
عمه: السيّد علي حيدر مصطفى
شقيقه: محمود محمد مصطفى
زوجته لارا ربيعة
شقيقاته: ليلى زوجة المهندس حسين محمود عمّار، علياء زوجة الدكتور يوسف ضاهر،
غادة زوجة المرحوم محمود حيدر، رغدة زوجة عدي أسعد.
أشقاء زوجته: واصف خاتون زوجته نهاد الهبر، علي خاتون زوجته نجلاء الأسعد، زين خاتون زوجته لينا رباط.
شقيقات زوجته: لويزا زوجة محمد شومان، أوصاف زوجة المرحوم زياد عيتاني، وهلا خاتون.
صُلّيَ على جثمانه الطاهر ظهر أمس الجمعة الواقع فيه 25 ربيع الأول 1444 هـ الموافق لـ 21 تشرين الأول 2022 م، حيث ووريَ الثرى في مدافن العائلة بجبانة روضة الزهراء صور.
تُقبل التعازي للرجال والنساء في الثاني والثالث اليوم السبت وغداً الأحد 22 و23 تشرين الأول 2022 م، في قاعة متخرّجين الجامعة الأميركية AUB Alumni (الوردية) وذلك من الساعة الثالثة بعد الظهر لغاية الساعة السادسة مساءً.
الراضون بقضاء الله وقدره: آل حيدر مصطفى، خاتون، رضا، مطرجي وأنسباؤهم وعموم عائلات الفقيد

زوج الفقيدة المهندس شوقي فرحات
بناتها كارول زوجة نايف مجدلاني وابنتها: ريا
لارا زوجة فهد خباز وولداها: جوي وغبريال
جويا زوجة نايف قساطلي وأولادها: ياسمينا وغيا وأكرم
شقيقها عائلة المرحوم سهيل (في المهجر)
أسلافها أفلين أبي نادر أرملة المرحوم ريمون فرحات
عائلة المرحومة نجاة اينا (في المهجر)
نوال زوجة إيلي بدور وعائلتها (في المهجر)
إلهام أرملة المرحوم جهاد أبو جوده وبناتها: مايا وزينه وبمنى وعائلاتهن
وعموم عائلات فرحات، رزق الله، غطاس، مجدلاني، خباز، قساطلي، أبي نادر، ابينا، بدور، أبو جودة وأنسباؤهم في الوطن والمهجر ينعون إليكم بمزيد من الحزن والأسى فقيدتهم المأسوف عليها
المرحومة
سهى نصري رزق الله
زوجة المهندس شوقي فرحات
المنتقلة إلى رحمته تعالى يوم الجمعة 21 تشرين الأول 2022 متممة وأجباتها الدينية.
يحتفل بالصلاة لراحة نفسها الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الأحد 23 الجاري في كنيسة سيدة العطايا، الأشرفية ثم توارى الثرى في مدفن العائلة، راس النبع.
تقبل التعازي قبل الدفن في صالون الكنيسة ابتداءً من الساعة الحادية عشرة قبل الظهر. ويوم الاثنين 24 في صالون كنيسة سيدة العطايا، الأشرفية ابتداءً من الساعة الحادية عشرة قبل الظهر ولغاية الساعة السادسة مساءً.

◄ إعلانات رسمية ►

إعلان شطب
صادر عن السجل التجاري في بيروت بموجب محضر الجمعية غير العادية تاريخ 2022/10/6 تقرر بتاريخ 2022/10/12 حل شركة الأثير الدولية ش.م.ل. (أوف شور) رئيس مجلس إدارتها مديرها زياد ابراهيم حموي وشطب قيدها من السجل التجاري حيث هي مسجلة تحت الرقم /1807329/ ورقم تسجيلها في وزارة المالية /2915893/.
على كل ذي مصلحة تقديم اعتراضه وملاحظاته خلال مهلة عشرة أيام من تاريخ أخر النشر.
أمين السجل التجاري
بالتكليف مارلين دميان

اعلان قضائي
صادر عن محكمة بيروت المذهبية الدرزية – الدرجة الأولى
إلى المدعى عليه سلامة حسن هاني
بتاريخ 2022/06/20 صدر القرار بفسخ زواجكم غيابياً من المدعية انصاف حافظ كليب بالقرار رقم 2022/51 وإلزامكم بدفع الحقوق الزوجية والنفقات المتوجبة.
رئيس القلم
خلدون عبدالصمد

إعلان
لأمانة السجل العقاري الأولى في الشمال
طلب حنا رماز حبيب بصفته أحد ورثة رماز بطرس حبيب سند بدل ضائع بالعقار رقم 59، 435، 266، 198، 196 و62 زغرتغرين.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
أفلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري الأولى في الشمال
طلب يوسف خليل بو ملحم بصفته أحد ورثة خليل محسن بو ملحم سند بدل ضائع بالعقار رقم 31 جرجورة.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
أفلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري في الشمال
طلب المحامي ايلي ضومط أيوب بوكالته عن نزّيه انطونيوس يوسف بصفته أحد ورثة موره حنا بطرس وميليه (ميليا) مخايل يوسف وأنطونيوس (مطانيوس) مخايل يوسف وورده يوسف سركيس ووهيبه مخائيل يوسف جريج سندات بدل ضائع للعقار 233 - 863 - 1076 - 952 بحويتا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
أفلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكوره
طلب ابراهيم رهيف جبور بالوكاله عن سيلفانا يوسف البابا الدويهي بصفتها وكيله عن يوسف نديم البابا الدويهي سند بدل ضائع للعقار 4/455 زغرتا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
ندين الحصري

إعلان
لأمانة السجل العقاري الأولى في الشمال
طلب بسام محمود عيسى وزوجته رويدة حسين قدور بالأصالة عن نفسهم سند بدل ضائع وشهادة تأمين بالعقار رقم 6680 القسم 12 بلوك A زيتون طرابلس.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
أفلين موسى

استراحة

كلمات متقاطعة 4153

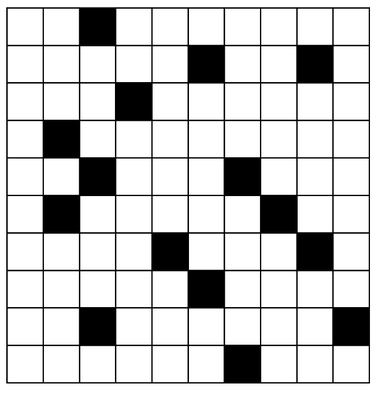

افقيا
1- الإسم القديم لدولة تايوان – نعم بالروسية – 2- حُب – ذكرى مرور أعوام على حدث – 3- مدينة يابانية – إنتفاخ في الجلد جراء حادث – 4- ممثل سوري قدير – 5- أنشد الشعر كأنه يغنّي – ماركة مفاتيح – خنزير بزي – 6- ضمير منفصل – الفئات من الذهب – 7- مغنية جزائرية معروفة – أخرس أطرش – 8- خلاف قريب – آلة ذات سائقين لرسم الدوائر – 9- عاصمة أفريقية – جرذ بالأجنبية – 10- أبغض – من أسماء الخمرة

عمودياً
1- رئيس لبناني راحل – 2- من الألوان – إنتشر الطيب – 3- دولة عظمى – ماركة سيارات – 4- حبر – يجري في العروق – 5- ضعيفة متعبة – متشابهان – 6- طواف بمناسبة أعياد – أدخل أزرار الثوب في عُراها – 7- حرف عطف – غابة أرز لبنانية – 8- طائر الشوم – إلهة – 9- مسكن الرهبان – بهار هندي – 10- البلاد المحتلة من قبل دول كبيرة تخضع لسيطرتها

حلول الشبكة السابقة

افقيا
1- شارل الحلو – 2- فرنكو – مورس – 3- يد – الضرغام – 4- قندهار – وتيْ – 5- أبقونات – ري – 6- يُفاتحه – 7- ورق – رودس – 8- زو – سديم – رع – 9- أسمر – دبي – 10- نوري السعيد

عمودياً
1- شفيق الوزان – 2- أردني – روسو – 3- رن – دقيق – مر – 4- ل ا ه و ف – سرّي – 5- اولان اود – 6- ضرّات – يحلّ – 7- خُمّر – تحرم – 8- لوغو – هو – دع – 9- ورائي – دربي – 10- سميرة سعيد

sudoku 4153

	1		8	6				3
	4	5	1					
	7			3				5
7	8		3		2			9
2		4		9			1	
			7		8		3	
1		3				9	8	
					1	3		2
8		6	2					

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4152

7	3	8	4	6	9	2	1	5
2	5	4	8	7	1	6	3	9
1	6	9	2	5	3	7	4	8
6	4	2	9	8	7	3	5	1
5	8	3	1	4	2	9	7	6
9	1	7	6	3	5	4	8	2
4	2	1	7	9	8	5	6	3
8	7	5	3	2	6	1	9	4
3	9	6	5	1	4	8	2	7

مشاهير 4153

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

كيميائي حيوي وعالم غدد صماء أميركي (1925-1998). نال جائزة نوبل في الطب عام 1994

9+10+3+7=4 = عاصمة عربية ■ 1+2+5+6 = نهر فرنسي ■ 11+8 = خاصم أشد الخصومة

إعداد
نعوم مسعود
حل الشبكة الماضية: **غانم الجميلي**

البلاد

نبض الضفة

عدي
كلّ الكلام

مطر عدوان

يسأل مراسل إحدى القنوات الإسرائيلية شاباً فلسطينياً أمام مخيم شعفاط، عن سبب وضعه لصورة إبراهيم النابلسي، فيجيبه الشاب: الله يرحم روحك يا إبراهيم النابلسي. يسأله مجدداً، عن شعوره، حين يسمع باسم «عرين الأسود»، فيجيبه الشاب: «بحس إنه إشي كبير، إشي منيح إشي حلو». ويسأله، عن أن الشرطة تقوم بالبحث عن الشاب الذي قتل الجندية عند حاجز مخيم شعفاط، فيقول له الشاب: «يدورو عليه يدورو عليه، خليه الله يحميه، أنشالله ما بلاقوه».

تلك الإجابات، مسار يعود إلى فلسطين، ترسمه أيادٍ لم تقبل بالذل «سبحانك.. كل الأشياء رضيت سوى الذل». هذا الفتى من مخيم شعفاط، كما يوحي التقرير للقناة الإسرائيلية، يبدو أنه ليس صحيحاً إن قلنا «لم يعد يقبل»، إنما الصحيح أنه لم يقبل منذ وُلد أن يكون «في قفص في بيت السلطان»، والسلطان هنا احتلال، قتاله حرّ وإلزامي، ليس فقط لنيل حرية تأخرت 74 عاماً، بل لإنهاء الظلم والاستبداد في فلسطين والعالم الذي، بعد أن احتُلت فلسطين على أيدي الصهاينة، بات يتعامل مع الظلم على أنه أمر قابل للوجود دون استحياء، وبالتالي سيحصل في غير مكان من الأرض، وذلك إذا حضر شرط القوة أمام شرط «الضعف». فلغة القوة هي التي تقرّر فقط، وتفرض مفرداتها على الآخرين. لكن فلسطين تمكّنت من تغيير القواعد، فقد نجحت الأسطورة بأن تكون واقعية تماماً، وأن تتسلّل إلى أرواح الفلسطينيين، فيشعرُ حاملُ البندقية، والشاعر، والفلاح، والموظف، يشعرُ الشعبُ كلّه، أنه جزء من الأسطورة، فيفعل ما يفعل، ويحيا، أقلها، رافضاً للاستسلام -رغم استسلام قيادته- ويبقى على توازن حي في العالم. فشعب فلسطين يجد نفسه، من حيث يدري، يدافع عن بقايا القيم بين البشر، والبقايا تلك، تتمثل في شعب تتم شيطنته، ورفضه، ويراد له أن يصبح أطلالاً، بإرادة إسرائيل، لكن هذا الشعب يظل واقفاً، يقع ويقف، ويطلق من مدسسه حكاية للحياة «فانتصر أنت انتصر، سلمت يداك».

إن إجابة ذاك الشاب قبالة مخيم شعفاط، كانت قبل استشهاد عدي التميمي، واليوم مع كتابة هذه السطور، التحق عدي بإبراهيم النابلسي وأحمد جرار ومهند الحلبي وغيرهم من باقي الشهداء. لبّى الله دعاء الشاب بأن لا يجدوه، فعدي الذي عاد إليهم وأطلق النار عليهم عند مستوطنة «معاليه أدوميم»، فأطلقوا النار عليه، فقام، وقاوم، فأطلقوا، فقام وقاوم، فقاوم، وقاوم، حتى قام.

إن ما شاهدناه في صور كاميرات المراقبة، أثناء انقضاض عدي عليهم، يعيد النظر إلى تلك البطولات التي سمع معظمنا عنها في مواجهة إسرائيل، في الجبهات المختلفة، بعض القصص كانت تروى، ويشعر المرء أنها قصص مفبركة ومبالغ ببطولات أصحابها. لكننا رأينا بأم العين والقلب والعقل، ما فعله عدي، ما فعله الشهداء قبل عدي، وما سيفعله الشهداء بعد عدي، ما رأيناه، يؤكد أن البطولات لم تكن متوهمة، ولم تكن أقل من الوصف والإيضاح، بل كانت بمستوى القضية التي يذهب الجميع من أجلها، شهداءً أو أسرى، مناضلين ومقاومين...

عدا عدي منذ ليال وحيداً، لا نعرف أين كان، وليس مهماً أن نعرف أكثر مما عرفنا، فكلهم كانوا يحلمون، باللحظة التالية للتخفي، باللحظة التي سيعاودون فيها الاشتباك، في الثانية التي ستخترق أجسادهم رصاصات الاحتلال، في الوصية التي ستبقى بعدهم لغيرهم، لنا، لي وأنا أكتب هذه الكلمات، واتركها مرات لأقرأ وصية يُقال أنها لعدي موقّعة باسمه بتاريخ 11/10، ولأضعها هنا، ليقرأها من لم يقرأ بعد كل الكلام: «أنا المطارد عدي التميمي من مخيم الشهداء شعفاط. عمليتي في حاجز شعفاط كانت نقطة في بحر النضال الهادر. أعلم انني سأستشهد عاجلاً أم آجلاً، وأعلم أني لم أحرر فلسطين بالعملية. ولكن نفذتها وأنا واضع هدفاً أمامي. أن تحرك العملية مئات من الشباب ليحملوا البندقية بعدي/ المطارد عدي 11-10».

رسم نهاد علم الدين

أبو رعد على جدران المخيم

موسى السادة

عقود تراكمت على بدء النضال الفلسطيني، تبدلت فيه وسائل تعبير المجتمع عن ذاته وتطورت، وصولاً إلى وسائل التواصل الاجتماعي على الإنترنت. إلا أنه وحين الحديث عن الشعب الفلسطيني لا تمسي الأدوات والرموز الوطنية انعكاساً لوجود موجود كأي مجتمع آخر، فعلاقة الفلسطيني وتحديداً المخيمات مع الرموز الوطنية والنضالية، ليست علاقة شعب يحتفي بتاريخ أو حتى حاضر أرض يقطنها. فالوطن لا وجود له، فقد هُجّر وطُرد منه وسرقه الاحتلال، الأمر أشبه باحتفاء بفكرة، بالعودة للوطن. وعليه، تمسي مسألة صياغة الرموز وتجسيدها المادي أمام الأعين أو لتسمعها الآذان، حماية لوجود غير ثابت أو جامد، هو صون مخيال جماعي وهوية ورفد للذاكرة تتحرك على خط التاريخ حتى تؤول، في الأخير، إلى الوطن، إلى فلسطين. لربما هذا هو تفسير أمد علاقة أبناء المخيمات بالجدران، فتاريخ استخدام جدران المخيم كوسيلة لم تستبدلها أخرى على مر العقود، والرسم على جدران المخيم قديم قدم النضال الفلسطيني ذاته. لم تنجح أي الوسائط الحديثة من استبدالها، والمميز أن العلاقة بالجدار هذه، وبشكل عفوي هو سمة كل مخيم على طول الجغرافيا من مخيمات غزة إلى لبنان، فيسعنا أن نتخيل أنه وقبل الفايسبوك والإنترنت، وحتى اليوم كانت ولا تزال المخيمات الفلسطينية وأهاليها يتواصلون بشكل عابر للحدود على صفحات الجدران في فضاء موحّد. دأب العدو على إبعاد جزر المخيمات المنتشرة على طول الخريطة، والتي تؤرقه وتحيط به، بل مزروعة في قلبه، ولأنه يعرف كيف أن هذه الرسوم على الجدار هذه في حد ذاتها جبهة، قام بمحاربتها، وليس فقط بطمسها حيث أمكنه، بل حتى حلفائه الغربيين عملوا على تمويل رسومات في مخيمات لبنان تطمس صور الشهداء والكفاح لتستبدلها بألوان ومزهريات. الغاية هنا، إنتاج قطيعة بين المخيم وخطه التاريخي ومسيرته النضالية وتفاعله مع المقاومة في فلسطين، وتحويله لوجود ثابت، فسيموك الأوربيون لتلون جدرانه بألوان برّاقة، كرسالة بأن عليك الاستسلام للواقع، أن هذه هي محطتك النهائية. وهو ما يتكرر مع ولع اليسار الغربي بجدار الفصل في داخل فلسطين، وحج الرسامين الغربيين لممارسة الترف، لتومين وتسليع الكفاح الفلسطيني وإكمال مشروع دفنه وإخصائه.

(فاطمة جمعة)

من هنا تأتي أهمية التعامل مع جدران المخيمات كجبهة، وهي بالأهمية بمكان اليوم أكثر مما مضى، حيث إن صون شخصية وأنفة المخيم مهمة في المساهمة في انتفاض الضفة والقدس ومخيماتها المحاصرة والمستهدفة من جنين إلى شعفاط. وعليه، فإن مقارعة أموال الأوروبيين ومساهمتهم ودعمهم المديد لمشروع الإبادة الصهيوني، عبر إعادة نسج علاقة عابرة للحدود بين المخيمات، في تفاعل وانخراط حقيقي في النضال الملحمي الذي يخوضه الشعب الفلسطيني هي جبهة أساسية.

ومن ضمن هذه الجبهة يمثل رسم شخصية كـ"أبو رعد" والد الشهيدين الفدائيين رعد وعبد الرحمن (أنجز العمل مجموعة من الفلسطينيين واللبنانيين تحت اسم "مجموعة خط") على جدران أثراً مضاعفاً.

فنضال الضفة اليوم وولّاد برموزه ومجموعاته المنطلقة بشكل سُفلي متحرر من الفصائلية وبرموز عضوية الانتماء في المجتمع الفلسطيني بالضفة ونسيجه واعتباراته الخاصة. وهو ما يجسده أبو رعد اليوم كرمز يحشر ذلك، وهو ما يؤرق العدو الذي ألف سياسات معلبة لقمع أي بوادر نضال في الضفة عبر إغراقها بسيل من التناقضات الداخلية. فرمزية القادة في أي تحرك اجتماعي في غاية الأهمية، وطالما دأب العدو على اغتيال أي شخصية فلسطينية ذات بوادر قيادية، فبالمنظور الصهيوني ممنوع أن يكون للجمهور الفلسطيني قادة أو رموز.

بشكل عفوي ويقيني كيّف أبو رعد تلاوة الآيات القرآنية المحرضة على القتال بشكل يشحذ همة المقاومين والجمهور، ومن دون تصنّع حيث من الواضح وقعها عليه وهو الذي ضحى بفلذات كبده. وهو ما كررته جدارية مخيم برج البراجنة، وبالعبرية في رسالة مباشرة من جبهة جدران المخيم إلى عصابات الصهاينة "إنا منتقمون".

مستنقع الضفة يستنزف المستعمرين

حوراء قبيسي

لم تكن إسرائيل بحاجة للتمسك بخطاب العملية العسكرية طوال الأشهر الستة الماضية إلى الآن لو أنها تمكّنت من استئصال الحالة التي أفرزت لأجلها العملية، إلى أن بات اسم «كاسر الأمواج» يلصق حتى في بيانات الاعتقالات الروتينية القائمة منذ سنوات في الضفة، للقول بأن عملية «الردع» تواكب التصعيد الحالي بما يحفظ «أمن إسرائيل».

إلا أن الترجمة الميدانية تشير إلى وجود خطين متعارضين: تراجع خط الردع والأمن الإسرائيلي مقابل تعاظم جرأة العمليات القاتلة ومفاعيل المقاومة، ما أوقع المؤسسة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية في مربع الاستنزاف ودوامة المشاغلة، ولم تجد طاولة القرار في إسرائيل خياراً، سوى تبني سياسة «إطفاء الحرائق» التي أشار إليها اللواء في احتياط جيش الاحتلال عاموس جلعاد، من خلال المعالجة المؤقتة للتحديات والقضايا المشتعلة، والإغفال عن دراسة الأرضية المعمقة لصياغة استراتيجية شاملة، بالتالي الانجرار إلى مستنقع البؤر الساخنة، التي لم تنجح المؤسسة الأمنية بكل الأحوال في إخمادها، وكسر الدائرة المفرغة في البحث عن الأمن المفقود.

«المشاغلة حد الاستنزاف»

المُخرجات العكسيّة التي نتجت من «كاسر الأمواج» أبقت لزاماً على الخطاب الإعلامي الإسرائيلي حصر ما يجري في إطار «موجة تصعيد» ونبذ كل ما له علاقة بـ«انتفاضة» أو «هبة»، باعتبار أن مبدأ الشمولية الشعبية غير حاضر في مفردات الساحة الفلسطينية الحالية. لكن الالتصاق بالوصف المذكور مقارنة بالفشل العملياتي دليل على عمق الفجوة بين الميدان والخطاب السائد، وهو في الحقيقة ما يُبْقي الاحتلال في مربع المراوحة نفسه.

ما يحدث لا يمكن قراءته بعدد الشهداء والجرحى مقابل ما يتكبّده الاحتلال من خسائر، بل انجرار عسكري وتطويق ذاتي في استراتيجية سبق وأثبتت فشلها. يُستدل على ذلك بما تقدّمه الأرقام من معطيات؛ ففي الضفة يحرس حالياً «55% من حجم القوات، التي تركت حراسة دولة إسرائيل»، بحسب ما أفاد محلل الشؤون السياسية، أمنون أبرامويتش، «القناة الـ12»، مضيفاً أن «قوات اليمام واليسام تتواجد جميعها على الأرض»، وفي الأسبوع الأخير تم تعزيز 3 كتائب إضافية.

يضاف إلى مزراب التعزيزات قرار وزير الأمن الداخلي في إسرائيل، عومر بار ليف، باستقدام «4 سرايا من حرس الحدود في القدس، من أصل 10 سرايا تم وضعها في حالة تأهب». سبقها انتشار أكثر من 25 كتيبة في الضفة وحدها خلال فترة الأعياد اليهودية، مع قرار تعزيز محافظة نابلس بوحدة «غولاني»، بالإضافة إلى نشر مئات من عناصر الأمن في منطقة القدس، وتعزيزات من قوات شرطة الاحتلال وقوات حرس الحدود.

بالنتيجة، وجدت هذه القوات نفسها أمام إنهاك أمني تتطلب منها التعامل في الأسبوع الأخير فقط، مع 162 نقطة مواجهة، و40 عملية إطلاق نار، و66 عملية إلقاء عبوات متفجرة وزجاجات حارقة في عدة مناطق من الضفة. وفي المشهد الأعم لشهر تشرين الأول، لاحقت القوات منذ بداية الشهر أكثر من 67 عملية إطلاق نار، 102 عملية إلقاء عبوات متفجرة وزجاجات حارقة، بينما سجل شهر أيلول 212 عملاً مقاوماً، و34 عملية إطلاق نار.

في المحصلة، عملية نقل نصف الجيش ووحداته الخاصة إلى جبهة الضفة لم يحم 44 جندياً ومستوطناً من التعرض للإصابة أو العمليات الهجومية، كما لم تمنع التعبئة الميدانية واللوجستية والاستخباراتية من تشييع جنديين في جيش الاحتلال، ومرة أخرى حدث كل هذا خلال أسبوع واحد.

> **في المحصلة، عملية نقل نصف الجيش ووحداته الخاصة إلى جبهة الضفة لم يحم 44 جندياً ومستوطناً من التعرض للإصابة**

للوصول إلى أرضية الاستنزاف الساخنة، لا ينبغي تحديد حجم التشغيل للوحدات الاستخباراتية المرافقة عند أي نشاط عملياتي أو اقتحام، أو في حال وقوع أي حدث أمني أو حتى إنذار خاطئ، كما لا يمكن قياس الاستنزاف بعدد القوات، وإغفال الجانب اللوجستي والآليات العسكرية والأسلحة الفاعلة في الميدان، حتى الجوية منها.

يظهر ذلك جلياً في إحصاء قامت به «الأخبار»، رصد حجم الاستنزاف الميداني لجيش الاحتلال على مدى 45 يوماً (من 1 أيلول وحتى 15 آب) شمل محافظات الضفة كافة، إذ كشف عن قيام الجيش بتنفيذ 130 اقتحاماً، والتعامل مع 53 عملاً مقاوماً ما بين إطلاق نار وعبوات متفجرة، كما انخرط في 69 اشتباكاً مسلحاً، تصدّرت جنين النسبة الأعلى تليها نابلس. تطلب لإتمام الأنشطة العملياتية المذكورة كافة تشغيل 14436 جندياً من الجيش والقوات الخاصة ووحدات النخبة، واستخدام 1722 آلية عسكرية من الجيبات المصفحة إلى الآليات العسكرية الضخمة وناقلات الجند.

الفشل التراكمي

هنا لم يتطابق حجم التشغيل والاستنفار مع الواقع الحالي في إفراز بنية ردع لحماية أمن المستوطنين وتقليص معدل العمليات الآخذة في الازدياد والجرأة. فبينما كانت المؤسسة الأمنية تسعى لتحرير نفسها من الخيارات المقيّدة التي فرضتها أرضية النضال، تطفو على السطح سلسلة من الإخفاقات الأمنية والعسكرية والإسلحة الفاعلة في الميدان، حتى الجوية منها.

بدءاً من جدلية الرد على العمليات، وسوء الأداء الميداني للجنود المدربين، والتي دفع ثمنها إصابات قاتلة من مسافة صفر، الأمر الذي انعكس تلقائياً على معنويات الجنود، وهبة المؤسسة العسكرية داخلياً. وإن دلت مقاطع الفيديو التي وثقتها كاميرات المراقبة على شيء، فقد كشفت عجز الجنود في التعامل مع العمليات المباغتة للمقاومة والاستجابة السريعة لإطلاق النار، مقابل قدرة المقاومين على خرق الدرع الأمنية وخلق الإرباك المطلوب لتحقيق إصابة قاتلة في توقيت زمني قياسي لا يتعدى الـ 10 ثوانٍ، كما في عملية شعفاط، ثم التمكن من الانسحاب، وتوسيع رقعة الحجز الأمني على مستوى مؤسسة أمنية كاملة تلاحق المنفذ.

إلى التخبط الواضح على مستوى القيادة العسكرية والسياسية، فبينما خرج رئيس الأركان، أفيف كوخافي، بقرار استخدام المسيرات في عمليات الضفة، عارضه وزير الحرب في كون القرار يُحسم بالاشتراك مع القيادة السياسية وليس العسكرية حصراً. خلاف آخر برز بين القيادتين في قرارات الحسم العسكري، كما الحال في اجتياح وكر «عرين الأسود» في البلدة القديمة بنابلس، فالمستوى السياسي يتعمّد سياسة الضبابية في الحسم خشية دفع أثمان باهظة في الاستحقاق الانتخابي المقبل، بينما يتخوف المستوى العسكري من تنامي «عرين الأسود» وانتشارها كحالة نضالية عامة في مناطق الضفة كافة والقدس. وفي المقابل، يقرأ «الشاباك» أن ما يجري في الضفة بداية انتفاضة، بينما يرى جيش الاحتلال أن مسار الحالة القائمة سيُطفئ نفسها بنفسها، بجميع الأحوال، يلتقي استطلاع لقناة «كان» مع نتائج الحملة العسكرية القائمة، إذ يعتقد 32% من الإسرائيليين أن أداء حكومة لابيد في التعامل مع موجة العمليات والتصعيد «جيد»، بينما يرى 60% من الجمهور أن الحكومة فشلت في التعامل مع الأحداث.

الأمن المفقود

إلا أن أسوأ ما يمكن أن يواجهه المستوطنون هو أن يُقتل الجندي المكلّف بحماية مسيراتهم وتحركاتهم في الضفة كما حدث في عملية «شافي شومرون» التي قتل فيها جندي من لواء «جفعاتي»، أثناء تأمين مسيرة للمستوطنين بالقرب من المكان. الأمر لا ينسحب فقط على صعيد فقدان الأمن الشخصي لدى المستوطنين، بل في خلق نقاش داخلي حول جدوى أن يقتل جندي من أجل تأمين تحركات المستوطنين، وإلى متى يمكن احتمال دفع مثل هذا الثمن.

قبل ذلك، في أعقاب عملية إطلاق النار في حوارة بنابلس، أعلن المستوطنون عن إقامة مجموعات مسلحة من دون الحصول على موافقة الجيش أو شرطة الاحتلال، بدعوى مساندة الجيش في تأمين الحماية وتحقيق الأمن المفقود. حينها صرّح رئيس مجلس مستوطنات شمال الضفة الغربية، يوسي دغان أنه: «إذا لم تطلق إسرائيل عملية السور الواقي 2»، سنُعد الأيام المتبقية للكارثة الكبرى المقبلة، فنحن لم نشهد منذ فترات طويلة عمليات إطلاق نار نحو المستوطنات من مسافات قريبة، هذه رسالة بأن الردع ضعيف».

نظرة أقرب إلى الوضع القائم بلخصه المحلل السياسي في تصريح له لـ«القناة 12»: «ليس بمقدور مركبة إسرائيلية السير في بيت حنينا نصف دقيقة من بسغات زئيف، من دون أن يتم رجمها بالحجارة، وضعنا سيء للغاية... هل هذا هو معنى السيادة؟».

الآن، يبدو أن الرصاصات جميعها مجتمعة في بيت النار، ويبقى الفاعل الوحيد في إحكام السيطرة على الميدان وإبقاء جذوة الاشتعال بتثبيت استراتيجية المشاغلة والاستنزاف، لتقويض الحملة العسكرية وإسقاط الصورة الدعائية. هذا لأن عملية «شافي شومرون» لن تكون الأخيرة، لكن استيعاب عملية مقبلة لن يكون بالتداعيات نفسها بالنسبة إلى مؤسسة أمنية يغرقها الاستنزاف، ويرعبها سيناريو عمليتين ناجحتين لم تتجاوزهما بعد.

البلاد

نبض الضفة

كتائب الضفة
لحظة فارقة وملاحظات متفرقة

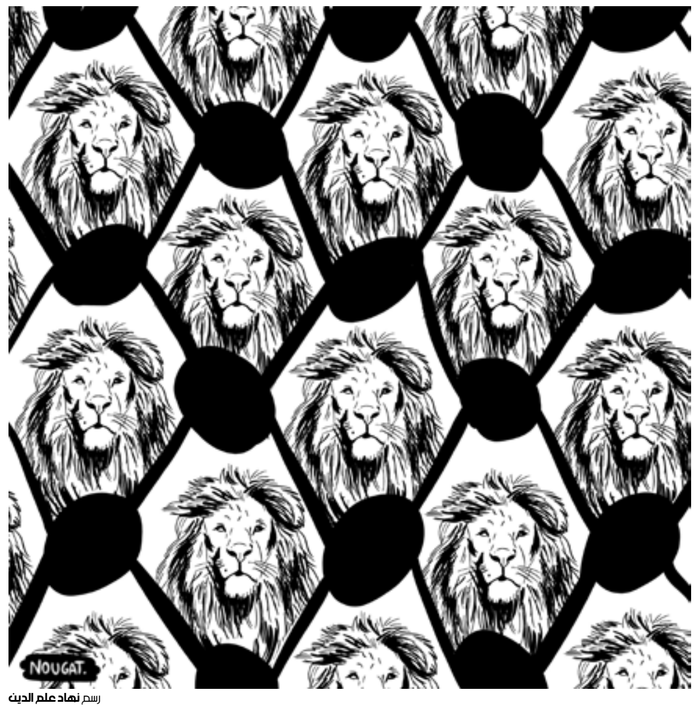

رسم نهاد علم الدين

زاهر أبو حمدة

قاعدة صفرية:
لا حرب من دون «حماس». لا هدنة من دون «الجهاد الإسلامي». لا انتفاضة من دون «فتح».

تعليق رقم 3:
لم تضع الكتائب الوليدة في الضفة المحتلة، هدفاً استراتيجياً لعملها حتى الآن. ربما يكون الهدف الأولي هو مشاغلة العدو والارتقاء بالحالة العامة الفلسطينية. وهذا حصل في مدة وجيزة لا سيما في استنهاض عموم الشعب والاستناد لبيئة حاضنة. وإن كان الهدف البعيد المدى هو تحرير الضفة، فإن ذلك يحتاج آليات وخططاً سرية وعلنية وإمداداً مستمراً بالسلاح والمال.

ملاحظة رقم 2:
في تموز 2014، يقول المرشد الإيراني علي الخامنئي:
«الجرائم الإسرائيلية تفوق التصور. ماهية وحقيقة هذا الكيان أنه كالذئاب يقتل الأطفال وعلاجه الوحيد إزالته وتدميره. وحتى يتحقق ذلك يجب دعم المقاومة المسلحة الفلسطينية وتوسعتها لتشمل الضفة الغربية كحل وحيد لمواجهة هذا الكيان المتوحش».
في آب 2014 وبعد وقف العدوان الإسرائيلي على غزة، يرسل الجنرال قاسم سليماني رسالة إلى الشعب الفلسطيني، وأخرى للقائد محمد الضيف يؤكد فيها العمل على تسليح الضفة المحتلة كما غزة.
في آب 2022، يؤكد حرس الثورة الإيرانية، حسين سلامي، إن «تسليح الضفة الغربية يتم حالياً ضد الإسرائيليين».

استدراك رقم 11:
يتراوح ثمن بندقية «أم 15» في الضفة بين 24 و30 ألف دولار أميركي. ويمتنع تجار الأسلحة والمهربون عن بيع أنواع أخرى غير السلاح الفردي مع عدد محدود من الرصاص.

تعليق رقم 6:
«عش الدبابير»، «عرين الأسود»، «وكر الصقور»... أن يختار الفدائيون ماوى كأسماء حركية للمجموعات القتالية، له دلالات كثيرة. هي مرحلة التحول من الدفاع إلى الهجوم. الدفاع عن البيت والقرية والمخيم والمدينة والهجوم نحو تحرير كل الأرض. لذلك يبعد الاحتلال إلى الحصار كعقاب جماعي للبيئة الحاضنة وتأليب الناس والتجار على حالة المقاومة الممتدة في مثلث الرعب (جنين، نابلس، طولكرم). لا يعرف هذا المحتل المختل أن الحصار يشد العزم ويفرض المواجهة الشاملة. وإذا تحول المثلث إلى دائرة نار مع انضمام الثمور والسباع والفهود في محافظات الضفة الأخرى، حينها سيكون الهدف تحرير الضفة أسهل وأسرع.

ملاحظة رقم 15:
مؤسس «كتيبة جنين» الشهيد عبدالله الحصري لا يتجاوز عمره 23 سنة، أما مؤسس مجموعة «عرين الأسود» الشهيد محمد العزيزي فعمره 22 سنة. أما إبراهيم النابلسي، فلم يكمل الـ20 عاماً عند استشهاده. وغالبية الشهداء والمطاردين منذ بداية العام حتى الآن لم يكملوا العقد الثالث من عمرهم.
وزير حرب الاحتلال، بيني غانتس: «هناك جيل جديد ينشأ بالضفة الغربية لا ينتمي لأي فصيل فلسطيني، ومعظم منفذي العمليات الأخيرة لم يعاصروا الانتفاضة الثانية».

استدراك رقم 20:
هل يمكن لشباب في بداية العمر غير مُدرب كما يجب أن يقود عمليات فدائية تخطيطاً وتنفيذاً؟
طبعاً. التجربة تُعلم. الأخطاء واردة. التراكم المعرفي أساس النجاح.

تعليق رقم 23:
لا تخلو بيانات «عرين الأسود» من الأخطاء الإملائية، لكنها مُعبرة ومختصرة وموجهة. يعرف الشباب كيفية مخاطبة العدو وتوجيه الشعب. والأهم أنهم يدرسون خطوات جيش الاحتلال ويتعاملون معها. ويتضح أن غرفة عمليات تعمل على المراقبة والاستطلاع والتخطيط والتنفيذ. وهذا أحد الأسرار، ويحاول الاحتلال فك شيفرة هذا اللغز.

ملاحظة رقم 40:
لا يمكن لفصيل فلسطيني أن يتبنى كتائب الضفة. فهي خليط ومزيج رائع من شباب فصائلي ومستقلين. فمحمد العزيزي مثلاً أوصى بعدم توشيح جثمانه براية فصيل معين، لكن أصدقاءه، الشهيد إبراهيم النابلسي، وقائد «عرين الأسود» حالياً محمود البنا، يعلنان انتماءهم لـ«كتائب شهداء الأقصى». أما في جنين، فالقائد فتحي خازم ينتمي لـ«فتح» وكان ضابطاً في السلطة الفلسطينية، أما نجله الشهيد عبد الرحمن فينتمي لـ«سرايا القدس». أما حضور «حماس» لا يغيب وعدد من الشهداء والمطاردين ضمن الكتائب ينتمي لها. بالتالي الهيكلية للكتائب من شتى التوجهات، وهذه نقطة قوة وضعف في الوقت نفسه. فهي عنوان الوحدة الوطنية، لكن إذا تسرب الانقسام المقيت إليها سيكون مقتلها.

تعليق رقم 25:
يتحد المخيم مع المدينة، وهذه لحظة فارقة على المستوى المجتمعي. ومعروف أن كلفة هذا النمو الثوري ستكون باهظة، لكن نتائجها بكل تأكيد أهم من السكون والاستسلام.

استدراك رقم 32:
تهديد الغرفة المشتركة للفصائل في غزة له مؤشرات. وهل سيدخل القطاع على خط ما يجري في القدس

> يتحد المخيم مع المدينة، وهذه لحظة فارقة على المستوى المجتمعي

والضفة؟ هذا وارد إذا كان القرار الإسرائيلي كسر تصاعد المقاومة، لكن قبل اتخاذ قرار كهذا يجب إعطاء فرصة للضفة كي تعبّر عن نفسها بعيداً من صواريخ غزة.

ملاحظة رقم 1:
سيحاول الاحتلال قلع الكتائب وإنهاء هذه الظاهرة واستخدم الاعتقال والاغتيال. لكن ربما ينتقل إلى مرحلة الإجتياح لا سيما قبل انتخابات الكنيست. وإذا علم يائير لابيد وبيني غانتس أن الاجتياح مكلف أمنياً وسياسياً سيحاولان تأجيل ذلك لمرحلة أخرى، ستكون الكتائب حينها انتقلت إلى مرحلة متقدمة من الإعداد والتجهيز.

القيادة الشابّة - نموذج فريد في الصراع

أحمد الصباهي

لم تؤدّ عملية «كاسر الأمواج» التي أطلقها الاحتلال في آذار الماضي، إلى نتائج ملموسة، لا على صعيد تخفيف حدة المواجهات التي يقودها الشباب الفلسطينيون التي أضحت عسكرية، يتكبّد فيها الاحتلال خسائر من جنوده ومن سمعة منظومته الأمنية، ولا على صعيد السيطرة على تمددها وتصاعدها على مستوى الشارع الفلسطيني، عبر انضمام مزيد من الشباب الفلسطينيين إلى هذه الظاهرة التي تشكلت أخيراً، سواء عبر كتائب «جنين» «طوباس» «طولكرم» أو «عرين الأسود» في نابلس، وما إعلان وزير حرب الاحتلال بني غانتس عن تمديد حالة التأهب والاستنفار إلى مطلع تشرين الثاني، موعد الانتخابات التشريعية الإسرائيلية، إلا تعبير واضح عن حالة القلق وعدم اليقين التي ترافق السلطة السياسية الحالية داخل الكيان؛ هذا الإعلان لم يخلُ من التوظيف السياسي، بإطلاقه من مستوطنة عتصيون، برفقة عدد من المسؤولين، إلا أنها محاولة يائسة لطمأنة المستوطنين بقوله: «واجب القوات الإسرائيلية هو تمكين الأمن والقضاء على التهديدات، وأن الجيش ملزم بذلك الأمر».

ربما لا نستطيع حصر كل الأسباب التي دعت الشباب إلى أخذ زمام المبادرة في المواجهة الأخيرة مع الاحتلال، والتي برجّح كثيرون أنها إرهاصات وإشارات قوية إلى انتفاضة ثالثة، لكنّ هناك إجماعاً على سببين مباشرين، أولهما فشل اتفاقية ومشروع أوسلو، عبر عدم إيفاء الاحتلال بأي من الاتفاقيات الموقّعة معه، وانسداد الأفق السياسي عبر إيقاف المفاوضات مع السلطة، واقتصار التعامل معها عبر بوابة "التنسيق الأمني" التي تخدم مصالح الاحتلال الأمنية على حساب المقاومة، ثانيهما، غطرسة واعتداءات الاحتلال، وخصوصاً المستوطنين في الضفة والقدس ومناطق الـ48، واستمرار المشروع الصهيوني في عموم فلسطين؛ كل هذا أوصل الشباب إلى قناعة تامة أن المقاومة هي السبيل الوحيد والدافع الملهم للخلاص من الاحتلال، وما المعارك التي خاضتها المقاومة أخيراً، «سيف القدس» سنة 2021 و«وحدة الساحات»، إلا حافز إضافي، وإسناد مهم لدى الشباب في مواجهة الاحتلال.

لماذا هذه الظاهرة فريدة؟

ليست الفرادة في كون الشباب الفلسطينيين يقاتلون ويستشهدون، فهذا أمر معهود في تاريخ النضال الطويل للشعب الفلسطيني، لكن من خلال المتابعة، نتلمّس ملامح هذه الفرادة، أن هذه التشكيلات فتية، تُراوح أعمارها نسبياً بين (18-25) عاماً، بمعنى أنها لم تعش ما يمكن اعتباره عدم تحقيق «انتفاضة الحجارة» سنة1987 أو «انتفاضة الأقصى» عام 2000، التحرير وزوال الاحتلال على الرغم من التضحيات الكبيرة، وبالتالي هذه التشكيلات تصنع وتعيش انتفاضتها، وتخوض تجربة من صنع يديها، وبالوقت نفسه، ليس لديها في الغالب أحمال الأسرة من زوجة وأولاد، بحيث يمكن أن يفكر الشاب مرتين قبل إقدامه على الانضمام إلى هذه التشكيلات.

كما تتميز بأنها غير تابعة لأي فصيل فلسطيني، وإن كانت هذه التشكيلات تنسب إلى سرايا القدس، أو حماس، أو شهداء الأقصى، إلا أنها لم تتخذ من الانتماء الحزبي سبباً موجباً أو مانعاً للانتماء إليها، أو التنسيق والعمل معاً، فالعنوان

> ليست الفرادة في كون الشباب الفلسطينيين يقاتلون ويستشهدون، فهذا أمر معهود في تاريخ النضال الطويل للشعب الفلسطيني

الأساسي هو مواجهة الاحتلال، والتصدي لاعتداءاته واقتحاماته، وبالتالي، هذه التشكيلات مشرعة أمام الشباب الفلسطينيين، أياً كان توجههم السياسي، وهي بمعنى آخر، عابرة للتوجهات الفصائلية بل حتى تجاوزتها، وهي بذاتها تشكل حالة افتقدها الشارع الفلسطيني بسبب الانقسام منذ عام 2007، وبالتالي ما نشهده حالياً هو وحدة وطنية في العمل الميداني، فرضتها ظروف المواجهة، ويغيب فيها الرأس، أو القيادة البارزة لها، ما يربك الاحتلال ويعقّد مهمته في إنهاء هذه التشكيلات التي يزداد عدد منتسبيها يوماً بعد آخر.

في المقابل، نجد أن الشارع الفلسطيني يحتضن هذه الحالة ويتفاعل معها، بل وحتى يستجيب لمطالبها؛ فلا يمكن تخيل حجم المعاناة والخطر اللذين يتكبدهما السكان في مخيم جنين، أو شعفاط المحاصر بسبب اتهام الاحتلال أن منفذ العملية الأخيرة على حاجزه مختبئ فيه، أو معاناة سكان حارات نابلس القديمة، من اقتحامات الاحتلال العسكرية، التي يتخللها إطلاق نار، وإطلاق قذائف صاروخية. لقد ارتضى سكان تلك المناطق أن يتحملوا نصيبهم من هذه المواجهة، وهي رسالة تحد للاحتلال، وفي الوقت نفسه للسلطة الفلسطينية التي ثار عليها أهل نابلس بعد اعتقال المطارد مصعب اشتيه، بل واستجابوا لنداء «عرين الأسود» بالإضراب، وهي المرة الأولى التي تضرب فيها نابلس من غير دعوة من القوى الوطنية والإسلامية. كل هذا يجري والشبان يتخذون من تلك المناطق مرتكزاً لنشاطهم، وأمكنة يصعب على الاحتلال الولوج إليها من غير أن يتكبّد خسائر، بل أصبح اقتحام الاحتلال لتلك المناطق، يعني مواجهة مفتوحة تنتشر فيها مشاهد المواجهات على وسائل التواصل الاجتماعي، وتتصل إلى كل أرجاء العالم، ومنهم الشباب الفلسطينيون، ما استدعى من الاحتلال، أن يضغط على مشغّلي وسائل التواصل الاجتماعي، ويحجب حساب هذه التشكيلات على الفيسبوك، والتيك توك، والإنستغرام، وبقي التليغرام عصياً على أوامر ورغبات الاحتلال، فلم يحجب حساب هذه التشكيلات.

بلا شك، إننا أمام حالة شبابية فريدة، تكاد تقود الشارع الفلسطيني، وهذا ما شاهدناه في نابلس وجنين، فهل ستنتزع هذه القيادة في حال تصاعدت حدة المواجهة مع الاحتلال في عموم الضفة، بحيث أضحى من الواضح، أن الشباب يشكلون قيادته وأطره وأساليبه بعيداً عن الفصائل، فماذا عن دورها؟

أهل الأرض

«جيروعة» فلسطين
في موسم الزيتون

موسى جرادات

بدأت في فلسطين قبل أيام رحلة قطف أشجار الزيتون، وكعادة الفلسطيني في كل عام، يحضر إلى الأرض التي ما فارقته طوال العام، لكن المهمة التي يسعى إليها، في هذا الموسم، هي الأطول وقتاً، والأكثر جهداً، والأغزر إنتاجاً.

فيها يؤكد علاقته الأزلية بالأرض، وتتجاوز في بُعدها الاقتصادي، لتحطّ في أبعاد، يثبت فيها ملكيته الحقيقية للأرض، فهو ما يزال وحتى هذه اللحظة يمارس عادته التي ورثها عن الأجداد منذ قرون. ففي موسم قطاف الزيتون تتجدد تلك العادات، صحيح أن الحداثة أدخلت اليوم عوامل أخرى ساهمت إلى حد بعيد في تسهيل هذه المهمة، إلا أن موسم الهجرة إلى الجبال ما يزال تقليداً متبعاً منذ قرون. فمهمة القطاف تقع على عاتق العائلة الفلسطينية مجتمعة، فيها الجمع وتجديد للعلاقات الاجتماعية، وفيها تحريك لاقتصاد يخضع لثقل الاحتلال الذي لم يتوقف لحظة عن ممارساته التي تستهدف الأرض والإنسان.

زيتون فلسطين... معلومات عامة

تقدّر أعداد أشجار الزيتون التي ما زالت بحوزة الفلسطينيين، بأكثر من 10 ملايين شجرة، يسهم المحصول في 20% من الإنتاج الزراعي في فلسطين، وتقدّر عائداته المالية السنوية بأكثر من 300 مليون دولار، ويسهم في إعالة 100 ألف عائلة فلسطينية، كمصدر دخل أساسي، فيما فلسطين تعيش الاكتفاء الذاتي من الزيت والزيتون، وتصدّر كذلك إلى الخارج. وأمام تلك المعطيات، يتبيّن لنا أهمية وتأثيرات هذا الموسم على حياة الفلسطيني، إذ تحولت تلك المساهمة، إلى أداة في مقاومة الاحتلال، والانفكاك عن التبعية التي يفرضها على الاقتصاد الفلسطيني.

تقوم وزارة الزراعة الفلسطينية بالاهتمام بموضوع الأرض، تحديداً زراعة الأراضي البور بأشجار الزيتون، حيث توزّع الوزارة سنوياً 200 ألف غرسة زيتون على المزارعين، وخلال العقدين الماضيين، ساعدت في استصلاح عشرات الآلاف من الدونمات، التي زرعت بأشجار الزيتون، إضافة إلى مساعدة المزارعين، بالإرشاد والدعم المالي وحفر آبار الماء لجمع مياه الأمطار التي حسنت المحصول وكمياته.

تراث متواصل ودائم

يتعامل المزارع الفلسطيني مع هذا الموسم ضمن رؤية كاملة ومتكاملة، يدرك فيها أهمية ما يملك، ومع الوقت تكرست عادات وتقاليد في التعامل مع هذا الموسم، تبدأ مع مطلع كل عام، بعملية التقليم، وفقاً لما ذكر لـ «الأخبار» المزارع والناشط الاجتماعي في جنين نائل زيود: «في هذه المرحلة تتم إزالة الأغصان التالفة والأغصان الداخلية، لمساعدة الشجرة من زيادة النمو، مع استمرار الجهد والمراقبة الدائمة طوال العام، على الرغم من أن شجرة الزيتون معمرة وقوية البنية، إلا أنها قد تتعرض إلى أمراض قد تصيبها وتتلف المحصول». ففي السنوات الأخيرة اصيبت الأشجار بمرض «عين الطاووس» الذي يؤدي إلى تلف في الورق ومن ثم الثمر، بحسب ما شرح المزارع والأستاذ المتقاعد خالد جرادات لـ «الأخبار» الذي أشار أيضاً إلى أن المزارعين احتاطوا لهذا الأمر، عبر دهن سيقان الأشجار بـ «الشيد» لتعقيمها.

الزيت عمار البيت

العبارة السابقة، مثّلَ فلسطيني، يختصر أهمية هذا الموسم في حياة المزارع الفلسطيني، ولأنه عمار البيت تساهم العائلة مجتمعة، في المشاركة فيه، وتتولى مهمة إنجازه، فعائلة زيود، تبدأ يومها وفق التقاليد المتبعة بالتوجه صباحاً إلى الأرض حتى ساعات المساء، يقول زيود: «نصطحب معنا، كل مستلزماتنا، من الماكل والمشرب، وقد تزيد الكلفة عن الأيام العادية في البيت، نظراً للجهد المبذول، فالمطبخ في هذا الموسم يكون في الحقول». وتتولى والدة نائل مهمة إعداد الطعام، إضافة إلى القادرون على الصعود إلى أعلى الشجرة، حيث يستخدمون العصي المتعددة الأسماء والأغراض، والتي فصّلها لنا جرادات كالتالي: «النكافة: عصا صغيرة مهمتها إسقاط الثمر طلب العون (الفزعة) من الأقارب والجيران، وإلى عمال بالأجرة لهذه المهمة («الجداديين»)، مقابل أجر يومي، أو يقوم بتضمين الأرض في هذا الموسم لأشخاص لا يملكون أرضاً زراعية. وتختلف نسبة تقاسم المحصول، فقديماً كانت النسبة لا تتعدى الثلث وفق ما ذكره زيود؛ أما اليوم فالبعض يطرح نسبة 40%، وأحياناً النصف إذا شارك الضامن بالعناية بالأرض. ويضيف جرادات أن «الجامعات الفلسطينية، وعلى رأسها جامعة بير زيت وجامعة النجاح، قد فرضت مساقاً جامعياً يتعدى 100 ساعة عمل تطوعي، لخدمة المجتمع، يقضيها الطلاب في مساعدة المزارعين على عملية القطف» ولفت جرادات إلى أن جامعة بير زيت مثلاً، تتخذ من شجرة الزيتون، شعاراً لها.

في وصف حبة الزيتون

أبدع المزارع الفلسطيني، في وصف حبة الزيتون، سواء المعد للأكل، أو للعصر، فالأخير ضربت فيه الأمثال، من خبرة المزارعين الفلسطينيين، المتراكمة نتيجة مداومته وعلاقته مع الزيتون، والتي جعلته يقول بلهجته الفلسطينية «الصّري زيته طيب، أما لقاطه بشيب»، والصّري، هو حب الزيتون الأسود الصغير الذي يستلزم جهداً أكبر في قطافه، أما «النبيال زيته سيال، وحتى لقاطه عجال، عجال» فهو سريع القطف، إضافة لاحتوائه على كمية كبيرة من الزيت.

وأمام تلك الأمثال التي حاكها الفلاح الفلسطيني في وصف حبة الزيتون، جراء خبرة وعمل الأجداد والأبناء والأجداد وأجداد الأجداد في الأراضي والزيتون، لا بد من الانتباه إلى تلك العلاقة التي يحاول الاحتلال الإيهام بها مع الأرض والزيتون، والتي ليست سوى مراقب، أن لا علاقة بين هؤلاء والأرض، فالاحتلال يتعامل مع شجرة الزيتون، وفق منظار حدائي، نفعي، حيث أقدم على اقتلاع أشجار الزيتون التي صادرها، بعد احتلاله لفلسطين، وزرع أشجار زيتون، صغيرة الحجم، مخصصة للأكل، لا يوجد زيت فيها. إضافة إلى هذا، فإن الأراضي المزروعة في الزيتون، هي ملكية عامة لدولة الاحتلال، تؤجر إلى شركات خاصة، تستاجر العمالة الفلسطينية لقطفها، في مفارقة عجيبة، حيث يعود الفلسطيني إلى أرضه، من باب جديد، بعد أن ثبت بالدليل القاطع أن سر التعامل مع الأرض، لا يفهمه إلا أصحابها.

الجيروعة او الجاروعة

يختتم الفلسطيني موسمه، في احتفال ما زال قائماً حتى هذا الوقت، وفق تقليد اتبعه منذ مئات السنين، أطلق عليه تسمية «الجيروعة» حيث يقوم بتحضير أكلة «المسخن». فبعد الانتهاء من موسم قطف الزيتون، يتم الإعداد لهذه العزيمة، التي يدعى إليها كل من شارك في هذا الموسم، من العائلة والأقارب، والعمال، يقول زيود، وهو أيضاً خبير بالتراث الفلسطيني، أن أصل التسمية يعود إلى أن الفلاح الفلسطيني يستخدم أكبر كمية من زيت الزيتون من المحصول الجديد، ليضعها على الخبز والدجاج المكون لأكلة «المسخن» احتفالاً بانتهاء الموسم، وتكريماً لجميع العاملين.

رحلة الحج إلى فلسطين

في نهاية السبعينيات من القرن الماضي، بدأت الوفود الأجنبية بزيارة فلسطين، وعلى الأغلب كانت تلك الوفود تهدف للاطلاع المباشر على الصراع، واكتشاف الرواية الأصلية. لم تكن مهمة تلك الوفود سهلة، فقد وضع الاحتلال الإسرائيلي العراقيل ليمنع التواصل والاحتكاك مع الفلسطينيين، ومن خلال الوفود الأكاديمية الأجنبية التي زارت الجامعات الفلسطينية، بدأت رحلة البحث عن الحقيقة، وانتهت بزيارات دورية، تكللت بحملات تطوعية لمساعدة الفلاحين الفلسطينيين، في قطف مواسمهم الزراعية، وبالتحديد موسم الزيتون، هناك اطلع المتضامنون الأجانب على حقيقة الصراع بالعين المجردة، حيث شاهدوا بأم أعينهم، الهجمات الوحشية للمستوطنين وقوات الاحتلال، على المزارعين وأراضيهم لاقتلاع وحرق أشجار الزيتون، أمام أعين الجنود، وأمام المتضامنين الأجانب.

عشرات الآلاف منهم زاروا فلسطين، وتطوعوا في الأرض، وقاموا بنقل الرواية الفلسطينية لشعوبهم وبلدانهم، لتكون النتيجة لاحقاً حج سنوي لوفود أجنبية إلى فلسطين، تساعد الفلسطينيين في عمليات القطاف، ودعم المنتج الفلسطيني، تحديداً زيت الزيتون، عبر شرائه وبيعه في بلدانهم، في لفتة تضامنية تتخطى بعدها الاقتصادي، لتصل البعد السياسي والتاريخي للقضية، تحت شعار «صنع في فلسطين».

الأرض المهددة بالمصادرة

يدرك الاحتلال في فعله الاستعماري، أن أولى الخطوات لاستيلائه على الأرض الفلسطينية، تبدأ بقطع العلاقة بين الفلاح الفلسطيني وأرضه، عبر جملة من الإجراءات، تبدأ بالذرائع الأمنية، لتنتهي بالسيطرة على الأرض. اليوم في الضفة الغربية عشرات الآلاف من الدونمات المزروعة بأشجار الزيتون تقع خلف جدار الضم العنصري، حيث يمنع أصحاب الأرض من زيارتها، إلا ضمن تصاريح خاصة، وفي أوقات محددة، مع خشية دائمة لدى أصحاب الأرض، من مصادرتها فيما بعد.

في الانتفاضة الأولى، بدأ الاحتلال بسياسة قطع أشجار الزيتون، في أرياف الضفة الغربية، وفي عزّ حملته القمعية، أقدم في أحد القرى، إلى اعتقال مئات الشبان، من دون تهمة محددة، كما قام بإطلاق النار على الحيوانات وقتلها؛ أحد عجائز القرية، قال للحاكم العسكري، أثناء استدعاء كبار السن، للضغط على الشباب، لوقف الانتفاضة، «استطيع اليوم أن أموت مستريحاً، لقد شاهدتكم كيف تتعاملون مع الإنسان والحيوان والشجر، من يقتل الأحياء لا يدوم، لقد اقتربت نهايتكم، من يفعل هذا ليس له أدنى علاقة بهذه البلاد، لقد حان وقت رحيلكم، كما رحل الغزاة قبلكم».

الأخبار
al-akhbar
السبت 22 تشرين الأول 2022 العدد 4758

قضية

سحب الجائزة من الصحافية الفلسطينية شذى حماد

«رويترز» تخضع للصهاينة وتفقد مصداقيّتها!

بعد أيام على منح مؤسسة «تومسون رويترز» جائزة «كورت شورك» للصحافة الدولية عن فئة «المراسل المحلّي» لعام 2022 للصحافية الفلسطينية المقيمة في الضفة الغربية، شذى حماد، ها هي تسحبها منها، إثر حملة تحريض إسرائيلية شرسة. أما الذريعة، فجاهزة كالعادة: «معاداة السامية»!

في بيان أصدرته من لندن، قالت «رويترز» إنّها و«صندوق كورت شورك التذكاري» اتخذا القرار «الصعب» بسحب الجائزة من حماد. جاء ذلك بعد مقال نشرته مؤسّسة الضغط الصهيونية Honest Reporting المتخصّصة في مراقبة الإعلام الدولي، وخصوصاً الصحافيين الفلسطينيين العاملين فيه والتحريض عليهم، وأتبعته بحملة تشهير وتحريض على مواقع التواصل الاجتماعي تطالب بسحب الجائزة من حمّاد.

عبر السوشل ميديا، أكدت شذى أنّها لم تخسر بسحب الجائزة: «فلطالما فزت بما هو أعظم في كل مرة نزلت بها إلى ميدان العمل، اكتسبت الحب والثقة، اكتسبت البيوت التي كانت تفتح أبوابها لي في كل مرة... اكتسبت حضن الناس وفنجان القهوة، اكتسبت اتصالاً يطمئنّ عليّ إذا وصلت إلى بيتي بعد رحلة طويلة». وتابعت: «لم يكن هدفي الجوائز يوماً، ولم أعمل على مقال صحافي بغرض الحصول على تقدير دوليّ... عملت دوماً بمهنية عالية... وفاءً للإنسان الفلسطيني وصوته ومعاناته، وهو ما أسعى إليه وأفتخر بنقله، بانحياز كامل إلى شعبي وقضيتي وإلى فلسطين».

ثم شرحت أنّها تلقّت في شهر أيلول (سبتمبر) الماضي رسالة إلكترونية من «تومسون رويترز» تبلغها بالفوز بالجائزة «كورت شورك»، بناءً على تقييم ثلاثة مقالات نُشرت على موقع «ميدل إيست آي». كان يُفترض أن تصل شذى إلى لندن في 25 الحالي للمشاركة في احتفال التكريم الذي يقام في 26 و27 من الشهر نفسه، لكن بعد أقلّ من يوم من الهجوم الإلكتروني، سحبت «رويترز» الجائزة.

في هذا السياق، أوضحت حمّاد في منشورها الافتراضي أنّ الأمر لم

كان يُفترض ان تصل الصحافية الفلسطينية إلى لندن في 25 تشرين الأول الحالي

يتوقّف عند هذا الحدّ، وكانت له تبعات أخرى «سأتحدث عنها في ما بعد». وأكدت أنّ ما جرى «جزء من حملات مستمرة تُشن على الصحافي الفلسطيني العامل في الإعلام الدولي، بهدف عزله عن العالم ومنعه من نقل قضيته وصوت شعبه. أدّت هذه الحملات التحريضية إلى فقدان الكثير من الصحافيين الفلسطينيين عملهم، اليوم أنا تُسحب مني هذه الجائزة، وقبلي زملاء فقدوا وظائف عملوا فيها لسنوات». وختمت بالتشديد على أنّه «أكتب اليوم عمّا عايشته في الأيام الماضية، لتكون شهادة أخرى على ما يدفعه الفلسطينيّ ثمناً لانتمائه إلى قضيته وأهله. شهادة على أنّ الفلسطينيّ مستهدف أينما وكيفما كان؛ صحافيّاً، طالباً، طفلاً، مقاوماً أو عابر سبيل... في الميدان نواجه الرصاص كما تلقّته قبل شهور شهيدتنا شيرين أبو عاقلة، وفي منصات العالم نواجه حصاراً وعنفاً ضد لغتنا وهويتنا وانتمائنا هدفه إقصاء فلسطين منّا، وعنّي أقول: يُمكن أن تنزعوا مني كلّ الجوائز، لكن أبداً لن تنزعوا فلسطين».

حالما أُعلن عن سحب الجائزة، توالت المواقف المستنكرة، إذ أدان «منتدى الإعلاميين الفلسطينيين» ما حدث معتبراً أنّه يشكّل «تجاوزاً للأعراف المهنية وأخلاقيات الصحافة، فضلاً عن كونه انحيازاً سافراً إلى جانب الاحتلال الإسرائيلي»، ومذكّراً بأنّ الاحتلال «ممعن في انتهاك حرية العمل الصحافي عبر قتل الصحافيين الفلسطينيين واستهدافهم بأشكال مختلفة، إذ ما زالت دماء الصحافيتين شيرين أبو عاقلة، وغفران وراسنة، والصحافي نضال اغبارية تشهد على حجم الإجرام الإسرائيلي بحق فرسان الإعلام الفلسطيني». وأعلن في الوقت نفسه تضامنه «الكامل» مع حمّاد. وعلى خطٍّ موازٍ، أصدرت مجموعة كبيرة من الصحافيين بياناً يدعو إلى الوقوف في وجه الهجمة التي يتعرض لها الصحافيون الفلسطينيون، مشيراً إلى فصل صحيفة «نيويورك تايمز» الأميركية في وقت سابق من الشهر الحالي المصوّرين الغزاويين حسام سالم وفادي حنونة وسليمان حجي. ووضع البيان ما جرى مع شذى حمّاد في إطار «سلسلة من الملاحقات للصحافيين الفلسطينيين العاملين في المؤسسات الدولية، والتحريض من قبل مؤسسات ضغط صهيونية متخصّصة في رقابة الفلسطينيين وملاحقة ما يكتبونه وما ينشرونه».

من جانبه، عبّر «التجمع الإعلامي الديمقراطي» عن إدانته لما حصل، مؤكداً أنّه يُظهر «العنصرية لدى المؤسسات الإعلامية الدولية ومدى انحيازها الواضح إلى رواية الاحتلال الإسرائيلي وممارساته الإجرامية، في محاولة لتجميل صورته أمام العالم، كما يشكل تعدياً صارخاً على القوانين الدولية التي تكفل حرية الرأي والتعبير للصحافيين في كل مكان».

المفكرة

حراك النبطية في كتاب

■ في الذكرى الثالثة لانطلاقة انتفاضة 17 تشرين، أصدر الباحث علي مزرعاني كتابه التوثيقي الجديد: «حراك النبطية ـ ساحة بمساحة وطن». قطعة من الكرتون، خطّ عليها أحدهم بيده عبارة: «نحن المحرومين من الشارع مش طالعين»، يحملها شاب من بين الحشود التي تجمّعت طوال أسابيع أمام خيمة الحراك في الشارع الرئيسي للنبطية (جنوب لبنان). تلك الصورة التي التقطها مزرعاني من إحدى التظاهرات النبطانية، اختارها لتتصدّر الغلاف. واستعان بلوحة تشكيلية للفنان شوقي دلال جسّد فيها إحدى التظاهرات، كخاتمة للكتاب. وما بينهما، أفرد صفحات للصور الفوتوغرافية التي التقطها هو وعدد من الزملاء المصوّرين، توثّق يوميات الخيمة وأبرز التظاهرات والشعارات والبيانات والضيوف الذين وفدوا للتضامن مع الناشطين. كما خصّص صفحات لإعادة نشر المقالات التي كُتبت عن الأحداث التي رافقت حراك النبطية. لم يكتف مزرعاني بسرد يوميات انتفاضة النبطية في عزّها الذي بدأ يأفل رويداً رويداً بعد نحو شهر. رافق تحوّلاتها حتى يوم الانتخابات النيابية الأخيرة في 15 أيار (مايو) الماضي، لتبيان نتائجها في الصناديق. لم تكن الملاحقة والطرد من الوظائف، السبب الوحيد لتلاشي الحراك، بل أيضاً الخلافات الداخلية بين مجموعاته. فلم يبق منها سوى نصب رمزي وشعارات خُطّت على الجدران وتجمّعات رمزية تُنظّم في المناسبات على مدار العام. (الصورة: علي حشيشو)

من صيدا إلى عكّار... تحية للرفيق جورج

■ انقضت 38 عاماً على أسر المُناضل جورج إبراهيم عبدالله (الصورة) الموجود حالياً في سجن «لانميزان» الفرنسي على الرغم من استيفائه شروط قانون العقوبات المطلوبة للإفراج عنه. فمنذ عام 2003، يُعرقَل إطلاق سراحه بأوامر أميركية ـ إسرائيلية. في هذه المناسبة، وفي إطار محاولات المقرّبين منه إبقاء قضيّته حيّة، تنظم القيادة المشتركة لـ «الحزب الديمقراطي الشعبي» و«حزب العمل الاشتراكي العربي» وقفة «حرية» في صيدا (جنوباً) وفي عكّار (شمالاً)، غداً الأحد، تتخلّلها دعوة لتصعيد النضال والضغط على السلطات الفرنسية لتحريره. وسيوضَع أيضاً خلال النشاط مجسم كبير لقفص السجن مطلياً بألوان العلم الفرنسي.

وقفة «حرية» تضامناً مع جورج إبراهيم عبدالله: غداً الأحد ـ الساعة الحادية عشرة صباحاً ـ ساحة الشهداء (صيدا ـ جنوب لبنان) وساحة حلبا (عكار ـ شمال لبنان).

بربارا... أمسية لبنانية

ضمن «السلسلة المذهلة» التي وضع فكرتها قائد الأوركسترا هاروت فازليان، تستضيف «صالة السفراء» في «كازينو لبنان» (جونيه)، بالتعاون مع

«مهرجانات جونيه الدولية»، أمسية بعنوان Bar-bara، تُستعاد فيها أغاني أسطورة الأغنية الفرنسية (الصورة) في القرن العشرين. مواعيد السلسلة المرتقبة ستكون شهرية. أما الانطلاقة، فستكون الليلة بأمسية تحييها المغنية اللبنانية ياسمينا فرح مسعود التي تقدّم رؤيتها وأداءها الخاصَّين للأغنيات التي اختارتها من ريبرتوار الفنانة الفرنسية. بربارا المولودة عام 1930، رحلت عام 1997 تاركةً عشرات الأغنيات التي ساهمت في كتابة بعضها شعراً وموسيقى، ويمكن اعتبار الموعد المرتقب تحية لها في ذكرى ربع قرن على غيابها. أما المرافقة الموسيقية، فتتولاها «أوركسترا بيروت السمفونية» بقيادة المايسترو فازليان، صاحب الخبرة في قيادة الريبرتوار الكلاسيكي الغربي كما الأنماط الأخرى التي تتطلّب وجود أوركسترا.

أمسية «بربارا»: اليوم السبت ـ الساعة التاسعة مساءً ـ «صالة السفراء» في «كازينو لبنان» (جونيه ـ شمال بيروت). للاستعلام: 09/859999

«بوسّا نوفا» مع نعيمة

■ في «صالون بيروت» مساء اليوم، أمسية جاز برازيلي، أو بعبارة أخرى «بوسا نوفا»، النمط الموسيقي والغنائي الذي ولد قبل نحو ستة عقود في البرازيل من رحم اللقاء بين السامبا والجاز. تحت اسم Naima's Que Nada، جَمَعت الفنانة الفائقة الإحساس والتعبير (رقصاً وغناءً)، اللبنانية الأصل، البرازيلية القلب والروح، نعيمة يزبك (الصورة) ثلاثة موسيقيين لإطلاق مشروع فرقة تحصر اهتمامها بالموسيقى البرازيلية. من يعرف نعيمة يدرك مدى عمق فهمها وتفاعلها مع هذا النمط الخاص. فهي تؤديه بسهولة تامة وبراعة في دوزنة الفرح والحزن اللذين يمشيان كتفاً إلى كتف في معظم هذا الريبرتوار. يرافق نعيمة العازفون: أرتور ساتيان (بيانو) والياس المعلّم (ساكسوفون) وكيفين صفدي (درامز) لأداء أعمال بيبيل جيلبرتو (ابنة العملاق الراحل جواو جيلبرتو) وجوبيم (أبو هذه الموسيقى) وشيكو بواركه (أحد أعتق رموز الـ «بوسّا» الأحياء، غناءً وتأليفاً) ومغنّي البوب البرازيلي دجافان.

حفلة Naima's Que Nada: اليوم السبت ـ الساعة التاسعة والنصف مساءً ـ «صالون بيروت» (شارع محمد عبد الباقي ـ الحمرا/ بيروت). للاستعلام: 01/739317 أو 79/185790

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 22 تشرين الأول
العدد 4758 السنة السابعة عشرة
Samedi 22 Octobre 2022 nº 4758 17ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

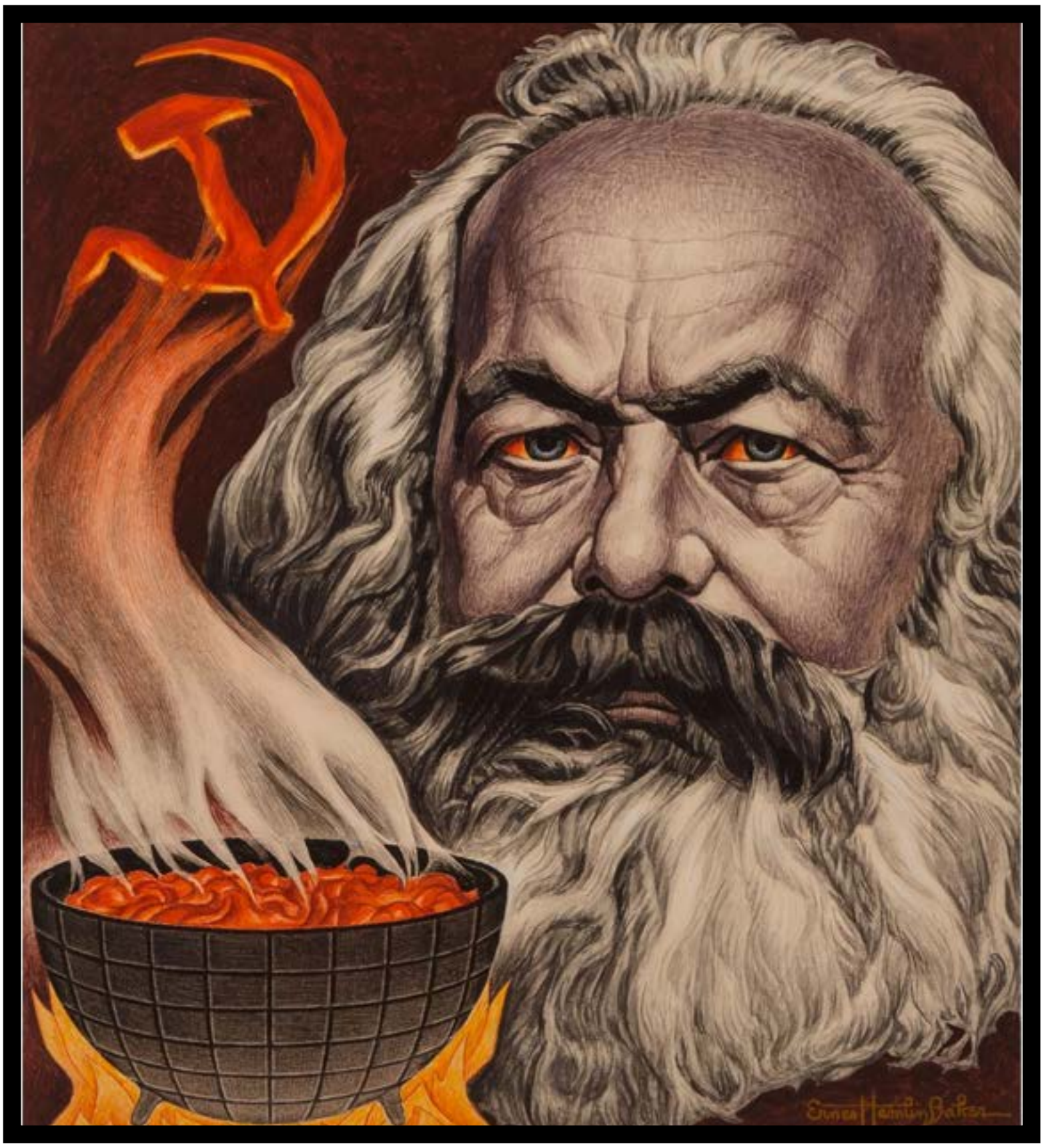

ارنست هاملين بيكر ــ «كارل ماركس» (غواش على خشب ـ 26,4 × 23,5 سنتم ــ 1948)

المانيفستو الشيوعي
إعادة قراءة

سعيد محمّد

ترك كارل ماركس (1818 – 1883) نصّاً وحيداً يلخّص مجمل رؤيته السياسيّة: «المانيفستو الشيوعي». ويعد مفكرون مختصون هذا البيان الموجز الذي نشر للمرة الأولى عام 1848 بمثابة نقطة فاصلة في التطوّر الفكري للفيلسوف الثوريّ الكبير، فهو بمثابة تتويج لمجمل كتاباته ما قبل احتدام الحالة الثوريّة في أوروبا منتصف القرن التاسع عشر، وتقديماً لا بدّ منه لفهم كتاباته اللّاحقة حتى وفاته، لا سيّما نقده للرأسماليّة في «رأس المال». لكن ذلك النصّ القصير الذي كتبه ماركس . بناء لمسوّدة أعدها رفيقه فريدريك إنجلز ـ اكتسب، في وقت قياسيّ، حياةً خاصّةً تجاوزت غايته الأساسيّة كتوصيف لمعالم المشروع السياسي لتنظيم أوروبي صغير أطلق عليه اسم «الرابطة الشيوعيّة»، ليصبح واحدة من أهم الوثائق السياسيّة وراء أفكار غيّرت شكل العالم في القرن العشرين.

جرت مياه كثيرة منذ ذلك الحين، فسقطت معظم التجارب الشيوعيّة أو تبنّت طرقاً للتعايش مع الرأسماليّة، وبذلت أجهزة المخابرات الغربيّة جهوداً جبّارة لتشويه المشروع الاشتراكيّ برمته، وأُنفقت المليارات لخلق تيارات ماركسويّة مزيفة، فيما انتقل اليسار الأوروبي والأميركي بغالبيته الساحقة إلى ملعب الاشتراكيّة الديموقراطيّة الرّمادي، وصار جناحاً للغرب لا نقيضاً له. وهكذا تحوّل المانيفستو تدريجاً من دليل للعمل الثوريّ كان العمّال الشيوعيون الألمان يطلبون أن ترافقهم نسخهم الشخصيّة منه إلى قبورهم بدلاً من الكتاب المقدّس، إلى تركة تاريخيّة تُقرأ من قبل المتخصصين فقط كجزء من أي محلولة (جادة) لفهم تاريخ العالم خلال الأعوام المئتين الأخيرة. ولم يعد من المتيسّر للقارئ العاديّ في أيّامنا عبور مزاج هذا النص الاستثنائيّ أو إدراك المناخ الذي أنتجه، أو تقدير موقعه المركزيّ في سياق تحولات الحداثة الغربيّة.

تشايانا ميلفيل، الروائيّ البريطاني المرموق، يحاول إغلاق هذا الفجوة بين «المانيفستو» والقارئ المعاصر من خلال «شبح يحوم: عن المانيفستو الشيوعي» (A Spectre, Haunting: On the Communist Manifesto ــ أبولو ـ 2022) كتابه الأحدث، مقدماً في أكثر من 300 صفحة حكاية البيان، وسياقه الكليّ، جامعاً التأريخ بالتحليل، والتقديم بالنقد، متجنباً عادة الأكاديميين الماركسويّين الأثيرة في التنطّع والانعزال عن الجمهور عبر جدران عازلة من المصطلحات المعقدة والمفاهيم المستغلقة، ومستغلاً حرفيته المهنيّة في فضاء السّرد الروائيّ، لينحت نصاً رائقاً على هامش النصّ الأصلي يليق بتمكّن وعمق وذكاء ماركس ورفيقه إنجلز.

مقاربة ميلفيل، التي تضيء على حجج المانيفستو وتفكك منطقه، تستوعب أيضاً الانتقادات الشائعة التي وجّهت إليه، فتذيق القارئ نكهةً منها، وتمنح أغلبها مساحة عادلة لنقاش هادئ من دون انفعالات أيديولوجيّة، قبل أن ينتهي الكاتب إلى طرح استنتاجاته الخاصة حول تأملاته في بنية العلاقة المتناقضة للبيان مع الحقيقة (لناحية وصف الواقع، والانتقال منه لفرض «واقع-متخيّل» على الواقع)، كما في مستقبل الرأسماليّة الذي رآه ماركس كنظام يسير حتماً نحو الحالة الشيوعيّة وقيام دولة البروليتاريا، فيما يبدو أنّها تتجه الآن إلى تدمير الحياة البشريّة على الكوكب برمته عبر كارثة مناخيّة أو نوويّة، وكذلك في المركزيّة الصارمة للصراع الطبقيّ في الرؤية الماركسيّة مقابل الإضافات اللاحقة لمسائل الجندر والعرق والبيئة كمساحات نضال موازية ومنفصلة أحياناً لليساريين المُحدثين.

من المرجّح ألا يتفق أينا مع كل محاور البيان الماركسيّ أو أن يتقبّل المجموعة الكاملة من استنتاجات ميلفيل، لكن مهما كان الموقف الأيديولوجي للقارئ المعاصر، فإنّه سيجد في «شبح يحوم» مقدّمةً لازمة وعادلة وغير عقائديّة - وممتعة أيضاً - للمانيفستو السياسي الأهم في عصر الحداثة.

ملف

تعاون بين «دار النهضة» و«آفاق» لدعم الإصدارات الشعرية

«أصوات» عربية جديدة: القضايا الكبرى في نبرة خافتة

في الاول من شباط (فبراير) 2020، اطلقت «دار النهضة العربية» مشروع «اصوات» لدعم إصدار الشّعر ونشر نتاج الشّعراء العرب، بمجموعات إلكترونية وورقية، يتولى إدارتها الشّاعر اللبناني محمود وهبة، ضمن حصيلة السلسلة عشرين مجموعة لأصوات شابة من الوطن العربي، بل امتدّت رقعة الخريطة لتشمل تخوم العالم العربي، حيث تتواجد ساكنة أهلة ناطقة بالعربيّة، وهذه المزّة من نشأة . مشروع «اصوات» حاصل على منحة للكتابة الإبداعيّة من «الصندوق العربي للثقافة والفنون - افاق». «دعما للشعر ولمكانته في خريطة الادب العربي المعاصر وهي مخصصة اساسا لطباعة وتوزيع كتب هذه الاصوات الشعريّة الشابة وايصالها لشريحة اكبر وجمهور اكبر من القرّاء». في تواصل لنا مع الشاعر محمود وهبة، اكّد لنا أنّ جزءا من منحة «افاق» تمّ رصده لتحويل المجموعات الشّعرية إلى كتب صوتية ستُطرح عبر المنصات المخصصة لذلك. سيجري إطلاق المشروع في بيروت في منتصف شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ضمن احتفال توقيع جماعي تحتضنه مكتبة «برزخ» في شارع الحمرا. تحضره الاصوات الشعريّة المشاركة في السلسلة والمقيمة على الاراضي اللبنانيّة. تشاركها باقي الاصوات من خارج لبنان عبر منصة «زوم». ويُنظّم الاحتفال بالاشتراك بين «دار النهضة العربية» و«الصندوق العربي للثقافة والفنون – افاق». الملف هنا يشكّل قصيدةً مقتطفة من كل ديوان من بين الدواوين العشرين. استخلصنا من قراءتها النقط التّالية، على مستوى الموضوعات والاسلوب والنوع الشعري: توحّد بين كل الدواوين نبرةٌ خافتةٌ. لا تفسدها لا الخطابة الرّنانة ولا الغنائيّة الجانحة للغرق في الأنا والعوالم الجوانيّة للذات، ممّا لا يعني ابداً انّ لا قضيّة لهذه الاشعار. على العكس تماماً، فهي تتناول قضايا وجوديّة وميتافيزيقية وسياسيّة كبرى (كالحياة والموت والحروب وتجنيد السلفيّة الجهاديّة للإرهابيين في تونس والعراق وصيرورة العمليّة الإبداعيّة) بلغة شبه محايدة، شبه باردة في التقاطها التفصيلة او مشهد يسري على الكون كلّه. تجنيساً، جرّبت الدواوين كل الاشكال الشعريّة الحديثة، من قصيدة النثر (بمعناها الغربي كقفزات نثريّة ممتدّة) إلى القصيدة الحرّة، فالمقطعيّة فالشذرات المنفصلة عن بعضها شكلاً والمتلائمة في تيمة معيّنة مضمونا. لم تخلُ القصائد من محاورة الاسلاف الشعريّين (الشّباب) والحركات الطليعيّة الاوروبيّة لبداية القرن العشرين (بعض توليفات الصور هنا تراوح بين الدادائيّة والسرياليّة في الجمع النّحّي بين المتباعدات في العالم الواقعي). كما انّ بعضها يستلهم روح المسرح في مشهديّتها وتكثيفها للحوار إلى اقصى حدّ درامي. اسوة بروح الفنون التشكيليّة الحاضرة في احد النصوص محاولةُ صوغ القصيدة في شكل طبيعة ميّتة تبني فيها الكلمات لوحةً متكاملة الاركان. تنويه خاص بقصيدة لين نجم، التي تبدو في بساطتها الماكرة توليفاً لمقولات مجتزأة من الخطاب الديني، لكنها كانت حاذقة في وضع اليد على جوهر العملية الإبداعيّة، باستلهام قصة بلقيس وسليمان، وتحديداً حدث توهُّمها انها تمشي فوق ماء، بينما هو زجاج: «فلقاراته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها». او ليس الشعر غير وهم جشيٌّ اصدق من الواقع؟ علماً انّ ترتيب النصوص اعتباطي، لا يدلُّ على مفاضلة او تقييم

تقديم واختيار رشيد وحتي

1. احمد الامين: الصمتُ احلى، يقولُ المستوجدون

لا اعرفُ كيفَ يقولُ النّاس ما بهم. كيفَ يجدونَ مفرداتٍ على قياسهم. تعوّدتُ على السّكوت حتّى كادَ فمي يختفي. امَيٌ تقولُ إنّني لمْ أنطقْ كلمةً حتّى بلغتُ الرّابعة، وبعدها، تكلّمت دفعةً واحدة.
لا اعرفُ كيفَ أفسّرُ لكلّ هؤلاء، أنّني غيرُ راغبٍ في قولِ شيء. ليس لديَّ أقوالٌ أخرى. كيفَ أشرحُ ذلك بلا عناء. الصمتُ أحلى. يقولُ المستوحدون. الصّمتُ أحلى، يقولُ الراحلونَ بلا كلماتٍ أخيرة.
لا أريدُ أنْ أحكي. يدي الّتي تشدّين بها على أصابعي إذ نتصافح، لا تحتاجُ إلى الشرح. هكذا أفهم أكثر. أعرفُ كلّ ما تريدينَ قولهُ في الثّواني القليلة الّتي تتشابكُ فيها أيدينا.
يدُكِ الضّئيلةُ حديثٌ طويلٌ.

(ديوان: المرأةُ جدارٌ آخر، آخر، لبنان.)

2. احمد السيّد: سوى لونها

تلك الزهرة البيضاء
التي وضعتها ليَ الحياة
في عروة بزّتي
زهرة لواقع
يسمُ أيامي
بخلل دماغي
زهرة حروب مضت
وأخرى قادمة
زهرة
لا تمتلك من البياض
سوى لونها.

(ديوان: كآبة سميكة خارج السّرير، لبنان.)

3. آدم إبراهيم: احجية

في بلادٍ بعيدة
لا أحد ينتظر مجيء الموت
كلٌّ يقرر مصيره
كلٌ يحضّر نعشه
ويحتضر له بتأنّ
حد إصابة الحياة بالملل.

■■■

في البلاد البعيدة
ليس للآلهة سُلطان
الموت والحياة
تجربتان قصيرتان
في الأمد اللانهائي.
بين الوجود والعدم.

(ديوان: ممرّاتُ العُزلة، السودان.)

4. اوس حسن: عدمٌ... وصيرورة

النجمُ غائبٌ في مزامير الرعاة
نائمٌ إلى الأبد
دخانٌ.. وسماءٌ عاصفةٌ
الذئبُ يعوي عند رأس الجبل
والسيلُ ينحتُ وجهاً في الصخور
نارٌ في الأعالي..
وصرخةٌ من أعماق الكهوف

■■■

أنا الكائنُ في العدمِ
سأنامُ
لتكتمل الأشياءُ..

■■■

سأنامُ لأخلقَ العالَمَ..
وأرقصَ على أنقاضِ الخراب.

(ديوان: كتابُ الأخطاء، العراق.)

5. باسل الامين: تتمة

اعثر على حذائك
وانتعلهُ على مهل
ثمة ممشى
وثمة أعوام وأزمنة تسير أمامك
السيّارات التي وصلت قبلك إلى المدينة
خرجت قبلك من المدينة
وفرغت باكرا من البنزين
سر كأنّك تريد أن ترى
وصل كأنّك الآن قفزت من السرير.

(ديوان: ظلٌّ يظنُّ نفسهُ شخصاً، لبنان.)

6. حسام معروف: الحلاق الوفيّ لزبائنه الموتى

العالم صغير جدّاً،
بدليل
أن الحزن يحتوي عليه، بِضم ذراعيه
حوله.

■■■

الحلّاق الوفي لزبائنه الموتى يقصّ العشب الزائد على قبورهم.

■■■

ليس كرهاً في الضوء، أغمض عينيّ،
إنما أشتاق لذهني.

■■■

أكون أعمى،
تقطرين في عينيّ ضحكتك،
فاشفى.

■■■

لدي كل المفاتيح،
لكن،
لا ثقب في باب الغيب!

■■■

إلى أي الجهات تنظر الشّجرة؟

■■■

لو أنّني لم آتِ إلى هذا العالم، لوصفته
بشكلٍ أجمل.

■■■

وأمشي داخلي؛
كي لا أزعج التّراب.

■■■

نتحدث عن الميت،
يا الله!
كيف تنتشارك حبلاً واحداً من الحسرة
في المكان؟

■■■

النّبتة الّتي تسللت إلى خارجِ الصّخرة،
ما هي إلّا
زفير مبت،
يستعجل انتهاء العالم.

(ديوان: الحلاق الوفيّ لزبائنه الموتى، فلسطين.)

7. حمزة باشر: بينما جموع من الرجال تحدّ

المرأة التي التقمها البحر
لم يدغدغ خطواتها الطافحة
لمجرد أن لسعتها الشمس،
وتدفق منها الشلال

■■■

ذلك،
لأنها كانت وفية للماء
تناولتها النظرات بمكر قاتل

■■■

مع أنها لم تابه
أن يشاء البحر
الشيء الذي
تأباه تلك الوجوه النهمة

■■■

كلّما زالَ النهارُ دورته،
هناك
حيث البحر،
تزاول فتاة ما
وفاءها لذاك الذي لا يفكر بالتامر..

■■■

بينما جموع من الرجال تحدّقُ
كثيرون هم من ينتقمون
لأن جسداً أهدى وفاءه للماء
بيد أنها تؤذي
تلك النظرات
التي تتدفق كالشرر
لم تتعلم سيولة البحر الصامت
في إعراب الجمال.

(ديوان: ترانيمُ الكادحِ تحتَ سماءٍ أنجمينا، تشاد.)

8. حنين الصايغ: هكذا

بتقوّس ظهر تمثال مبتور الأطراف
يستلقي لأعوام
فوق أرضٍ متحف

■■■

هكذا
باستسلام غصنٍ طريّ
لثقل بياض الثلج
وهبوطه الخاشع ليُقبّل الأرض.

■■■

هكذا
بإصرار نبتة ملتوية
على النمو
فقط
لأنها وُجِدتْ لأجل ذلك.

■■■

هكذا
بسكون لوحةٍ غادرها رسّامها
فوقفت دليلاً هزيلاً على وفرةِ جماله.

■■■

اشتاقُكَ
وكلُّ ما بي يعرفُ
أنك جوهرُهُ.

(ديوان: مَناراتٌ لِتضليلِ الوَقت، لبنان.)

9. صفاء سالم إسكندر: الوردة تموت مثل السياب

هكذا بكيت
أعني ضحكت
عندما اكتشفت صدفة
أن هنالك تبادلاً للأدوار في الحظ
عندما نصل إلى العالم الآخر
خبر مثل هذا جعلني أفكر، أن الوردة
تموت مثل السياب
لم تكن مبالغة كبيرة أو طيناً زائداً
يُحشر في المواعيد الغرامية
أو إشارة لسد النقص كما تصورنا
فبا لعينيك الـ«غابتا نخيل»
لكن أين وقت السحر؟
شيء من الصمت لضجيج الحياة الهائل.

(ديوان: أغنيات لليوم التالي، العراق.)

أسدّد عينيّ صوب المجهول
وأمعن النظر
كأني أترصد
لا شيء

■■■

هأنذا بلا بندقية أو رصاصة
أطل من ثقب في نافذة
على الخارج
حيث لا شيء
عادَ موجوداً

■■■

هأنذا ما أزال
مجرد ثقب في نافذة
أنظر للجهتين
ولا شيء.

(ديوان: ثلاثة وعشرون عاماً في الوحل، المغرب)

10. عامر الطيّب: فاصلة شعرية

أعرفُ الألمَ الّذي أعيشهُ الآن
المُ الخناجرِ والمقابض
والألحانِ الّتي تؤلّفُ
من أجلِ أنْ تنامَ النّاقة المجروحةُ فوراً.
المُ عشيرتي وأهلي
وأصدقائي المبتين برّاً وبحراً
ألمُ الغرباءِ الّذين يتردّدون في وصفِ
الملهم
أقولُ لهم هلْ هذا هو الألمُ
مُشيراً لِيدي؟
فيقولونَ نعم بخجلٍ ووقارٍ مكشوف.
المُ شجرةٍ عظيمة
تمّ تحويلها إلى بابٍ كبيرٍ
يدخلُ الأحبّةُ ويرحلونَ
وهو مفتوحٌ كجرحٍ في ذراعٍ بهيمة
أعرفُ كيفَ ينظرُ
البابُ لمصيره السيّئ
ثمّ يعلمُ أنّ العتبة
ليستْ خشباً!

(ديوان: سماءٌ بعيدةٌ كقبرٍ مفتوح، العراق.)

11. عثمان الدرابي: ثقب

هأنذا أطل من ثقب في النافذة
كقنّاص بطلقة أخيرة

■■■

أسفٌ لأني لم أغسل عتبتكِ
في القرآن أعدّ الشّخصيّات
إبراهيم
إلياس
لوط
مريم
والليل إذا عسعس
أضع دائرة حول كلمات متقطّعة
قدم
الحبّ
نساؤكم هنّ لباس لكم
واذكروني أذكركم
في القرآن أساعد الله في سرد الأحداث
أجمع الشّخصيات.

الكلمات المتقطعة
القرآن يساوي
«فلمّا رأته حسبته لجة وكشفت عن
ساقيها".

(ديوان: في حياةٍ قادمة، لبنان.)

12. علي اصلان: اسفٌ

جارتي العجوز: أسف
ساكرُرها وأسكرُ ببابك
ساتركُ أعقاب السجائر
وعلبَ الحزن الفارغة
وأزرع هذه الزجاجة الفارغة
على النافذة
أسف لأني لم أغسل عتبتكِ
هذه الليلة
لقد نسيتُ الصنبور على السواتر
أعدك بطلاء بابك القماش
بما تبقّى من حسرات المصابيح العتيقة
واعوضكِ عن لطافة صغيرك.
صغيرك الذي أصبح طعاماً للفتاوى.

(ديوان: عرّافٌ في غابة الدّم، العراق.)

13. علي شمس الدين: قصيدة

وهذا ما حصل حين قتلوا
السيدة
ألف
قطعوا رأسها نصفين
سألوها
— السيدة ألف
هل تحبين الخوخ
والأغنيات
والفرانسيسكو؟
هل لديكِ أيّ أغنية
تحبين سماعها قبل الشنق؟
— ليس عندي ما أقوله
سوى أنني السيدة ألف

(ديوان: مارمونيكا السفينة تشاز الطوفان، لبنان.)

14. لين نجم: قصيدة لله

أن الأشجار تحزن أيضاً
حين يتبدل الطقس
أو حين تكسر العصافير أجنحتها
لأن السماء لا تتسع بكثرة الطيران

■■■

تنمو الشجرة قريبة من منزل الجدّة
لأن الجدة تعلم دوماً
في أمسياتها الطويلة
أن الجسد يتقلص من قلة النّمس
وأن الشفاه شباك كبرى
تخلى عنها الصيادون
لكثرة ما فيها من ماء ثقيل وحموضة
تحت اللسان

■■■

تعلم الجدّة أن ماكينة الخياطة
الفارعة في الخارج
لا تصلح لخياطة البومات العائلة
وإعادة لَمّ الشمل

■■■

حين بكى على الأقدام التي مرت فوقه
ولم تعبره
لأنها تخاف الابتلالَ بالوحدة

(ديوان: لا ماءَ يكفي الغرقى، لبنان.)

15. محمد رضا: سيرة شجرةٍ وحيدة

تنمو الشجرة وحيدة ومهمومة
لأوراقها نظرة الرجل الذي سيمر
سريعاً
وينسى بعد يومين
الذّاكرة بئر
قفص
تمثال
كرسي اعْتراف
لخطايا متكررَة.

(ديوان: ليسَ حُباً بَل دُعابة، لبنان.)

17. مروى بديدة: جثّةٌ غيرُ كاملة

قصدتُ ليبيا بعدَ ثورة تونس
عام 2011
تجوّلتُ بحزامٍ ناسف
غيّرتُ اسمكَ ووجهتكَ والتحقتُ بفرقةٍ
إرهابيّة
وحينما أردتُ العودة
في ليلةِ صيفٍ رائقة قضفتكَ قذيفةُ
أربي جي
وراحتْ ورودكَ اللّحميّة تتناغمُ مع
النّجوم.
سجلوكَ في الإبحارِ والتّفتيش
على أنّكَ إرهابي
وأعدّوا لكَ مِشنقةً وأدواتِ تعذيبٍ لحينِ
وصولك
لكنكَ هلكتَ في بنغازي
نجا منكَ عظمُ ذراعكَ اليُمنى
يحلمُ برفقتنا ثانية
أمرٌ نعرفهُ نحنُ فقط.

أنتَ
تعاطيتَ حبوبَ الكآبة
وكسرتَ القيثارةَ الّتي كنتَ تُمضي
وقتكَ معها
قصدتَ الحانةَ كئيباً
أسرفتَ في كحولٍ رخيصة
ثمّ بابتسامةٍ ملائكيّة ناديتَ بأسمائنا
جميعاً
وفي آخرِ دمعةٍ ذرفتها
مُتَّ بعينينِ مفتوحتين.

(ديوان: قمرٌ جديدٌ مِن أجلي، تونس.)

18. ميرنا عيط: قمر يركّل

في آخرِ الوقت
شمس
معقودة كالسلاسل
تبني حذاء
ليتربّص بكلتا شفتيّ
المتدلّيتين كالشرائط.

■■■

غريبٌ يقذفُ رماداً
بلون الروح

■■■

أسرابٌ
تعانقُ أشباحاً من السراويل.

■■■

هناك كرسيٌّ طوى ملامحه
الزرقاء
وغاب
كما لو أن طفلاً
يركلُ قمراً
فيصرخُ عصفور
ثم يمشي على ركبتيه
كهرمٍ تجاوز السبعين
يمدُّ يداً
ويطبق على فوّهة
في قبضته لسانٌ
من الخوف
وأرقٌ
يكنس به بقايا الماء
من جوفِ ذبابة ميتة
ممتلئ بكرات الياسمين
وطفلٌ
يغمغم في عتمته
كأنه اللهُ ممتنّاً.

(ديوان: جُثّةٌ تَقْشعُ الهَواء، لبنان.)

19. ميشيل الزاني: القمر الورقي

القمر الورقي الأصفر
يغطي الثقبَ في أنبوب الموقد
يغرقُ قمرٌ آخرُ بثوبٍ ممثل أسود
سعاداتي تتعفّن بالنّعاس في فانوس
شيخوختي.
قمرٌ قديمٌ يستلقي على العربة
معاطفُ طويلة
منفاخ ينشر سواقيه المتيبّستين
في غابات شيخوختي المجفّفة.

(ديوان: زهورٌ تلوح كالعادة بقصائدَ مضحكة، العراق.)

20. نوّارة خنسا: تلويحات

1. خائنٌ ساعي البريد
نسيَ نافذتَك وراح ينتظرُ العالم
في طرفٍ آخر!

2. كلُّ خيالاتك هنا
لبستَ قمصاني البيضَ
وطارت
اليوم
أنا خيطٌ أسود دونك!

3. أنا لا أحبُّكَ
أحبُّ زهرَ اللّوز.

4. غيابُك حضورٌ مزخرف
غرفتي ضوءٌ!

5. لم تسقطْ شفتاك سهواً
كان عنقُ الوقت بارداً
يدُ المكان أبرد
سقطْتَ عمداً دون أن أدري!

6. بقلب أب يحتضنني غيابك
لكنني للأسف لستُ معجبةً بهِ!

7. الرسم كان محاولتي الأخيرة
كي أخبركَ بأن نظراتِك
مجرّدُ لوحةٍ خادعة!

8. صورتُك
فيلمٌ قديمٌ!

9. ستّين رسالةً كتبْتُ إليكَ
خمسونَ مِنها
ضُلبتْ على صدري عقداً يافعاً
والبقيةُ
سأريبها لتكبر
بأصابعي العشر!

(ديوان: حزيران، سوريا.)

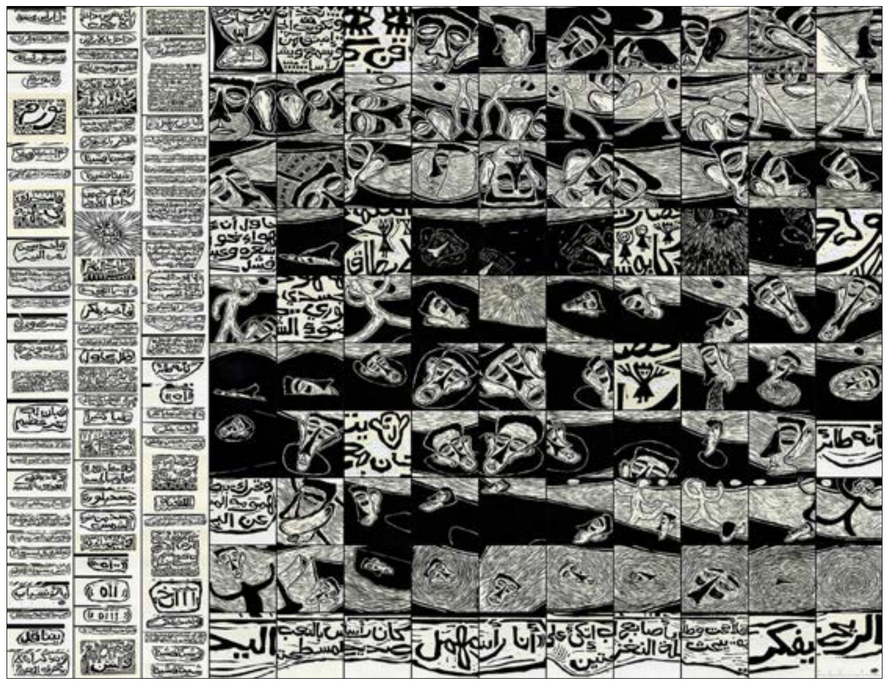

صادق كويلس ــ الفراجي ــ «سيرة رأس» (وسائط مختلفة ــ طباعة لامبدا ــ 2014)

ترجمة

رون بادجيت... الشفافيّة البارزة في كلمات

ولد الشاعر الاميركي رون بادجيت (Ron Padgett) عام 1942 في مدينة اوكلاهوما. بدا الكتابة في عمر باكر، وفي مراهقته، اصدر مع مجموعة اصدقاء مجلة The White Dove Review التي نشرت قصائد لاشهر شعراء «البيت» آنذاك مثل: الن غينسبرغ، جاك كيروك وروبرت ريبلي. انتقل بادجيت عام 1960 إلى مدينة نيويورك للدراسة، ثم امضى بعدها عاماً في باريس يدرس الشعر الفرنسي ويترجمه. يعتبر رون بادجيت امتداداً لمشروع جيل البيت، بل يعتبر الشاعر الاهم من الجيل الثاني. استلهم بادجيت اسلوبه الكتابي من المدرسة السريالية ومن التعبيرية، مع تاثره بموسيقى الجاز وثقافتها. تمتاز قصيدة بادجيت بالتقشف، اي الضالة والصغر في الحجم، والتكثيف في البنية والمعنى. اهتم بادجيت، في كتابته، ان تكون القصيدة وسيلة تنقيب نحو المطلق المختبئ في ثنايا الواقعي الروتيني. وبغية هذا الهدف، همّ بالانطلاق من الواقعي او «التحتي» عوضاً عن التطلع «الفوقي» اي الميتافيزيقي. ويمكن اعتبار ان المحرّك الاهم لهذا التوجّه الشعري، هي الروح الإنسانية والحساسية التي تحاول التفلّت من سطوة اليوميّ والمشاغل الحياتية، حيث لا يستطيع الفرد الوقوف امام سرعة العجلة إلا بالشعر. وهذه الاسباب، اي الدواعي الموضوعية لولادة القصيدة، هي نفسها الدواعي التي نستطيع ان نتّكئ عليها لقراءة هذا الشعر وإبراز اهميته. فالنتائج لم تتغيّر كثيراً من زمن كتابة بادجيت - الذي ما زال حيّاً يُرزَق - لقصيدته إلى عصرنا.

وإن القينا نظرة على راي معاصريه فيه، نجد الشاعرة والناقدة كارين فولكمان Karen Volkman، تصف قصائد بادجيت بانها ثرية، مضطربة، ومضحكة في الوقت عينه، تشكل اصواته المتغيرة تنسيقا نادرا، وصاخباً. فولكمان التي كانت ترى ان من اهم وظائف الشعر هي السماح للقرّاء ان يكتشفوا طرقاً مختلفة واكثر تعقيداً للمشاركة في التجربة الحياتية، بما في ذلك تجربة حياتهم الداخلية، وهو ما راته بالضبط في قصائد بادجيت، ونحن مدعوّون إلى ذلك ايضاً، في استرداد حيواتنا الداخلية من الاستلاب والاغتراب.

لبادجيت اكثر من 20 مجموعة شعرية. نشر مجموعته الاولى «تشنجات الفاصوليا» Bean Spasms عام 1967، تلتها «مقصورة كبيرة» Big Cabin و«اعمال دموية» Blood Work وغيرها. حصل بادجيت على جوائز عدة من بينها جائزة الشاعر الاميركي ولياماز كارلوس ويليامز Poetry society of America، بالإضافة إلى جائزة «مورتون لاندون للترجمة» عام 2016 عن ترجمته «قصائد مختارة»للشاعر الفرنسي غيّوم ابولينيير.

ترجمتْ اعمال رون بادجيت إلى 12 لغة ولم تكن للغة العربية حصّة من هذه الترجمات، وهذه عيّنةٌ صغيرة من شعره، عسى ان تجد قصائده كافّة سبيلها إلى دفّتي ترجمة عربية كاملة.

ترجمة وتقديم **محمد شحادة**

يعتبر رون بادجيت امتدادا لمشروع جيل البيت، بل يعتبر الشاعر الاهم من الجيل الثاني

1. كلمات من الجبهة

نحن لا نبدو فتياناً
مثلما اعتدنا
إلا في الضوء الخافت
خاصّةً في الدفء الأملس للشموع
حينما بكل صدق نقول:
«أنتِ لطيفة للغاية
وحلوتي»
تخيّلي
اثنين من كبار السن
يتصرفان هكذا.
هذا يكفي
ليجعلك سعيداً.

(من مجموعته الشعرية «كيف تكون مثالياً» 2007)

2. الشاعر على انه طائر ابدي

قبل ثانية
وقعت خفقة من قلبي،
مرّتْ
فاخذت أفكر:
ربما سيكون هذا
وقتاً سيئاً
للإصابة بسكتة قلبية
والموت في منتصف قصيدة،
ثم تنهدت لأنني لم أسمع قبلَ عن أحد مات
في منتصف قصيدة
تماماً كما أنه لا تموت
وسط تحليقها
الطيورُ أبداً

(من مجموعته الشعرية «أنت لا تعلم أبداً».)

3. ما بعد ريقردي

لم أكن أرغب أبداً
في رؤية وجهك الحزين
خديكَ، وشعرك العاصف
مرة أخرى

ذهبتُ في كل أنحاء البلاد
تحت نقار الخشب الرطب هذا
في الليل والنهار
تحت الشمس والمطر

إننا الآن مرة أخرى وجهاً لوجه
ما عسى أن يقول أحد ما في وجهي

ذات مرة استلقيتُ على شجرة
طويلاً جداً حتى
علقتْ عليها،
إن هذا النوع من الحب فظيع.

(من مجموعته الشعرية «قصائد مجمعة»)

نصّان

غدًا يومٌ جديد

صابر المنتصر *

1. أتمشّى في الشارع الرئيسيّ لهذه العاصمة الكئيبة. عيني اليسرى مريضة. وضعت نظّارة سوداء لإخفائها. كان يتوجّب عليّ أن أقطع الشارع بعد أن غادرت مركز البريد. الحرارة شديدة جداً. رائحة العرق تفوح في الهواء. تطير معها أعضاء تناسليّة تطغى على الكلمات. عيون الذكور تتابع المؤخّرات والنهود. عيون الإناث تتابع المحلاّت. عيون المتسوّلين لا تتابع شيئاً، الأسفلت يفتّتُها. توجد عيون تتابع عيون الكُلّ.

نصف الشّارع مغلق بأسلاك شائكة. وزارة سياديّة تخاف من شيء مجهول. ثلاث طرق فرعية تؤدّي للشّارع الرئيسي مغلقة أيضاً بأسلاك شائكة. سفارة المُحتلّ تحتلّ مساحة جيّدة. بنك أجنبي يحتلّ مساحة أخرى. مسرح بلدي مغلق للعطلة الصيفيّة. عشر حانات على ما أظنّ، أكثر من نصفها ذكورية فقط. عدد لا بأس به من مقاهي بيع مشروط. تمثالان لا تستطيع أن تصوّر بجانبهما، لطولهما. أسراب من العصافير تترك هداياها العفنة على رؤوس النّاس. أسراب من أعوان الشرطة تأخذ هداياها العفنة من جيوب النّاس.

في الطريق إلى بيتي، هذا ما رأيته بعين واحدة، فاليسرى كانت مريضة.

2. أقف أمام سيارة النقل الجماعيّ في المحطة. يتدافعُ النّساء والرّجال بمساواة تامّة. يتلاكمون في بعض الأحيان وتخرج من أفواههم شتائم متشابهة أثناء صراعهم. غالباً يستعملون الأعضاء الذكورية ككلمات نابية. في الكلام البذيء تغيبُ عنهم فكرة المساواة. تتسعُ السيّارة الواحدة لتسعة أشخاص ويتصارعُ على تلك الأماكن العشرات. يصعدُ الأصحّاء والأقوياء قبل الآخرين. في كلّ مرّة، في هذا المكان، أتذكّر لعبة الكرسي التي كنا نلعبها أيامَ الطفولة.

أتّكِئُ على الجدار المقابل وأتناول سيجارة. أُشعلها. أشاهد حلقة جديدة كل يوم.

يتغيّرُ الأبطال لكن الأحداث تتشابه. موسيقى الراي والراب تملأ الهواء الذي لا يزالُ لحد الآن دون مقابل. كل من يتّجه نحو هذه المحطة مصابٌ بعاهةٍ نفسيّة واحدةٍ على أقلّ تقدير. من المُستحيل أن تكون إنساناً سليماً في هذا المكان. كلّ ما يُحيط بالمحطّة مُثيرٌ للشفقة: عربةٌ لبيع البيض مُتّسخة مثل يد صاحبها. مقهى من دون مرحاض ومن دون أبواب ومن دون نادل، وقهوةٌ من دون قهوة؛ أعقاب السّجائر تملأ الأرضية، تُزاحمها بقايا ماكولات وسوائلُ بشريّة خرجت من كل ثغرات الجسد. روائحُ غريبة تسبحُ في هواءٍ مُلوّث. سائقو العربات وصياحُهُم المُستمرّ والذي يجعلك تكرهُ المدينة. كل الألوان باهتةٌ شاحبة. في هذه المحطة تتأكّد أنك تُلازم القاع في هرم ماسلو (Pyramide de Maslow). لا انتماءَ ولا عاطفةَ ولا حُبّ ولا جمالَ ولا خيرَ ولا أمانَ ولا ثقةَ ولا احترامَ ولا نجاحَ ولا عائلة. فقط أنانيةٌ تتجلّى في أبهى حللها. كلّ شخص في ذلك المكان عبارةٌ عن أنانيّة مُتجسّدة في إنسان. كمٌّ كبيرٌ هائلٌ من الأنانيين الذين يعتقدون أنهم بشر. في كلّ يوم أحسّ أن مُستوى الأنانيّة في المدينة يزداد. نظاراتٌ شمسيةٌ تُغطي العُيون، كمائمُ تُغطي الأنفَ والفم، سمّاعاتٌ تُغطّي الأذُنين، قبّعةٌ تُغطّي الرأس والعقل تُغطيهِ الأنانيّة.

أتّكِئُ على الجدار المُقابل وأتناولُ سيجارة. أُشعلها. أشاهدُ حلقةً جديدةً كُلّ يوم. يتغيّر الأبطالُ لكنّ الأحداث والأماكنَ تتشابه. محطّةُ النّقل الجماعيّ؛ سيارةُ التاكسي؛ المتاجر؛ المقاهي والحانات؛ المعاهدُ والجامعات؛ الإداراتُ العموميّة والخاصّة؛ المستشفياتُ والمصحّات؛ مجالسُ الزّواب والوُزراء؛ قصرُ قرطاج؛ الأحزاب والجمعيّات؛ الولايات والمُدُن والقُرى والأحياءُ وكلّ البيوت؛ كُلّها محطّةُ نقلٍ جماعيّ. تتغيرُ الملابسُ والروائحُ والأبطالُ لكنّ الأحداث تتشابه. أنانيةٌ تزداد وتنتفخُ وتزدادُ وتنتفخُ ولا تنفجر. أنانيّةٌ تتحرّكُ في مساحةٍ كبيرة تُسمّى وطناً، وفي بعض الأحيان يُسمّونها «نقلاً جماعيّاً». أنانيةٌ عُظمى، مُقدّسةٌ وتنتخبُ وتُبدي رأيَها في كُلّ شيء.

بعد ساعاتٍ من التأمّلِ كُلّ يوم، أُطفئ سيجارتي، أتدافع وأشتُمُ واتّلاكمُ. أتذكّرُ أنني لا زلتُ في صحّة جيّدة. أصعدُ في سيارةِ النقل الجماعيّ. أصعدُ وقتاً كثيراً من دُون جدوى في التأمّل. أصلُ إلى بيتي بكامل أنانيتي.

هذه المرّة كتبتُ هذا النّص إلا أنني في العادة أتناول العشاء وأنامُ مباشرة.

غدًا يومٌ جديد.

* تونس

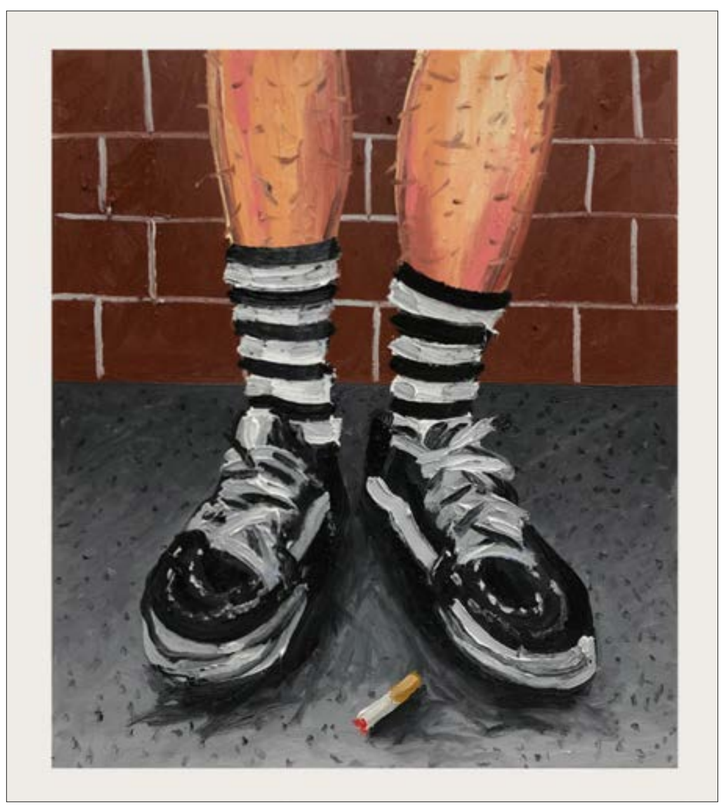

ديفيد غريغز ــ من دون عنوان (زيت على كانفاس ــ 78,5 × 66,5 سنتم ــ 2020)

قصيدة

فرضية أخرى لقتل الحزن

أسامة حيدر *

تجرحك الكتابة؟
لي أنا جسدٌ سيملؤه العويلُ
من ينزع الأسماء من جسدي ومن يَدَد
الوجوه؟
القاتلون الغابرون يهيّئون عيونهم
للقاتلين القادمين
وأنت مثل مدينة تنمو على صدري
فيدخلها المغولُ
لمن يعد البربريون الفؤوسَ ومن يرد
النار عن مدن تحاصرها الخيولُ؟
لمن يعد البربريون الفؤوسَ؟
ملامح الأطفال تُنسى والينابيع التي
لا تدرك الظبياتُ فيها الماءَ تُنسى
والسيوف الحمرُ في أغمادها تُنسى
وينسى وخزة الطعن القتيلُ
وأنا أحبك مثلما الأعواد تكسر
مثل نافذة تضيقُ ومثل ساقية تجاه
النهر يخذلها الطريقُ..
وبي أنا مسٌّ لأعبرَ خيط ماء في
السقوط الحر
هذا الحبُّ أم ماءٌ ثقيلُ؟
فرضية أخرى لقتل الحزن؛ من وجه
الضحية يستعاد القتلُ..
أنظرْ... والطلول هي الطلولُ تجيء من
أطراف ذاكرتي وتسحقني الخيولُ

* لبنان/ بوبو ديولاسو، بوركينا فاسو

دولاكروا ــ «الهجر» (زيت على قماش ـ 1847 ـ تفصيل).

سياسة

ديفيد فريدمان مُهندس «اتفاقيات ابراهام»

مصطفى شلش

«صلوا من أجل السلام في القدس، يَسترح محبوك». بهذا الاقتباس المُحرف عن سفر المزامير (اسألوا سلامة أورشليم: ليسترح محبوك – المزامير 122/6) يبدأ ديفيد فريدمان السفير الأميركي السابق في «إسرائيل» خلال عهد الرئيس دونالد ترامب، كتابه Sledgehammer: How Breaking with the Past Brought Peace to the Middle East (هاربر كولينز ـ 2022) ليتناول قصة اتفاقيات السلام التي تمت بين تل أبيب ودول عربية عدة (الإمارات العربية المتحدة، البحرين، المغرب، السودان...) في ما عُرف باتفاقيّات إبراهام.

يحمل عنوان الكتاب «مطرقة ثقيلة» استعارة عن مُشاركة فريدمان في هدم جدار أمام نفق إسرائيلي في بلدة سلوان الفلسطينية في القدس الشرقية. إذ يُزعم أن هذا النفق كان طريقاً للحج إلى المعبد اليهودي الثاني في القدس قبل نحو ألفَي عام. وكانت هذه الاستعارة «إشارة إلهيّة» على حد وصف فريدمان، ليتبع طريق النبي إشعياء الذي حرص على الدعوة للسلام قائلاً: «فَنِقْضِي بَيْنَ الأُمَمِ وَيُنْصِفُ لِشُعُوبٍ كَثِيرِينَ، فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكَكاً وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. لا تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفاً، وَلا يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ» (إش 2: 4). ما يعني أن على السفير التخلي عن النهج المُهادن لإدارة أوباما واستخدام نهج صارم لتذليل عقبات السلام ولو عن طريق السحق تحت مطرقة ثقيلة.

ينتقل فريدمان ليُعلن عن صهيونيته منذ الطفولة. أمه وأبوه ولدا في الولايات المتحدة، ولم يعيشا أزمة الهولوكوست، بينما مات أقاربهما الأقل حظاً في حرب هتلر ضد اليهود. شكل هذا وعيه الشخصي، بينما كان والده ملتزماً بشدة بإقامة وطن للشعب اليهودي واضح حاخاماً لتحقيق هذا. خلال السبعينيات من القرن الماضي، لعب والد فريدمان دوراً كبيراً مع البعثة السوفياتية في مانهاتن للمطالبة بالسماح لسفر اليهود الروس. وقد رافق سفير المستقبل والده عندما كان في سن الثانية عشرة لتلك الفعاليات ووشاهد حتى اعتقال الأب عندما رفض أن يُنهي اعتصاماً مُتعلقاً بالمطالبة بدعم لإسرائيل.

كانت رحلة فريدمان الأولى إلى «إسرائيل» عام 1971 عندما بلغ 13 عاماً، ليكتب عنها أنه «رأى شعباً فخوراً بأمته اليهودية، يمتلك ثقة بالنفس وطموحاً جماعياً لا يعرفه يهود الشتات». كان الحدث المُفصلي في تحيّزه لإسرائيل عام 1972 عندما شاهد مقتل 11 إسرائيلياً في أولمبياد ميونخ بينما «سمحت السلطات الألمانية للمُنفذين بالفرار» على حد وصفه. وقتها سمع أباه يقول بمرارة إنّ هذا العالم «يُحبّ اليهود موتى». ومن هنا قرر فريدمان أن يُكمل مسيرة والده ليفني حياته دفاعاً عن إسرائيل.

صار سفير الولايات المتحدة ووسيطها المفاوض في ما سُمي عمليات سلام، داعماً ومتحمّساً للمستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، ولم يكن يريد حتى الحفاظ على الوضع القائم وفقاً لاتفاقات أوسلو بين الفلسطينيين والإسرائيليين في التسعينيات، إذ يعتبر فريدمان أنّ تنازل معظم الإسرائيليين الليبراليين، خصوصاً اليهود منهم، عن الضفة الغربية وما يُعرف بمنطقتَي يهودا والسامرا كوسيلة لتحقيق حل الدولتين، هو تجاهل لأهميتهما التوراتية والتاريخية والأمنية.

يتهم فريدمان الإدارات الأميركية المُتعاقبة، وخصوصاً الديموقراطية منها، بأنها تجاهلت ما وصفه بـ «الحقائق المزعجة للإرهاب والتحريض الفلسطيني»، حيث لا معنى لعقد سلام مع «مجموعات إرهابية تواصل السعي لتدمير إسرائيل، وتنتهك حقوق الإنسان لشعوبها وفي حالة صراع دائم مع بعضها البعض». يذهب أبعد من ذلك، حين يهاجم ادعاءات التيارات اليسارية الإسرائيلية التي تستند إلى إرث رئيس الوزراء إسحاق رابين، الذي اغتيل عام 1995 على يد إرهابي يهودي من اليمين المتطرف، بأنه كان سيوافق على أهدافها التقدمية.

«لكن إسحاق رابين لم يكن يهدف إلّا إلى تهدئة الإرهاب، فهو أحد الجنرالات الأكثر حزماً في تاريخ إسرائيل، وقد أوضح رئيس الوزراء للكنيست أن اتفاقيات أوسلو ستقود إلى اتفاق يؤدي إلى إنشاء «كيان فلسطيني» سيكون «أقل من دولة»، مع احتفاظ إسرائيل بجزء كبير من يهودا والسامرا»، هكذا لخّص فريدمان نظرته إلى أوسلو التي اعتبرها متوافقة مع رؤيته من أجل السلام التي روّج لها في أوائل عام 2020.

خلال رحلة الرئيس أوباما الأولى إلى الشرق الأوسط حيث تم استبعاد إسرائيل، والحديث في القاهرة بصيغة اعتذاريّة عن سياسات واشنطن ضد العرب، شعر فريدمان بالغضب وبدأ في كتابة عمود صحافي في Israel National News وهي مطبوعة يمينية على الإنترنت، أملاً في تقديم وسيلة مسموعة لدعم إسرائيل.

جادل فريدمان بأنّ الليبراليين الأميركيين الديموقراطيين والإدارة التي خدموها، ليس لديهم أدنى فكرة عن كيفية المضي قدماً في الشرق الأوسط. لقد اعتبرهم محاورو‌هم ـ من إيران إلى سوريا إلى الفلسطينيين ـ ضعفاء وأغبياء. قبلوا الكلمات والابتسامات على أنها إشارات ذات معنًى لحسن النية. لذا، أولى أهمية أكبر لسياسة القوة التي اعتبرها السبيل الوحيد إلى «السلام».

مع تولي فريدمان مهام منصبه في القدس، رغب في تسريع نقل السفارة الأميركية إلى القدس، على أن تتم مناقشة ذلك خلال زيارة الرئيس الأميركي الأسبق دونالد ترامب. تأسست القنصلية الأميركية عوضاً عن سفارة عام 1844، أي قبل 104 سنوات من إنشاء الكيان العبري، على يد الصهاينة المسيحيين الأميركيين عندما كانت القدس تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية. وعندما أصبحت «إسرائيل» دولة مستقلة بقوة السلاح، ظلت القنصلية على النظيرة القائلة بأن القدس ستبقى كياناً منفصلاً/ هيئة منفصلة. بالطبع، في تلك الأيام، كانت القدس مقسّمة بين «إسرائيل» والأردن. لكن بعد اتفاقيات أوسلو عام 1993، فكرت وزارة الخارجية في تحويل قنصلية القدس إلى بعثة فعلية للفلسطينيين. كانت فكرة مقلقة لرافضي عملية السلام أن يصبح للفلسطينيين سفارات ممثلة في أراضٍ تخضع لهم. ولهذا رغب الصهاينة بإنهاء هذه الفكرة حال الحديث عن أي مفاوضات سلام مقبلة.

بدأت السياسات المتطرفة للسفير الأميركي تزعج حتى وزارة الخارجية الأميركية. فقد ضغط للاعتراف بالقدس عاصمة لـ «إسرائيل» ثم تولى شخصياً عملية بناء السفارة، بالإضافة إلى رغبته المتكررة بزيارة أماكن تصنّف وفقاً للقانون الدولي بأنها تحت الاحتلال. تجاهل السفير نصائح زملائه في الدائرة المقربة في تل أبيب، حتى قرر موظف كبير في وزارة الخارجية الاتصال به وتقديم النصيحة التالية: «السيد السفير، لا تكن يهودياً جداً، أنت تمثل الولايات المتحدة الأميركية، قلل من اليهودية في عملك».

في 13 تموز (يوليو) 2018، تلقّى فريدمان بريداً إلكترونياً من «مجلس الأمن القومي». بالتزامن مع تواجد الرئيس ترامب في لندن للقاء رئيسة الوزراء تيريزا ماي التي طلبت من الرئيس أن ينقل إلى حكومة «إسرائيل» نداءً للمساعدة في إنقاذ مجموعة إنسانية سوريّة تسمى «الخوذ البيضاء». وفق ما ورد في البرقية، «يودّ الرئيس منكم العمل مع إسرائيل للتخطيط لعملية الإجلاء، بينما نعمل على المضي قدماً، لدينا التزام من كندا لأخذ الجزء الأكبر منهم».

كان فريدمان مُتأكداً بأنّ هذه العملية ستُغضب الروس، الذين حافظت إسرائيل معهم على توازن دقيق في سوريا. لكن بعد مشاورات مع واشنطن وسفير المملكة المتحدة في «إسرائيل»، أكد فريدمان للإسرائيليين بأنّ أميركا والمملكة المتحدة ستبلغان الروس، بمجرد اكتمال العملية، وأن تل أبيب تتصرف بناءً على طلب تلك الدول.

بدأت القضايا العمليّاتية تتركز حول الأردن. وقد تم التأكيد للأردن بأنّ استضافته لهؤلاء اللاجئين الـ 700 من «الخوذ البيضاء» ستكون قصيرة بما يكفي لمعالجة عملية التحاقهم بكندا أو دول مضيفة أخرى. وبحلول 18 تموز (يوليو)، كانت كندا قد تراجعت عن حجم الاستيعاب المقصود، ما أغضب فريدمان لأنّه أكد للأردنيين التزام كندا. لكن سرعان ما نجح في إشراك المملكة المتحدة وفرنسا وألمانيا والسويد لتوزيع اللاجئين.

في 21 تموز، بدأ الجيش الإسرائيلي عملية الإنقاذ، بالتنسيق مع السفارة الأميركية التي كانت تُطلع مجلس الأمن القومي على آخر المستجدات. في حوالى منتصف الليل، عبرت «إسرائيل» الحدود إلى سوريا بقافلة مسلّحة من الحافلات وانْقذت نحو 430 من «الخوذ البيضاء» وعائلاتهم. وتم احتجاز 300 آخرين ممّن تم تحديد هويتهم للإنقاذ في بلدات محظورة التجوال ولم يتمكنوا من الوصول إلى نقطة الالتقاء.

افتخر السفير الأميركي بأنه منذ عام 2016، وكجزء من برنامج يُعرف باسم «عملية حسن الجوار»، قبلت «إسرائيل» الأطفال السوريين في مستشفياتها الشمالية، وقدمت العلاج، وأعادتهم إلى عائلاتهم. كما أرسلت إسرائيل أطناناً كثيرة من الإمدادات مشجعة، فقد عارضت ست دول من أصل 27 في الاتحاد الأوروبي القرار، بما في ذلك إيطاليا والمجر والنمسا وجمهورية التشيك. كانت ضربة مروعة لخصوم ترامب في أوروبا، لكنها لم تثنِ رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، الذي دعا إلى عقد اجتماع طارئ لمجلس الأمن، لإدانة رؤية السلام.

على الرغم من أنه كان من المهم جداً ألا ينجح الفلسطينيون في قلب العالم ضد خطة ترامب للسلام، لكن الإدارة الأميركية لم تكن سعيدة برؤية فشل الفلسطينيين، وبقائهم داخل فقاعة خصوصاً أنهم قادة غير منتخبين ولا يخضعون للمساءلة أمام شعبهم. شعر فريدمان أن عباس ورفاقه يضيّعون «فرصة اقتصادية وتعليمية هائلة للشعب الفلسطيني، كانت ستمنحهم استقلالية ذات مغزى وكرامة».

ارتكب الفلسطينيون خطأً فادحاً آخر، في نظر فريدمان، إذ تواصلت السلطة الفلسطينية مع وزارة الخارجية لترتيب مكالمة بين عباس ووزير الخارجية الأميركية مايك بومبيو. شعرت الإدارة كلّها بضرورة الاستماع لعباس، وخصوصاً أن الإسرائيليّين هددوا بإعلان سيادتهم على أراضي يهودا والسامرا، لكن قبل ساعة من موعد المكالمة، اتصلت السلطة الفلسطينية مرة أخرى للقول بأنّ عباس سيتحدث مع بومبيو فقط، إذا وافقت الولايات المتحدة على إلغاء فكرة إعلان السيادة كُلياً. كان بومبيو غاضباً لأن عباس كان يلعب، ولم تحدث المكالمة مطلقاً.

عملت الحكومة الإسرائيلية للمضي قدماً في نهج السيادة على يهودا والسامرا، لكن حدث تحول لم يكن محسوباً. في 17 تموز 2020 ، تحدث السفير الإماراتي في واشنطن يوسف العتيبة مع أفي بيركوفيتش المبعوث الأميركي الخاص للشرق الأوسط لمعرفة ما إذا كان تحسن العلاقات بين الإمارات وإسرائيل قد يحبط إعلان السيادة.

رأت الإدارة الأميركية أن إعلان سلام مع الإمارات كان جائزة اكبر بكثير من مسألة السيادة، فالحصول على علاقات دبلوماسية كاملة بين إسرائيل والإمارات، سيكون أفضل لأميركا وإسرائيل والعالم، وانتصاراً هائلاً لترامب.

عمل فريدمان على صياغة بيان مشترك حول السلام، لكنه أولى اهتماماً خاصاً للفعل الذي تم اختياره لإلغاء إعلان السيادة. إذ قرر أن «إسرائيل ستعلق إعلان السيادة» وأكد على أن السياسة الإسرائيلية موقتة. واستكمل صياغة البيان بإعلان تقدير واشنطن لدولة الإمارات، و«سيواصل الطرفان جهودهما للتوصل إلى حل عادل وشامل ودائم للصراع الإسرائيلي الفلسطيني». ثم التحقت البحرين والمغرب والسودان وكوسوفو باتفاقيات التطبيع مع إسرائيل. يقول فريدمان عن ذلك: «تذكرت التنافس الأصلي بين اليهود والعرب. الصراع بين إسحاق وإسماعيل ابني إبراهيم. كان ذلك الصراع شديداً لدرجة أن إبراهيم، وبناءً على إلحاح زوجته سارة، طرد إسماعيل ووالدته هاجر من منزل العائلة. وازعج هذا إبراهيم جداً، لكن الله وعده أنه سيجمي إسماعيل وأن كلا ولديه سيخلقان أمماً عظيمة - الأمة اليهودية من إسحاق والأمة العربية من إسماعيل. وعندما مات إبراهيم، تصالح إسحاق وإسماعيل ودفنا معاً والدهما في الخليل. وهذه المصالحة التي حدثت منذ حوالى 800 عام، يتم إعادة إنشائها الآن، من قبل نسل إسحاق وإسماعيل، على يد ترامب، وهكذا ولدت «الاتفاقيات الإبراهيمية».

لم يحدّد طبيعتها. لكن هذه كانت المرة الأولى التي تتدخل فيها تل أبيب وترسل قوّاتها عبر الحدود. ويكون هو الشخص الذي نسّق لهذه العملية.

في أوائل صيف عام 2019، طُرحت خطة ترامب للسلام. وفي نهاية شهر حزيران (يونيو)، حضر جاريد كوشنر «مؤتمر السلام من أجل الازدهار» في البحرين، الذي جمع قادة الحكومات ورجال الأعمال من الولايات المتحدة وإسرائيل والخليج. على الرغم من أن الموضوع الوحيد للمؤتمر كان تحقيق التقدم المالي والاقتصادي للفلسطينيين، إلا أن السلطة الفلسطينية قاطعت الحدث. مع ذلك، حضر المؤتمر بعض قادة الأعمال الفلسطينيين وأظهروا أن القطاعين العام والخاص في العالم يقفان على أهبة الاستعداد للمساعدة إذا أمكن في إيجاد حل سياسي.

خلال عام 2020، كان الرئيس ترامب قد دخل بعمق في حملة ولايته الثانية، وأدرك فريدمان وكوشنر استحالة إطلاق الرؤية من أجل السلام. تفاوضا أولاً مع نتنياهو، وفهم الأخير تماماً التوقيت والمخاطر التي قد تضيّع من هذه الفرصة. كما تفهّم المخاطر السياسية. وطلب موافقة واشنطن على السيادة الإسرائيلية داخل يهودا والسامرا التي تم تخصيصها لإسرائيل بموجب الخطة (وهي مساحة تبلغ حوالى 30%) ووادي الأردن. اقترح فريدمان أنه مقابل اعتراف الولايات المتحدة بالسيادة الإسرائيلية، سيحتاج رئيس الوزراء الإسرائيلي إلى الالتزام بالتفاوض حول الخطة مع الفلسطينيين.

وصف يوفال شتاينتس العضو البارز في الليكود ووزير الطاقة آنذاك أنّ هناك توافقاً نادراً بين رؤية السلام لليمين الإسرائيلي واليسار المتطرف، وكلاهما رفضاها بشدة لكن بينما عارض اليسار الإسرائيلي الرؤية الأميركية لأنها تقلل حلّ الدولتين، كان اليمين الإسرائيلي يُعارضها لأنها تؤسس دولة فلسطينية.

لم تقتصر معارضة خطة ترامب للسلام على الجمهور الإسرائيلي المحلي، بل أيضاً عارضها الاتحاد الأوروبي. لكنّ جاريد كوشنر حشد فريق السياسة الخارجية الأميركية للرد، موضحاً أن الرفض الاستباقي لخطة السلام من شأنه أن يدفع الأطراف إلى مزيد من التطرف، وبالتالي يتعارض مع مصالح أولئك الذين يسعون إلى حل سلمي للصراع الإسرائيلي - الفلسطيني.

كانت نتائج تلك الحملة الديبلوماسية

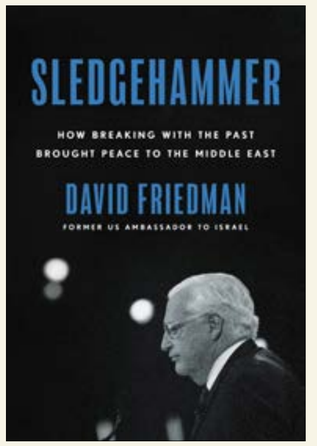

كان داعماً ومتحمّساً للمستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة

تحقيق

عماد فؤاد: تعال إلى سوق النخاسة الأدبية!

خليل صويلح

يرصد عماد فؤاد في كتابه «على عينك يا تاجر» (دار «ميتافورا للنّشر والترجمة» في القاهرة) ظواهر جديدة اجتاحت سوق الأدب العربي في أوروبا، بسطوة السوشال ميديا التي أفرزت سلعة قابلة للتداول تحت ذرائع مختلفة، بصرف النظر عن تاريخ الصلاحية وقيمة المنتج. وإذا بكتب «البست سيللر» تغزو سوق النشر بوصفها سلعة مطلوبة ورائجة، كما لعبت بعض الجوائز العربية دوراً صريحاً في تصدير طراز من الأدب يتوافق مع موضوعات محددة، ما أدى إلى لفظ عشرات الكتب الثقيلة معرفياً خارجاً، كاستجابة نوعية لنظام التفاهة، حيث تنتصر الوظيفة على الحرفة، ويغيب مفهوم الصنعة عن حقل الأدب، وفقاً لتصورات الآن ودونو.

هكذا اقتحم «الميديوكر» الأدبي واجهة المشهد واحتلها علناً، رغم ضحالة موهبته وبسببها، ذلك أن «العادي» اليوم هو من يقتنص الفرص غير عابئ بالإهانة، أو هدر الكرامة الشخصية، مستخدماً أجنحة مزيّفة للطيران عالياً، محمولاً على قضايا الهجرة والاضطهاد والمنفى، مبحراً بسفينة «الربيع العربي» وخصوصاً أن الإسرائيليّين هددوا المحمّلة بعشرات الأسماء التي لم تكن يوماً على قيد نفوس الأدب. ذلك أن «كتيبة الحمقى» التي هجاها إمبرتو إيكو بضراوة، باتت رموزاً للمرحلة الراهنة. «ميديوكر الأمس» الذي كان يوصف بـ «عديم الموهبة»، و«المتسلق»، و«الوصولي»، و«المزيّف»، خلع هذه الصفات عنه، نظراً إلى سهولة تشكّله ومواءمته لأمزجة من يتربعون على مراكز القوى والسلطة، وجرى تعليبه وتسليعه على عجل ليكون في قلب المشهد. لكنّ هؤلاء «المثقفين المزيّفين» وفقاً لكتاب الباحث الفرنسي باسكال بونيفاس، لا يتورعون عن صنع الأكاذيب وتلفيق الحقائق. وبهذا المعنى، فإن الميديوكر يدرك أنّه «ليس موهوباً، لكنّه يستعيض عن قلّة الموهبة هذه بالاجتهاد المستمرّ، فيما تتكوّن في ذهنه يوماً بعد يوم هالة كبيرة عن ذاته وعمّا يقدّمه من «ضحالة»، ومن ثمّ يكون من الصّعب على أيّ كان أن يقنعه بغير ما يظنّه عن نفسه، ستجده يعادي كلّ من يخالفه الرّأي أو ينتقد عمله بشكل مباشر». وفي أحسن الأحوال، فنحن نحتفل اليوم بأنصاف المواهب، وربما بأرباع المواهب، حسب قانون «الوفرة». يتكئ صاحب «عشر طرق للتنكيل بجثة» على أبحاث ميدانية وتحليل نصوص، ومقابلات صحافية لرسم خرائط الأدب العربي في أوروبا وكيفية التسلل (العاطفي) إلى المؤسسات الثقافية بأدواتها، كما فعلت «ميليشيا الثقافة» التي أسسها شعراء عراقيون واقتحموا بنصوصهم المصوّرة «جنّة البرفورمانس» أو فن الأداء الشعري، قبل أن تتراكم البيانات والبيانات المضادة بين مؤسسيها في سجالات ردح إقصائية، وادعاء الأهمية والريادة.

هنا ينصح عماد فؤاد من يتطلّع إلى العالمية بقوله «اذهب إلى الجزّار وأملأ كيساً كبيراً بالعظام المتبقية من الذبائح وارفعها أمام الجمهور وأنت تصرخ فيهم: هل تعرفون ما هذا؟ هذا هو كلّ ما تبقّى من الشّرق، هذا هو ما تبقّى من الشّرق»، على المقلب الآخر، يعتني الأوربيون بالقضايا الساخنة التي تتعلّق بحرية التعبير بصرف النظر عن أهمية تجارب أصحابها إبداعياً. عدا ظاهرة يحيى حسن الذي ألهب مشاعر الدنماركيين بنصوصه التي تهتك أسوار الغيتو العربي، وترجمتها إلى أكثر من لغة بما يتوافق مع تطلعات الأحزاب اليمينية المتشددة تجاه عالم اللاجئين، عبروا المتوسط نحو الآخر يفكّرون بالحصول على منحة إبداعية فيفضلون نصوصاً تتوافق مع مزاج الأوروبيين في المقام الأول، فيما ترى وداد نبي المقيمة في ألمانيا «أنّ قسماً كبيراً من هذه التّرجمات ذاهب إلى مكان خطأ ومصيره النّسيان. لا يمكنها أن تكون صالحة لأكثر من بضعة أعوام، ستنتهي فيها هذه الموجة من الاهتمام الأوروبي باللجوء والحروب والثّورات». وتضيف: «هناك مواصفات مطلوبة للأسف آخرها قيمة المنتج الأدبي». في هذه السلسلة من الاستطلاعات، يقتحم عماد فؤاد عش الدبابير، خصوصاً أولئك الذين انتقلوا من الهامش أو ما قبل الكتابة إلى لغات

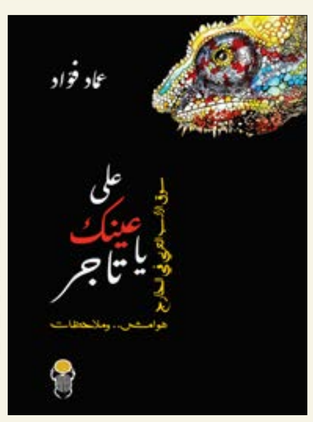

اختيار الأعمال العربية للترجمة يذهب إلى «الكيتش السياسي والثقافي والنسوي»

وفقاً لكتاب الباحث الفرنسي باسكال بونيفاس، لا يتورعون عن صنع الأكاذيب وتلفيق الحقائق. وبهذا المعنى، فإن الميديوكر يدرك أنّه «ليس موهوباً، لكنّه يستعيض عن قلّة الموهبة هذه بالاجتهاد المستمرّ، فيما تتكوّن في ذهنه يوماً بعد يوم هالة كبيرة عن ذاته وعمّا يقدّمه من «ضحالة»، ومن ثمّ يكون من الصّعب على أيّ كان أن يقنعه بغير ما يظنّه عن نفسه، ستجده يعادي كلّ من يخالفه الرّأي أو ينتقد عمله بشكل مباشر». وفي أحسن الأحوال، فنحن نحتفل اليوم بأنصاف المواهب، وربما بأرباع المواهب، حسب قانون «الوفرة». يتكئ صاحب «عشر طرق للتنكيل بجثة» على أبحاث ميدانية وتحليل نصوص، ومقابلات صحافية لرسم خرائط الأدب العربي في أوروبا وكيفية التسلل (العاطفي) إلى المؤسسات الثقافية بأدواتها، كما فعلت «ميليشيا الثقافة» التي أسسها شعراء عراقيون واقتحموا بنصوصهم المصوّرة «جنّة البرفورمانس» أو فن الأداء الشعري، قبل أن تتراكم البيانات والبيانات المضادة بين مؤسسيها في سجالات ردح إقصائية، وادعاء الأهمية والريادة.

هنا ينصح عماد فؤاد من يتطلّع إلى العالمية بقوله «اذهب إلى الجزّار وأملأ كيساً كبيراً بالعظام المتبقية من الذبائح وارفعها أمام الجمهور وأنت تصرخ فيهم: هل تعرفون ما هذا؟ هذا هو كلّ ما تبقّى من الشّرق، هذا هو ما تبقّى من الشّرق»، على المقلب الآخر، يعتني الأوربيون بالقضايا الساخنة التي تتعلّق بحرية التعبير بصرف النظر عن أهمية تجارب أصحابها إبداعياً. عدا ظاهرة يحيى حسن الذي ألهب مشاعر الدنماركيين بنصوصه التي تهتك أسوار الغيتو العربي، وترجمتها إلى أكثر من لغة بما يتوافق مع تطلعات الأحزاب اليمينية المتشددة تجاه عالم اللاجئين، عبروا المتوسط نحو الآخر يفكّرون بالحصول على منحة إبداعية فيفضلون نصوصاً تتوافق مع مزاج الأوروبيين في المقام الأول، فيما ترى وداد نبي المقيمة في ألمانيا «أنّ قسماً كبيراً من هذه التّرجمات ذاهب إلى مكان خطأ ومصيره النّسيان. لا يمكنها أن تكون صالحة لأكثر من بضعة أعوام، ستنتهي فيها هذه الموجة من الاهتمام الأوروبي باللجوء والحروب والثّورات». وتضيف: «هناك مواصفات مطلوبة للأسف آخرها قيمة المنتج الأدبي». في هذه السلسلة من الاستطلاعات، يقتحم عماد فؤاد عش الدبابير، خصوصاً أولئك الذين انتقلوا من الهامش أو ما قبل الكتابة إلى لغات

اختيار الأعمال العربية للترجمة يذهب إلى «الكيتش السياسي والثقافي والنسوي»

فولتير وغوته وشكسبير كمبدعين أولاً، وفرسان بسيوف مشحوذة في مواجهة الطغيان ثانياً. يستشهد هنا بما كتبته جمانة مصطفى بعنوان «أوروبا وصناعة الشعراء: لا أعمال خيرية في الأدب» بخصوص أولئك الذين «انتقلوا من الأميّة إلى كتابة الشعر في غمضة عين»، وعملوا بدأب على استرضاء رغبة المثقف الأبيض بإثارة الشفقة عن طريق قصص يفتقدها ويرفضها عن الاغتصاب والتعذيب الجنسي. «قصص تثير فيه الغريزة والغثيان»، وإذا بسوق الرداءة الأدبية تكتسح ساحة الترجمة وفقاً لقانون العرض والطلب. تتسع مساحة الفضيحة، حين تعلن مؤسسة ثقافية أوروبية داعمة عن قائمة اهتماماتها الأدبية الموجهة إلى الفئات التالية: «ناشطون مستقلون ذوو خلفية يسارية، أو نسوية، أو أناركية، أصحاب البشرة الملوّنة، المهاجرون، المرضى النفسيون، السجناء السابقون، ذوو الميول الجنسية المثلية، «مجتمع الميم»». سوف يستجيب عشرات الحمقى بكتابة ركاكتهم واختراع سير مزيّفة عن مكابداتهم قبل العبور من جحيم بلادهم إلى جنّة أوروبا، بوصفهم كُتّاباً تحت الطلب، فالمسألة لا تحتاج إلى طهاة مهرة: ضع قليلاً من اللجوء والحرب والموت، والاستبداد في وعاء واخلطها معاً، وستكون فرصتك محقّقة في الترجمة. من ضفةٍ ثانية، سننتبه إلى «اتحاد مقاولي الثقافة العربية في الخارج»، أولئك الذين يتعهدون المهرجانات والمؤتمرات الثقافية وتوزيع المنح والإقامات الأدبية، ولجان التحكيم، مثلهم مثل أي مافيا مسلّحة بالمصالح، ونبذ كل ما هو أصيل، في حال كان خارج خريطة الصداقة. أجل كل ما يحدث اليوم في ظل هذه الفوضى العمومية، يتواءم مع المثل الشعبي المعروف: «على عينك يا تاجر».

رواية

عاطف الحاج سعيد: الهوية بين أزمتين

تغريد عبد العال

ربما تأخذنا الروايات من السودان إلى اكتشاف ما يخص هذا البلد، فتبدو النافذة واسعة من خلال رواية السوداني عاطف الحاج سعيد الجديدة «شمسان على النيل» (دار نوفل). ففي الرواية، نعثر على تلك الأزمات التي يعانيها الإنسان في كل مكان من العالم العربي وهي البحث عن المكان والهوية، ولو أن الكاتب هنا تطرّق إلى موضوع الهوية الجنسية، وهو ربما من الأدب المسكوت عنه أو الأدب الذي وُسم بالجريء. لكن ليس هذا ما يشدنا إليها، فهي أيضاً تغوص عميقاً في تلك العلاقة بين الفرد وعلاقته مع نفسه وجسده وعلاقته بالسياسة كون هذا يؤثث العلاقة مع المكان، فتنتهي الرواية بالبحث عنها مع الجماعة ومع اللاجئين. الشخصية المحورية هي «شمس الدين» الذي يعيش اضطراباً في هويته بين إحساسه أنه أنثى وجسده الذكر، وهذا الانفصام برافقه وجود الجدة التي تدعمه بينما يقف بوجهه الأب القاسي، الذي يضيق ذرعاً بميول شمس الدين الأنثوية الذي يحاول بالتمرد والقطيعة مع الأعراف أن يستعيد هويته المفقودة في رحلة صعبة وجنونية. تعيش هذه الشخصية اغتراباً عن نفسها وعن المجتمع، فتعبر من السودان إلى الضفة الأخرى من النيل إلى القاهرة، لتجد نفسها شمس حيث تخضع للعلاج النفسي والهرموني. لكن التحول الكامل لا يحدث بدون السفر إلى الخارج، الذي لا يحدث لأسباب سياسية. هنا تبدو هذه الشخصية عالقة، بين ماضيها ومستقبلها تماماً كهؤلاء اللاجئين الذين ينتظرون مصيرهم. هكذا ربما تتشابك تلك الأسئلة الشخصية عن الهوية مع أسئلة الجماعة الهاربة أيضاً إلى مستقبل قد لا يأتي. يجعلنا نتحسّس تلك الروابط بين أسئلة الذات وأزماتها وبين أسئلة من حولها، فتبدو كأنّ الخلفية واحدة وهي الاستعمار الذي عاشت تحت ظلاله جدته «اللقيطة» المتمردة على الأعراف، والتي لم تعترف بإنكليزيّتها. لكن حالة «العلقان» هذه تبدو كأنها حالة الضياع تلك، فالجدة أيضاً تعاني منه. إنّها حالة أوسع من قلق شخصي، بل إنها حالة سياسية ووجودية. كأنما لا ينتهي البحث بقرار ما أو إرادة ما، فيأتي الفصل الأخير من الرواية كأنه حالة بحث عن شاطئ ما لكل تلك الأسئلة، فتستعاد الجدة كأنها ذلك الماضي الذي علينا أن ننبش داخله لنفهم جذور هذه الأزمة. ربما كانت تلك السياسة والمسائل الشخصية والجنسية والذاتية أمراً مهماً في هذه الرواية، فالمقاربة ربما تفتح الباب للتفكير بأنّ جذور التخلف قادمة من أماكن خفية في الماضي والأمر يتعلق بتحرير شامل لا يمكن فصل السياسة والدين عنه. ربما يجعلنا هذا الأمر نفكر في الوهم الذي نراه حولنا بأنّ الأمور منفصلة تماماً. هكذا تجد هذه الشخصية كما باقي الشخصيات في الرواية وجودها محاصراً في النهاية كباقي اللاجئين، فهي أيضاً لاجئة مهما يكن سبب لجوئها وتنتظر الوصول إلى ضفاف أخرى.

ربما تطرح هذه الرواية أسئلة أخرى، لكنها تجعلنا نفكّر في الأدب كأفق لمناقشة قضايا عالقة ومعاصرة، واختبار كم يستطيع القارئ أن يكوّن صورته ورأيه عما حدث، كان نفكر مثلاً براينا حول ما حدث مع هذه الشخصية المضطربة، أو لماذا انتهى بها الأمر لئلّا تتحول بشكل كامل. يقول الكاتب التركي أورهان باموق عن الكتابة الجيدة: «هي التي تتيح للقارئ أن يقول، كنت أريد أن أقول نفس الشيء، لكني لم أستطع السماح لنفسي بأن أكون بهذه الطفولة». هكذا نشعر كقراء أننا نتفهم ما حدث، ونبني تحليلاتنا الخاصة المشابهة أحياناً للأحداث، فنفكر ربما سيحدث هذا أيضاً في لبنان أو سوريا أو أي بلد آخر.

المثير أيضاً أنه رغم ما حدث للشخصية من تحول، فقد جعلها دائماً تفكر بماضيها كأنه لا يمكن الاستغناء عنه وهو جزء هام من المكان الجديد، فالعلاقة مع المكان تبني أيضاً علاقة مع الذكريات والماضي كجزء أساسي من الوجود. لذلك تظل تلتقي باشخاص التقتهم في الماضي كزوربا المنتمي إلى حزب يساري. ورغم أن هذه الشخصية تبدو مهتمة في البداية بالشخص لا بحزبه وبالناس لا بالسياسة، إلا أن مصيرها يبقى معلقاً بسبب السياسة. هذه المفارقة تجعلنا نرى الأشياء بطريقة مختلفة، فرغم انزياح حياتنا أحياناً عن السياسة أو توهّمنا بذلك، إلا أنها تلتقي بها في نهاية المطاف. أما عن الهوية فتلك حكاية أخرى، يقول المفكر هومي بابا عن الاستعمار والهوية والثقافة إنّ «سرديات الناس الأصليين هي أساطيرهم وسلاحهم ضد إخضاع الآخر، فهم يستخدمون سرديّاتهم ويستفيدون من معانيها وطاقة رموزها في ترسيم هوياتهم التي قشرها الآخر وفككها. لكن التخيلات المجتمعية تلملمها وترمّمها وينطوي هذا على صراع يمثل الحد الأدنى في مقاومة الخطاب الكولونيالي».

لذلك تأتي هذه الرواية أيضاً ضمن هذه السرديات التي تحاول تقديم ما يفكر به مجتمع مهمش ويعاني من ماض استعماري ومستقبل أسير. لذلك ربما تؤثث للغة تستعيد ما يفكر به هؤلاء الناس عن الهوية، ومن هنا أيضاً، تأتي هذه الروايات كمحاولة للغوص عميقاً لمعرفة أزمات هذه الهوية والتعرف إليها عن كثب. التفاصيل في هذه الرواية حية لا تنقلنا من مكان إلى آخر بسرعة بدون أن تحمل هذه التفاصيل معها بهدوء، كأن هذه الشخصيات التي تعاني من أزماتها، لا يمكنها أن تطمئن بسرعة. هناك جراح كثيرة عالقة في الأفق، على القارئ أن يفكر بها، يحلّلها. يرى الهوية كأنها أمكنة متداخلة وأزمنة متشابكة لا يمكن التخلي عن جزء من دون النظر إلى الآخر. لكن الهوية أيضاً بين أزمتين، ربما الفرد والجماعة، السياسة والمجتمع، الماضي والمستقبل. وسط كل هذه الثنائيات، يبقى هناك أمل بالتفكير في الضفة الأخرى التي لا تعني بالضرورة الهجرة بل مجرد التفكير بتوازن ما.

تقديم ما يفكر به مجتمع مهمش ويعاني من ماض استعماري

أوراق

قنبلة نقش قيس الكاتب: نَعْثَل هو قاتل الخليفة عثمان

زكريا محمد *

يعرف الجميع تقريباً الجملة الشهيرة والمخيفة «اقتلوا نعثلا» في التاريخ العربي- الإسلامي. ويفترض أنّ السيدة عائشة هي التي فاهت بها محرّضة على قتل الخليفة عثمان. فـ «نعثل»، أو «نعثله»، كان هذه بحسب الفرضية لقب تشهير للخليفة، أطلقه عليه معارضوه. بالتالي، فصرخة: «اقتلوا نعثلا» كانت تعني: اقتلوا عثمان بن عفان.

ويُقال، في أغلب الروايات، إنّ المتمردين لقّبوا عثمان بهذا اللقب لأنه كان يشبه رجلاً مصرياً يدعى «نعثل» كانت له لحية طويلة مثل لحية الخليفة عثمان.

ولحسن الحظ فلدينا الآن نقش عُثر عليه في تيماء، يذكر في ما يبدو، ولأول مرة، اسم «نعثل». عليه، فلهذا النقش أهمية تاريخية كبيرة. ويبدو أن هذا النقش كتب عقب مقتل عثمان مباشرة، أو أن تاريخ كتابته لا يبعد كثيراً عن مقتل عثمان، الذي حدث في 35 للهجرة.

لكن الغريب، بل المدهش، أن النقش يسير عكس السائد في هذه القضية. بل إنه يقلب الأمور رأساً على عقب في ما يخص نعثلاً. فهو يؤكد وجود نعثل الذي تتحدث عنه الروايات، لكنه يجعل هذا الشخص قاتلاً لا قتيلاً. نعم، «نعثل» هو لقب القاتل لا القتيل عثمان بن عفان.

نقش قيس الكاتب. والصورة من مايكل ماكدونالد

النقش معروف تماماً عند المختصين، ويدعى باسم «نقش قيس الكاتب». ذلك أنّ كاتبه يخبرنا أن اسمه هو «قيس الكاتب أبو كبير». لكن هناك من قرأ الكلمة الأخيرة «كثير» بدل «كبير». والنقش مكون من سبعة أسطر، تحوي 16 كلمة لا غير. وقد قدمت أكثر من قراءة له. فقد قرأ أحدهم النقش هكذا:

«أنا قيس الكاتب أبو كبير. لعن الله من قتل عثمان ابن عفان ومن أحثّ قتله تقتلا».

بذا فالسطران الأخيران الملغزان يُقرءان هكذا: «ومن أحثّ قتله تقتلا». وهذه، كما نرى، جملة غامضة، ولا تعطي معنى متماسكاً. لكن يمكن الاستخلاص منها أن السطرين يتحدثان عن المحرّض على قتل الخليفة عثمان. فالفعل «أحثّ» يعني التحضيض والتحريض. لكن الأمور لا تستقيم لغوياً في هذه القراءة لثلاثة أسباب:

أولاً: أنه لا يقال في العربية: «أحثّ قتله»، أو «حثّ قتله»، بل يقال أحثّه، أو حثّه، أو استحثه، على القتل. فالشخص هو الذي يُستحثّ على القتل. أما القتل كفعل فلا يُحثّ ولا يستحثّ. بالتالي، فقد كان عليه أن يقرأ «قاتله» بدل «قتله» إن أراد التوافق مع اللغة.

ثانياً: أن الكلمة الأخيرة «تقتلا» لا تتوافق مع «أحثّ». فالضمير المستتر في «أحثّ» مذكر، في حين أن التاء في «تقتلا» تشير إلى ضمير مؤنث. بذا، فمن حثّ على القتل مذكر، ومن يفترض أن يقتل مؤنث.

ثالثاً: من الواضح أن جملة: «ومن أحثّ قتله تقتلا» شرطية. وبما أنها شرطية، فإن الفعل «تقتلا» هو جواب الشرط. وجواب الشرط يجب أن يكون مجزوماً لا منصوباً، أي «تقتلْ» بدل «تقتلا». ومن الصعب أن يكون الكاتب قد وقع في خطأ نصب المجزوم. فهو يصف نفسه بأنه «قيس الكاتب». وهو ما يشير إلى أن الكتابة كانت مهنته. أي أنه كان كاتباً محترفاً. وكاتب محترف لن يفوته أن جواب الشرط مجزوم.

ولدينا قراءة أخرى قرأت السطرين الأخيرين هكذا: «ومن أحب قتله يقتلا». أي أنها تضع «أحب» بدل «أحث» في القراءة السابقة. لكن نصب «تقتلا»، ومدّ فتحتها لتصبح ألفاً كما لو أننا مع شعر مقفى، هو مقتل هذه القراءة. فالجملة حسب هذه القراءة أيضاً شرطية، عليه فجواب الشرط يجب أن يكون مجزوماً (تقتلْ). أي: من أحبّ قتله يقتل. وهو ما يجعل الألف الأخيرة الواضحة زائدة. بناء عليه، نعتقد أن الكلمة الأخيرة ظلت بلا حل، مع أن اللغز كله يكمن في هذه الكلمة. إنها لب النقش وجوهره. وما لم تقرأ بشكل سليم ومتوافق مع القواعد العربية، فإن اللغز لن يحل، أي أنّ معنى النقش لن ينكشف لنا.

قراءتي للنص

أما أنا، فبعد تقليب الأمور على أوجهها، فقد توصلت إلى أنه لا مناص من قراءة الكلمة الأخيرة في على أنها «نعثلا» وليس «يقتلا». وهذا يعني أن الحرف الثاني في هذه الكلمة عين وليس قافاً. كما أن الحرف الأول نون. وانطلاقاً من هذه القراءة، يجب أن نقرأ الكلمة السابقة «قتله» على أنها «قاتلَه». أي يجب أن نضيف إليها الألف التي لم تكتب. وحرف العلة الطويل كان لا يكتب في كثير من الأحيان في الكتابة القديمة، وكما رأينا في النقش الذي نتحدث عنه. فالألف في كلمات: «عثمن» و«عفن» و«الكتب» لم تكتب، بذا فقد قرئت: عثمان، عفان، الكاتب. وكذا علينا أن نفعل مع كلمة (يقتله). إذ يجب قراءتها على أنها (قاتلَه). عليه، فالنقش كله يقرأ هكذا:

«أنا قيس الكاتب، أبو كبير (؟). لعن الله من قتل عثمان بن عفان، ومن أحب قاتله نعثلا»

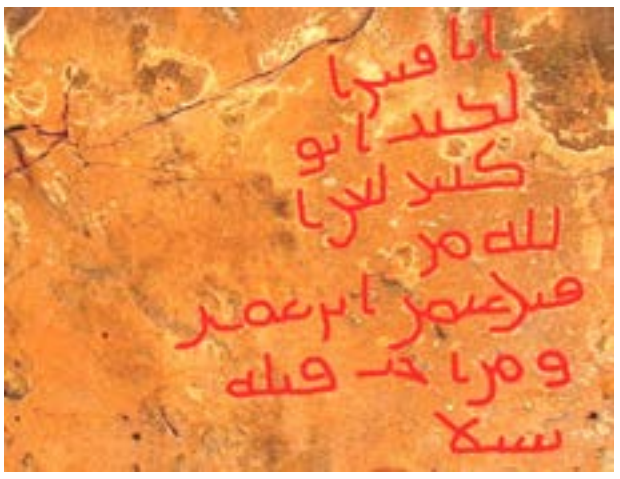

تتبعي لحروف نقش قيس الكاتب

وهذا يعني أنّ «نعثلاً» نصبت لأنها بدل من «قاتله» التي هي مفعول به. والبدل يتبع المبدل منه في حركته الإعرابية. بذا فقيس الكاتب يلعن من قتل عثمان، ومن أحب قتله نعثلاً. وهذا يعني أنّ «نعثلاً» هو من قتل عثمان، وأن عثمان ليس نعثلاً، بل قتيل هذا النعثل. وبهذه القراءة يكون لدينا نقش يتوافق مع نفسه، ويتوافق مع قواعد اللغة، ويعطي معنى متماسكاً. هذه هي القنبلة الكبيرة في «نقش قيس الكاتب».

في كل حال، فإن عدم تمكن قراء النقش الآخرين من قراءة الكلمة الأخيرة على أنها «نعثلاً»، وفهمها على أنها اسم القاتل، لا يعود إلى أنهم لم يتمكنوا من رؤية حروف الكلمة جيداً، بل يعود، في أغلب الظن، إلى أنهم لم يصدقوا ما رأته أعينهم. فقد رأت أعينهم الحروف كما رأيتها أنا، لكنهم لم يكونوا قادرين على قراءة الكلمة «نعثلاً»، لأنّ «نعثلاً» عندهم هو لقب الخليفة عثمان. وكيف يمكن أن يكون عثمان القتيل هو القاتل ذاته؟ هذا من آثار التشوش والاضطراب عندهم حين قرؤوا النقش.

أما أنا، فلم أخضع لابتزاز التراث. فحين وجدت أن الكلمة تبدو «نعثلاً»، فقد قرأتها هكذا، بغض النظر عن مخالفتها لما أعرف. وباختصار فإن العقل هو الذي يقرأ في الأساس لا العين. وحين يكون العقل مقيداً، تصبح العين ذاتها مقيدة أيضاً.

استخلاصات

إذن، فما الذي نفعله بهذه المعلومة التي يعطينا إياها النقش، والتي تخالف كل ما نعرف؟

نحن أمام خيارين: إما أن لا نقبل كلام قيس الكاتب، وأن نشكك فيه. وهذا أمر ليس سهلاً أبداً. فليس بين يدينا من إشارة واحدة تجعلنا نشك في أنه كاذب أو مهلوس. وإما أن نعيد قراءة التاريخ بناء على المعلومة التي قدمها لنا. وهذا ما أعتقد أنه الطريق الذي يجب أن نسلكه. وانطلاقاً من هذا، يمكن وضع بعض الاستخلاصات والملاحظات التي تقوم على أن نعثلاً هو قاتل عثمان بن عفان:

أولاً: لدينا هذا السؤال: هل هناك من دبر تعمية الأمر في قصة «نعثل» بهذه الطريقة من أجل مصالحه الخاصة؟ أي هل هناك من «تآمر»، بشكل ما، لقلب الأمور بهذا الشكل الغريب، وتضليل الناس، من أجل مصلحته الخاصة؟ أم أن الأمر كله كان نابعاً من خطأ واضطراب؟

ثانياً: وجواباً على هذا السؤال، فأنا أعتقد أن الأمر نبع من خطأ واضطراب غير مقصود، في غالب الظن. لا أستطيع بالطبع نفي الاحتمال الآخر نهائياً، لكنني ميال بشدة إلى احتمال الخطأ والتشوش. ولو صح هذا الاحتمال، فإنه يفترض أن جميع الأخبار عن صيحة عائشة المفترضة «اقتلوا نعثلا» انطلقت من خبر واحد أسيء فهمه. وفي هذا الحال يكون هذا الخبر الأقدم قد قال شيئاً مثل هذا:

«وكانت عائشة تقول: اقتلوا نعثلا، تعني قاتل عثمان».

لكن ناقل الخبر سقطت منه سهواً كلمة «قاتل» فصرنا مع جملة تقول العكس:

«وكانت عائشة تقول: اقتلوا نعثلا، تعني عثمان».

هذا الخطأ تعمم وتكرر، فانقلبت الحقيقة رأساً على عقب.

ثالثاً: وإذا صح هذا تكون السيدة عائشة قد قالت جملتها «اقتلوا نعثلا» بعد عودتها من العراق. أي بعد أن قتل عثمان وبويع علي بن أبي طالب خلفاً له. ففي هذه اللحظات، غيّرت موقفها من عثمان، وصارت من المطالبين بمعاقبة قاتليه. بالتالي، فحين صرخت: اقتلوا نعثلا، فإنما أرادت: اقتلوا قاتل الخليفة عثمان الذي يدعى «نعثلا»، وليس اقتلوا الخليفة عثمان.

وهذا يعني أيضاً أنه جرى لاحقاً الخلط بين زمنين اثنين: زمن معارضتها لعثمان قبل ذهابها للعراق، ثم زمن وقوع الجريمة، ومطالبتها بقتل القاتل، بعد عودتها من العراق. فهي كانت معارضة لعثمان وهي في المدينة، لكنها نطقت الجملة الشهيرة «اقتلوا نعثلا» بعدما عادت من العراق، وكانت بذلك تطالب بالاقتصاص من قاتله. ثالثاً: ومن المحتمل، بناء على ذلك، أن تقدّم السيدة عائشة لصياغة شعار «اقتلوا نعثلا»، أي اقتلوا قاتل الخليفة، حصل لأنها كانت محرجة من تحريضها السابق على الخليفة. لقد كانت بحاجة إلى التشدد في مواجهة القاتل «نعثل» كي تبرئ ذمتها من دمه، وكي تعتذر، بشكل ما، عن موقفها القديم المعارض لعثمان، الذي ربما ساهم في تشجيع المتمردين على تمردهم، الذي انتهى إلى حدث القتل الشنيع.

خامساً: وبناء على كل ذلك، فإن نقش «قيس الكاتب» يمثل في الواقع صك براءة لعائشة من التحريض المباشر على قتل عثمان، ومن المشاركة في سفك دمه. بالتالي، فهو يغلق هذا الملف. لقد كانت عائشة معارضة لعثمان، مثلها مثل كثير من الصحابة، لكنها لم تحرض على قتله.

من هو نعثل؟

لكن من هو نعثل هذا قاتل الخليفة عثمان؟ أهو قاتل عادي من بين المتمردين الذين شاركوا في عملية القتل؟ أم أنه محرض كبير وذو شأن يقف وراء القتلة ويوجههم؟

جوابي الأولي هو: أنّ نعثلاً كان في ما يبدو واحداً من جماعة المتمردين، التي تشكلت من ثلاث مجموعات: مجموعة مصرية، ويقدر عددها بـ 600 شخص، ومجموعة عراقية، إضافة إلى المعارضين من أهل المدينة وسكانها، وهم يمثلون مجموعة كبيرة. ويبدو لي أن تهمة قتل الخليفة كانت توجه إلى شخص محدد من المجموعة المصرية، كان هو في ما يبدو من وجه الضربة القاتلة له. ولهذا اعتبر القاتل الفعلي. ذلك أن من دخل بيت الخليفة عثمان وساهم في مقتله هم مجموعة لا يقل عدد أعضائها عن أربعة.

والحقيقة أن خبر وجود شخص مصري باسم «نعثل»، شُبّه به الخليفة عثمان كما تقول الروايات، يوحي بالفعل أنّ نعثلا هذا كان واحداً من المجموعة المصرية. إذ يقال لنا أن عثمان أعطي لقب «نعثل» لأن لحيته الطويلة تشبه لحية «نعثل» المصري. وهكذا صار عندنا نعثلان لا نعثلاً واحداً. اللحية الطويلة المتشابهة كانت اختراعاً لفض التشوش الذي حصل بشأن من هو نعثل.

لكن الحقيقة أنه كان هناك «نعثل» واحد فقط، هو قاتل الخليفة عثمان. أما الخليفة، فقد حصل على هذا اللقب بسب اضطراب في الرواية لا غير. ونعتقد أنّ «نعثل» كان لقب المتمرد المصري لا اسمه. والنعثل هو الضبع. بذا فلقبه كان في ما يبدو يعني: الضبع. وهو لقب كاشف. فهو يعطي الانطباع بأنه رجل شرس.

تصديقاً لهذا، فإنّ عدداً لا بأس به من المصادر العربية يحدثنا عن أنّ شخصاً مصرياً هو الذي ضرب الخليفة الضربة القاتلة بالفعل. لكنّ هناك خلافاً على اسمه. فكنانة مولى صفية يخبرنا أن اسمه جبلة: «فقلت لكنانة: مَنْ قتَلَه؟ قال: رجل من أهل مصر يقال له جَبَلة بن الأيْهَم، ثم طاف بالمدينة ثلاثاً يقول: أنا قَاتِلُ نَعْثَل» (ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة). لكن هناك من يقول أن اسمه «جبلة بن الأهتم». ويبدو لي أن هذا هو الأدق إن كان هذا هو اسمه حقاً. فجبلة بن الأيهم كان آخر ملوك الغساسنة، وقد التحق بالروم من أيام الخليفة عمر بن الخطاب. غير أنّ هناك خبراً آخر يقول إنّ القاتل المصري كان من قبيلة تجيب، وأن اسمه كنانة: «فرفع كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي عموداً من حديد كان معه فضرب به جبهته فوقع» (البلاذري، أنساب الأشراف). يضيف ابن سعد: «ورفع كنانة بن بشر بن عتاب مشاقص كانت في يده فوجئ بها في أصل أذن عثمان، فمضت حتى دخلت في حلقه، ثم علاه بالسيف حتى قتله» (ابن سعد، الطبقات الكبرى).

وأياً كان اسم القاتل، فإنه هو، في ما يبدو، من حمل لقب «نعثل». بذا أفترض أن صرخة هذا الرجل لم تكن في الأصل «أنا قاتل نعثل»، بل كانت في الخبر الأصلي: «أنا نعثل قاتل عثمان». لكنه جرى قلب الجملة، تشوشاً واضطراباً، في ما بعد.

بناء على كل هذا، فنقش «قيس الكاتب» يؤكد لنا أن شخصاً محدداً ومعروفاً، كان وقت كتابة النقش يتهم بقتل الخليفة عثمان، وأنه كان يدعى «نعثلاً». لقد كان معروفاً، وكان له محبون ومؤيدون حسب قيس الكاتب. فهو يقول في نقشه، لعن الله: «من أحب قاتله نعثل». وبهذا، يكون نقش قيس الكاتب المكون من 16 كلمة، أو قل من 11 كلمة إذا استثنينا اسم الكاتب، قد محا آلاف الصفحات التي تحدثت عن أن نعثلة كان لقب الخليفة عثمان بن عفان، وأن السيدة عائشة طالبت بقتله.

* شاعر وباحث فلسطيني

Samedi 22 Octobre 2022 no39
السبت 22 تشرين الأول 2022 العدد 39

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

قصور العدل الخاوية

3-2

قصر العدل في بيروت (هنا الموسوي)

في عهدة الأدلة
4

القانون لا يفضّل الاعتراف على الدليل العلمي
5

متى تتحول الأسرة إلى عصابة؟
6

هل يستدعي إصلاح السجون توجيهاً دستورياً؟
7

في العمق

قصور العدل الخاوية

«عدلية» بيروت تنهار شيئاً فشيئاً، شأنها شأن سائر قصور العدل في لبنان. تضيع العدالة في المكان، بين الطبقات وغرف المحاكمات التي توقّف انعقاد الجلسات فيها منذ 16 آب 2022 بعد إعلان نحو 450 قاضياً وقاضية الاعتكاف عن العمل اعتراضاً على الإجحاف بحقهم. علماً ان المحامين والمساعدين القضائيين اضربوا عن العمل أيضاً العام الماضي. ولا شك في ان تعطيل العدلية يؤدي إلى انتهاك ابسط حقوق الناس، ومنها الحق في المثول امام قاض على وجه السرعة، وحق الموقوف في محاكمة عادلة خلال مدة زمنية معقولة أو الإفراج عنه. لكن اعتكاف القضاة والموظفين والمحامين ليس السبب الوحيد لتعثّر المرافق العدلية وشلّ العمل القضائي، بل إن جولة على قصور العدل تدل على تراجع الصيانة ونقص في الموارد والمستلزمات وموت بطيء. لصرح يُفترض ان يحتكم إليه الناس لرفع الظلم وإحقاق الحق

جولة مع نقيب المحامين على المرفق القضائي في بيروت

■ فاطمة خشاب درويش

القضاء العدلي	558 قاضٍ
القضاء الإداري / مجلس شورى الدولة	57 قاضٍ
قضاة ديوان المحاسبة	27 قاضٍ
الهيئة العليا للتأديب	قاضٍ واحد
المحاكم الشرعية	67 قاضٍ
المجموع العام	710

علماً ان رئيس الجمهورية وقّع اول من امس مرسوم بتعيين 34 قاضيًا اصيلًا في القضاء العدلي حمل الرقم 10650 / 2022 .

ما إن تدخل قصر العدل في بيروت حتى تستحضر سريعاً مشهد الزحمة المعتادة التي لطالما ميّزت المكان. «العجقة» التي لطالما فرضت على القاصدين تبطيء خطواتهم على الأدراج الموصلة إلى الطبقات العلوية، هرباً من الانتظار الطويل أمام المصاعد، يحلّ مكانها اليوم سكون مطبق. تتراكم النفايات حول عدد من المقاعد الخشبية المهترئة، وتغيب أعمال التنظيف والصيانة الدورية عن قصر العدل لتزيد الطين بلّة. لا ماء، لا كهرباء، لا أوراق، لا أقلام، لا جلسات، لا محاكمات، لا قرارات تصدر. فقط، قرارات تأجيل الجلسات بعد انقضاء مواعيد المحاكمات المحددة مسبقاً قبل اعتكاف القضاة.

«رح يجي اليوم الريّس؟» جملة تتردّد في الأقلام، على الرغم من أن قرار الاعتكاف لا يزال قائماً. فغالباً ما تحدد مواعيد الجلسات قبل أشهر، ويقف المتقاضون حائرين أمام الالتزام بحضور الجلسات أو التخلف عنها.

سمير، مغترب لبناني، عاد قبل شهر ونصف الشهر إلى لبنان لتمضية عطلته الصيفية مع أهله وأصحابه بعد غياب 14 عاماً، وفوجئ في المطار بوجود مذكرة توقيف بحقه، فأوقف شهراً ونصف الشهر بسبب تشابه في الأسماء، أمضاها في التوقيف الاحتياطي من دون وجه حق، بسبب اعتكاف القضاة عن ممارسة واجباتهم في المحاكم.

الثلاثيني رامي حصل على عرض عمل في دولة خليجية، ويحتاج إلى إتمام عملية إعادة الاعتبار لبستكمل الأوراق المطلوبة للسفر. يحضر وكيله يومياً إلى العدلية علّه يوفّق في رسم مستقبل أفضل لموكله خارج حدود الدولة اللبنانية، ولا يعلم ما إذا كان قادراً على الحصول على إعادة الاعتبار قبل انتهاء المهلة المحددة من قبل الشركة للالتحاق بوظيفته المستقبلية.

يحضر سليم إلى قصر العدل مرّتين إلى ثلاث مرات اسبوعياً، قادماً من صيدا، لمتابعة قضية ولده الموقوف احتياطاً منذ أكثر من شهر بجرم تعاطي المخدرات. يحاول مع محاميه التقدم بطلب إخلاء سبيل لولده من دون جدوى. والأمر نفسه ينسحب على رزان التي تحضر منذ أكثر من شهر إلى العدلية لإنجاز ورقة ملاحقة بحق عاملة منزلية سرقتها على حدّ قولها. كما ينسحب على الستينية سامية التي تحاول تقديم دعوى بحق المستأجر الذي يرفض دفع بدلات الإيجار منذ أكثر من سنة.

مطالب القضاة محقة، ولكن؟

يتحدث نقيب المحامين ناضر كسبار خلال جولته مع «القوس» في عدلية بيروت عن الواقع الصعب الذي حلّ بقصر العدل منذ شهرين معتبراً أنه «سابقة في تاريخ القضاء اللبناني. حوالى 450 قاضياً وقاضية قرروا الاعتكاف والتوقف عن العمل نهائياً في قصور العدل»، مشدداً على «أهمية مبدأ تحقيق العدالة الذي لا يُفترض أن يتوقف تحت أي ظرف».

يؤكد كسبار أن مطالب القضاة محقة، لكن الاعتكاف عن العمل يمكن وضعه في إطار «الاستنكاف عن إحقاق الحقّ Déni de justice التي نصت عليها المادّة 4 من قانون أصول المحاكمات المدنيّة في ظل التعطيل الكامل للعدالة في كل قصور العدل في لبنان».

وحول دور النقابة وماهية الخطوات المتخذة لوضع حد لاستمرار تعطيل المرفق القضائي، لفت إلى أن «نقابة المحامين قامت بمساع منذ بداية الاعتكاف في شهر آب مع رئيس مجلس القضاء الأعلى القاضي سهيل عبود ورئيس الحكومة للمساهمة في إيجاد حل، إلا أن الرئيس ميقاتي عبّر حينها بصراحة عن عدم قدرته على دفع 20 مليار ليرة شهرياً، ووعد بتقديم حوافز للقضاة. هذا القرار لم يتلاق مع إرادة مئات القضاة الذين كانوا يتوقعون معاملتهم أسوة بموظفي مصرف لبنان وAlfa وMtc وغيرهم من الموظفين الذين يتقاضون رواتبهم على أساس احتساب قيمة الدولار بـ8000 ليرة، فكان راتب القضاة لشهر تموز فقط على هذا الأساس».

ونبّه كسبار إلى «أن اعتكاف القضاة شلّ العمل القضائي، وزاد الأمور تعقيداً، خصوصاً أن حياة الموقوفين مرتبطة بإجراء المحاكمات، وإخلاءات السبيل تتطلب توقيع القاضي، وعندما لا يوقع القاضي تقف كل الأمور وتبقى مصالح المواطنين معلّقة. كنقابة محامين لا نقف مكتوفي الأيدي ونحاول تحقيق خرق إيجابي في الأزمة من خلال التواصل مع القضاة والمعنيين في الدولة».

وحول واقع قصر العدل في بيروت، أكد كسبار أن «وضع عدلية بيروت ليس أفضل من باقي قصور العدل في لبنان، فالقضاة معتكفون في كل المناطق اللبنانية، وعمل المحاكم مشلول، ومعاملات الناس متوقفة، لا أعمال صيانة، وحتى أعمال التنظيفات معدومة، وتفتقر قصور العدل لأقل المتطلبات من أوراق وأقلام فضلاً عن الإنارة والمياه في الحمامات». ولفت إلى أن «هناك إهمالاً لقصور العدل، ولا توجد شركات تتولى أعمال الصيانة والتنظيف. هناك مبادرات تطوعية من عدد من الجهات لسد النقص الحاصل ولكنها لا تحل المشكلة».

وخلص إلى أنه «لا يمكن أن يستمر الوضع على هذه الحال. فالقاضي لا يمكن أن يتخلى عن دوره الأساسي في تحقيق العدالة، هو الذي يدين ويحاسب بقراراته، ولديه صلاحية لتغيير كل هذا الواقع، وتسهيل أمور الناس، والتخفيف من الموقوفين في النظارات والسجون، وهو القادر أن يضع المجرمين في السجون، واليوم بات هناك عدد كبير منهم في مجتمعنا دون محاسبة أو حتى توقيف».

متابعات المحامين من دون جدوى

يحضر عدد من المحامين والمحاميات إلى قصور العدل رغم علمهم بأن الجلسات لن تُعقد وأن مصيرها التأجيل الحتمي، وأن إخلاءات السبيل لن يُبت فيها وستبقى معلقة إلى حين استئناف عمل القضاة. المحامية رغدا القرا هاشم أشارت إلى «التداعيات الكبيرة التي سبّبها اعتكاف القضاة خصوصاً على سير الدعاوى الأسرية والشرعية. فبعد الانتهاء من الدعوى في المحكمة الشرعية، تبقى الأمور معلقة من دون أي مفعول قانوني ريثما يتم إمضاؤها من القاضي في المحاكم المدنية»، معتبرةً أنه «لا بد من وجود استثناءات من الاعتكاف تراعي مصالح الناس خصوصاً في القضايا المتعلقة بالأولاد والنفقة وغيرها. نخوض معارك شرسة في المحاكم الجعفرية للحصول على قرار حضانة أو نفقة، إلا أن هذا القرار يحتاج إلى تنفيذه في المحاكم المدنية».

بدوره تحدث المحامي عماد المصري عن «مشكلة عدم توقيع إخلاءات السبيل للموقوفين احتياطياً منذ أكثر من سنة تحديداً في جرائم المخدرات والقتل»، معتبراً أن «ترك الأمور من دون بت سواء بإصدار الحكم أو إخلاء سبيل، وضع هؤلاء في خانة الاعتقال وليس التوقيف الاحتياطي».

من جهته، اعتبر المحامي حسين حجازي أن «عدم توقيع الشكاوى من قبل قضاة النيابة يخلق العديد من المشكلات للموكلين»، مشيراً إلى صعوبات يواجهها المحامي في تقديم الشكاوى، مستحضراً تجربته في تقديم شكوى عملية احتيال تمت بواسطة OMT، «حيث تبلّغت أن الكاميرات تعمل 30 يوماً فقط. قدمت الشكوى ولكن النائب العام لم يرد توقيعها، وبعد 3 مشاوير إلى زحلة وافق القاضي على فتح محضر بالمخفر وكنا في آخر يوم من الأيام الثلاثين».

المعترض: الاعتكاف بوجه الناس لا الحكومة

يقارب عدد القضاة في لبنان حوالى 650 قاضياً وقاضية، قرر نحو 450 منهم الاعتكاف، فيما تضامن جزء من العدد المتبقي مع زملائهم، وهناك عدد قليل من القضاة يعملون بصمت بعيداً عن الضوضاء على قاعدة أن «السلطة الدستورية لا تعتكف وهي تسيّر أمور الناس على قاعدة أنها أولوية».

وحول وضع المحاكم اليوم في ظل الاعتكاف، أكد قاض غير معتكف (لم يرد نشر اسمه) أن «هذه الأوضاع ليست جديدة على قصور العدل. فكان الأجدر التحرّك منذ زمن من أجل مكننة الملفات التي تضيع أوراقها مع الوقت، والعمل على تحسين ظروف العمل التي لا شك أنها سيئة، ولكن الاعتكاف لا يحل مشكلة». وتابع: «إذا أردنا أن نصلح القضاء في لبنان علينا أن نخصّص موازنة للسلطة القضائية تضع حداً للتدخل السياسي في القضاء، وانتخاب أعضاء مجلس القضاء الأعلى بحسب الكفاءة، وليس تعيينهم من قبل الحكومة وفق معايير مرتبطة بالولاء السياسي أو الانتماء المذهبي أو الطائفي».

وحول الجدوى من الاعتكاف، يطرح المصدر سؤالاً حول الجهة التي يوجه القضاة إضرابهم في وجهها، ويقول: «الاعتكاف في وجه الناس التي تتململ من متابعة الدعاوى، الاعتكاف ليس في وجه الحكومة».

هل يستمر الاضراب؟

رداً على هذا السؤال، تحدث رئيس نادي القضاة القاضي فيصل مكي لـ«القوس» عن موضوع اعتكاف القضاة مؤكداً أن «لا جديد في هذا الملف يلوح في الأفق»، معتبراً أن «ما يجري اليوم مع القضاة يندرج في إطار استحالة وصول القضاة إلى قصور العدل بسبب الأوضاع الصعبة التي يعيشها القاضي».

وتابع مكي أن «القضاة في لبنان أجبروا على التوقف عن القيام بأعمالهم في ظل انعدام الشروط الموضوعية والظروف التي تحفظ للقاضي كرامته في قصور العدل، نتيجة غياب المستلزمات الأساسية للعمل، من الماء والكهرباء وانعدام أعمال التنظيف والصيانة فيها، إلى جانب عجز عدد كبير منهم عن تحمل كلفة التنقل بسياراتهم في ظل ارتفاع أسعار المحروقات، فيما اختار عدد من القضاة أن يتضامنوا مع زملائهم لتحصيل حقوقهم».

وختم بأن «غياب الاستقلالية المادية والإدارية والقانونية عن القضاء هو الذي أوصلنا إلى هذه المرحلة، وجعل القضاء في لبنان يعاني من خلل بنيوي يحتاج إلى المعالجة بطريقة سريعة».

إهمال مقصود؟

«أكبر جريمة بحق العدالة أن يكون القاضي جائعاً، لا يملك ما يكفيه من مال للتنقل إلى عمله والعيش بكرامة هو وعائلته. كيف يمكن للقاضي أن يحكم بالعدل وهو يشعر بالظلم والغبن؟»، يقول أحد القضاة، مشيراً إلى أن «المشكلة لا تكمن اليوم في تحديد آلية دفع رواتب القضاة سواء على أساس 8000 ليرة للدولار الواحد أو أكثر أو أقل، بل المشكلة في أوضاع القضاة منذ بداية الأزمات المتتالية». وأوضح أن «القاضي كان يحضر سابقاً إلى مكتبه حيث لا توجد أوراق أو أقلام فيشتري من جيبه لتسيير العمل. كان راتبه يوازي 3000 دولار أو أكثر، ولم يكن يتوقف عند هذه التفاصيل». وينتقد القاضي بشدة «إهمال قصور العدل على مدى سنوات، والأمر ليس مسألة اعتكاف منذ شهر أو شهرين، هناك قصور عدل في المناطق لا توجد فيها حمامات، وإن وجدت فلا توجد فيها مياه، وتفتقر إلى أدنى الاحتياجات لتسيير الدعاوى وأمور الناس».

وحول استمرار الاعتكاف من دون التوصل إلى حلول بعد شهرين، يحسم بعض القضاة أن «عدم الاستجابة لمطالب القضاة أمر مقصود هدفه تهريب الطاقات من الدولة، وتدمير العدالة ودفع القضاة إلى ترك أماكنهم. من سيبقى في البلد إذا اختار القاضي النزيه أن يسافر».

(تصوير هيثم الموسوي)

القاضي مكي: غياب الاستقلالية المادية والإدارية والقانونية عن القضاء أوصلنا إلى هذه المرحلة

النقيب كسبار: مطالب القضاة محقة إلا أن الاعتكاف يمكن وضعه في إطار الاستنكاف عن إحقاق الحق

ولّت «المرحلة الذهبية»

في «سنوات العز القضائية» لم يكن عدد من القضاة الموظفين في القطاع العام (وفقا للتصنيف الوظيفي)، ملتزمين بدوام العمل المحدد في كل دوائر الدولة. كان بعض القضاة يزورون قصر العدل مرة أسبوعياً ومرتين في أحسن الاحوال، بغياب شبه تام لدور التفتيش القضائي، إلا للاقتصاص لبعض من يغرد خارج السرب.

هذا فضلا عن «مرحلة ذهبية» عاشتها قصور العدل مع التزام سياسيين بدوام الحضور الى مكاتب بعض القضاة، وتسبقهم في المناسبات والأعياد علب الشوكولا الفاخر. تلك المرحلة ساهمت بشكل مباشر بوضع أهم سلطة في البلد في جيب السلطة السياسية، وأدركت متأخرة سوء نتيجة ارتهانها وولائها للسلطة السياسية، فقررت الاعتكاف عن إحقاق الحق بدلا من الضرب بسيف الحق في وجه سلطة الفساد لاسترجاع حقوق كل المواطنين المنهوبة.

فهل يعقل في ظل أزمة كالازمة اللبنانية أن تعتكف السلطة المسؤولة عن محاسبة الفاسدين عن القيام بدورها؟

المختبر الجنائي

في عهدة الأدلة

في اي قضية جنائية، تعتبر الادلة التي يتم جمعها وتقديمها امرا بالغ الاهمية لكل من الادعاء والدفاع. بالتالي، من المفترض جمعها والحفاظ عليها باعلى معايير المهنية والنزاهة. فيقع على عاتق القائمين على التحقيق واجب الحفاظ على الادلة حمايةً لحقوق المدعى عليه في الإجراءات القانونية والمحاكمة العادلة

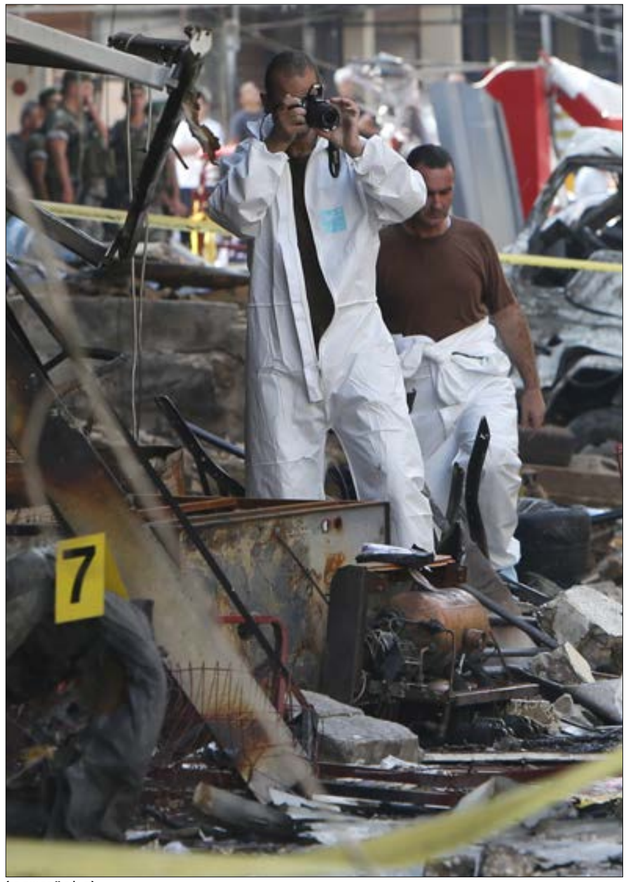
(هيثم الموسوي)

■ جنان الخطيب

من مسرح الجريمة إلى المختبر الجنائي إلى قاعة المحكمة، من المفترض تحديد الأدلة وجمعها وتوثيقها وتغليفها بالطريقة المناسبة للحفاظ على سلامتها. فالأدلة هي الأساس الذي يبني عليه الطرفان - النيابة العامة والدفاع - حججهما المادية التي يمكن أن تكون حاسمة في إثبات الحقائق المحيطة بالقضية الجنائية.

مع ذلك، فإن أهمية الأدلة لا تنتهي بعد المحاكمة. ومن الضروري الاحتفاظ بالأدلة التي تم جمعها في أي قضية جنائية لضمان مراعاة حقوق الإجراءات القانونية المحاكمة أو التخلي عن التهمة الموجهة إلى المتهم لأن الأدلة هي أساس دعوى الادعاء.

من جهة أخرى، يمكن لمحامي الدفاع فحص الأدلة ضد المدعى عليه والادعاء على مصداقيتها إذا لم يتم جمعها وحفظها بشكل صحيح. ونظراً إلى أن المدعى عليه قد يكون لديه دليل لتقديم «نفي» يمكن استخدامه لإثبات براءته، من المهم أن يتم الحفاظ على مثل هذه الأدلة لحماية سلامتها أيضاً.

تتضرر مصداقية الادلة بشكل كبير، وقد تصبح حتى غير مقبولة، إذا لم يتم جمعها وحفظها بشكل صحيح

بريء في السجن بسبب جرائم لم يرتكبها، والعكس صحيح.

حجر للنيابة وللدفاع

نظراً إلى أن الدولة والسلطات المسؤولة عن التحقيق في القضايا الجنائية ستستخدم الأدلة التي تم جمعها أثناء التحقيق لإثبات الحقائق الأساسية حول القضية، فمن الضروري جمع الأدلة بشكل صحيح ووفقاً للمعايير المعترف بها، وإلا فإن مصداقيتها تتضرر بشكل كبير، وقد تصبح غير مقبولة. لن يشكك محامي الدفاع الجيد في مصداقية الأدلة فحسب، بل في مصداقية جمعها والحفاظ عليها. ويمكن أن يؤدي عدم الحفاظ على الأدلة بشكل صحيح إلى سوء المحاكمة أو التخلي عن التهمة الموجهة إلى المتهم لأن الأدلة هي أساس دعوى الادعاء.

من جهة أخرى، يمكن لمحامي الدفاع فحص الأدلة ضد المدعى عليه والادعاء على مصداقيتها إذا لم يتم جمعها وحفظها بشكل صحيح. ونظراً إلى أن المدعى عليه قد يكون لديه دليل لتقديم «نفي» يمكن استخدامه لإثبات براءته، من المهم أن يتم الحفاظ على مثل هذه الأدلة لحماية سلامتها أيضاً.

تسلسل العهدة

من المهم إثبات أن الأدلة المقدمة في المحاكمة هي الأدلة نفسها التي تم جمعها في مسرح الجريمة. لذلك، فإن فهم القواعد التي تحكم «تسلسل العهدة» والالتزام بها أمر حيوي للمحقق لضمان مقبولية الأدلة في المحكمة. تسلسل العهدة هو عبارة عن «سجل تتبع» يبدأ بملاحظات تفصيلية تصف مكان استلام الأدلة أو جمعها. كما تعد تقنيات الجمع والحفظ والتعبئة والنقل والتخزين جزءاً من العملية المستخدمة في إعداد تسلسل العهدة. من دون وثائق تسلسل ذلك، تنطبق بعض الإرشادات على جميع الأدلة، مثل القيود المفروضة على عدد الأفراد المسموح لهم بالتعامل مع الأدلة، واستخدام الضمانات لتقليل التلوث، والتوثيق الدقيق والتخزين المناسب للأدلة.

الحفاظ على الادلة

من المفترض أن يكون الحفاظ على الأدلة أولوية قصوى للمكلفين بجمع الأدلة وحفظها. وإذا لم تحفظ الأدلة بشكل صحيح قبل جمعها، فقد تكون ملوثة أو مدمرة. كما أنه إذا لم يتم حفظها وتخزينها بشكل صحيح قبل التحليل أو الاختبار الجنائي، فقد تتدهور أو تدمر أو تقلل من قيمتها كمصدر للمعلومات.

على المسؤولين عن جمع الأدلة استخدام مجموعة متنوعة من بروتوكولات الحفاظ على الأدلة، اعتماداً على نوع الدليل. مع ذلك، تنطبق بعض الإرشادات على جميع الأدلة، مثل القيود المفروضة على عدد الأفراد المسموح لهم بالتعامل مع الأدلة، واستخدام الضمانات لتقليل التلوث، والتوثيق الدقيق والتخزين المناسب للأدلة.

على سبيل المثال، لتقليل تدهور الأدلة الحيّة، يقوم الخبراء بتجفيف الأشياء التي تحمل أدلة بيولوجية في الهواء قبل التعبئة وتغليفها بالورق، مثل الأكياس والأظرف. إذ إن تعبئة تلك الأدلة في أكياس بلاستيكية تعرضها للرطوبة، مما يؤدي إلى تسريع التدهور وتكوّن العفن، وتدمير الحمض النووي القابل للاستخدام. أمّا العينات السائلة فمن المهم توثيقها - مثل الماء من وعاء المرحاض - بشكل صحيح وتعبئتها في عبوات زجاجية أو بلاستيكية معقمة وتبريدها في أسرع وقت ممكن.

	الدليل الأثر اليافه، شعر، التربة	الدليل البيولوجي الدم، الالعاب	دليل الملابس	دليل السلاح والذخيرة
التعريف	النوع، التاريخ، اسم المحقق، رقم القضية.	النوع، التاريخ، اسم المحقق، رقم القضية، المصدر	النوع، التاريخ، اسم المحقق، رقم القضية، المالك	بيانات ذات صلة، اسم المحقق والتاريخ، سجل الارقام التسلسلية.
التعبئة والتغليف	يطوى بالورق وتلصق الجوانب	لا تقم بالتغليف بالبلاستيك. استخدم الورق دائما	اكياس ورقية ، كل معبأ على حدة	صندوق من الورق المقوى واكياس ورقية

«استمرارية الأدلة»

ينبغي إنشاء سلسلة واضحة وموثقة من خلال:
- تدوين الملاحظات، بما في ذلك توثيق مواقع الأدلة، ووقت وتاريخ رفعها أو استلامها، ووصف الدليل، وحالة العنصر وأي علامات أو تعديلات على الدليل.
- ترميز وتغليف الأدلة والتأكد من أن جميع عبوات الأدلة مغلقة بإحكام.
- ختم الأدلة.
- إعداد سجل سلسلة العهدة (chain of custody) يشتمل على جميع العناصر التي تم جمعها من مكان الحادث.

مرافعة

القانون لا يفضّل الاعتراف على الدليل العلمي

يكتسب الدليل، في التحقيقات الجنائية، اهمية قصوى باعتباره الامر الذي يثبت بموجبه تجريم المتهم او براء ته او إعفاؤه. والعناية باختيار الدليل او إثبات غيابه او عدم صحته، امر في غاية الخطورة، مايعني ضرورة ان تتأكّد الضابطة العدلية والنيابات العامة والمحاكم كافة من الادلة او من انتفائها، باعتبارها عناصر مادية تثبت ارتكاب الجريمة، ما يوجب الاستناد الى علوم الاستقصاء والتحري الجنائية بالاعتماد على الخبرات العلمية، والابتعاد قدر الإمكان عن الاستناد إلى الاعترافات

■ صادق علوية

حرص قانون العقوبات، في مادته 567، على توقيع عقوبة الحبس من شهر الى سنة وبالغرامة على من كان عالماً بوجود أدلة تثبت براءة شخص موقوف أو موضوع محاكمة في قضية من نوع الجناية أو الجنحة، ولم يبادر تلقائياً الى الشهادة بذلك أمام القضاء أو سلطات الامن.

كما حرص بموجب المادة 402/ عقوبات على إدانة جرم اختلاق الأدلة ممن كان سبباً في مباشرة تحقيق تمهيدي أو قضائي، باختلاقه ادلة مادية على جريمة يعرف أنها لم تقترف، ويعاقب عليها بالحبس مدة لا تتجاوز ستة أشهر وبغرامة. ومن قدّم إخباراً الى القضاء عازياً الى أحد الناس جنحة أو مخالفة يعرف براءته منها، أو اختلق أدلة مادية على وقوع مثل هذا الجرم، يعاقب بالحبس من شهر الى ثلاث سنوات، واذا أفضى الافتراء الى حكم بالاعدام أو بعقوبة مؤبدة فلا تنقص عقوبة الاشغال الشاقة عن عشر سنوات.

وقد اهتم قانون أصول المحاكمات الجزائية بالأدلة بشكل كبير، إذ أنه يُعنى بتنظيم الكشف على الوقائع الجرمية والأدلة توصلاً إلى تطبيق القوانين الجزائية. ووردت كلمة «أدلة» في هذا القانون في أكثر من 40 موضعاً، للدلالة على الأهمية التي يكتسبها الدليل الجنائي. فالدليل هو الواقعة المادية التي تثبت أو تدلّ بما لا يقبل الشك أن الواقعة ارتكبت من قبل الجاني، وهو الإثبات الذي يستند اليه القاضي لتأكيد انطباق حكمه مع العدالة.

القيمة الاثباتية (Probative value)

وجود بصمات المتهم في مسرح الجريمة ليس دليلاً كافياً للإدانة اذا ما كان وجوده مبرراً في المكان. ففي إحدى القضايا، اعتبرت محكمة الجنايات أنه ثبت لها أن المتهم كان يسهر في الملهى الليلي ليلة تعرض الملهى للسرقة، وان ذلك يبرر وجود بصماته على زجاج «الدرفة» المتحركة للمدخل الرئيسي لجهة الخارج. اذ انه من المنطقي والطبيعي ان يضع الزبون يده على باب مدخل الملهى عند دخوله اليه للسهر، فضلاً عن انه لم يتبيّن ان للمتهم أسبقيات بجرم السرقة، وهو غير محكوم بحسب سجله العدلي، لذلك قضت باعلان براءته من جناية السرقة. وللدلالة على أهمية الدليل، فإن للنيابة العامة أن تقرر حفظ أوراق التحقيق الأولي (أي إغلاق ملف القضية) اذا تبين لها أن الفعل لا يؤلّف جريمة، او ان الأدلة على وقوع الجريمة غير كافية.

وفي مثال آخر، قضت محكمة الجنايات، في أحد أحكامها، ببراءة متهم من جناية الاتجار بالمخدرات لعدم كفاية الدليل، خصوصاً انه لم يثبت ما ورد في كتاب المعلومات الصادر عن احد الأجهزة الامنية، والذي استقر الإجتهاد على عدم اعتباره بحد ذاته دليلاً كافياً لاثبات الجرم، ما لم يتعزّز مضمونه بأدلة اخرى لتمكين المحكمة من ممارسة رقابتها عليه، الامر غير المتوفر في القضيّة.

ولكن، ماذا لو كان الدليل على الإتجار ثابتاً بموجب تصوير فيديو مجاز من قبل القضاء أو بموجب فحص علمي لمنزل المتهم ثبت خلاله وجود آلات تُستعمل للاتجار؟

لو كان الأمر كذلك، لما كان صدر قرار المحكمة بالبراءة لعدم كفاية الدليل، مع العلم أنه ثبت تعاطي المتهم للمخدرات بعد ضبط الحشيشة في حوزته، اضافة الى اقراره بالجرم مما أدى الى تجريمه بجرم تعاطي المخدرات.

وفي حكم آخر صادر عن القضاء، برّأت محكمة الجنايات المتهم من جناية السرقة الموصوفة عن طريق التهديد بالسلاح لانتفاء الدليل. اذ لا يمكن للمحكمة الاخذ باقوال المدعي كدليل في الاثبات ما لم تتعزّز بأدلة أخر. ومن صلاحية النائب العام إجراء التحقيقات الضرورية لجمع المعلومات المفيدة عن الجريمة، وعليه ان يثبت في المحاضر التي يضعها كل الاجراءات التي قام بها، كما يتوجب على الضابطة العدلية وعليه ان يدعي في الجريمة المرتكبة في حق من توافرت الادلة او الشبهات حول اسهامه في ارتكابها.

الدليل ليس رمادياً

توافر الأدلّة لا يمكن ان يكون رمادياً. فالنيابة العامة قد تدّعي أحيانا بوجه من تشتبه به فقط مجرد اشتباه. وهنا يأتي دور الدليل ليثبت امام قاضي التحقيق صحته او انتفاؤه. اذ إن وجود الدليل أو اثباته يقتضي أن يكون فعل بداية وفعل استمرار، بمعنى أنه يقتضي أن يكون دليلاً كافياً كافية لا تقبل الشك، أي صالحاً للإدلاء به طيلة

استقر الاجتهاد على عدم اعتبار كتاب المعلومات الصادر عن احد المراجع الامنية بحد ذاته دليلاً كافياً لإثبات الجرم ما لم يتعزّز مضمونه بادلة اخرى

المحاكمة وأمام جميع المراجع القضائية. وحتى أمام الهيئة الاتهامية، يجب أن يكون الدليل ثابتاً بقوة في معرض استئناف قرارات قاضي التحقيق أمام الهيئة الاتهامية التي اذا وجدت أن الادلة غير كافية للاتهام، او ان العناصر الجرمية غير متوافرة، تقرّر منع المحاكمة عن المدعى عليه.

ويقتضي دائما اتباع الوسائل المشروعة اثناء قيام الضابطة العدلية بالاجراءات التحقيقية، لهذا تصحّ الإجراءات الجنائية حين يضم فريق العمل أو حين يستعين بمن يُطلق عليهم: فريق مسرح الجريمة أو الحادثة. ولهذا، فإن القانون نص في جرائم المعاملات الالكترونية على وجوب أن يؤازر مكتب متخصص الضابطة العدلية في ضبط الادلة المعلوماتية.

وفي جرائم المعلوماتية أيضاً، يعود للمحكمة تقدير الدليل الرقمي او المعلوماتي وحجّيته في الاثبات، ويشترط أن لا يكون قد تعرّض لأي تغيير خلال عملية ضبطه او حفظه او تحليله، وفق أحكام قانون المعاملات الالكترونية. لهذا ينص قانون أصول المحاكمات الجزائية على وجوب ضبط ما يعثر عليه من مواد جرمية او أشياء ممنوعة والاستعانة بالخبرة عند الاقتضاء. ووفق المادة 47 من قانون أصول المحاكمات الجزائية، عند قيام الضباط العدليين، بوصفهم مساعدي النيابة العامة، بالمهام التي تكلفهم النيابة العامة بها وجمع المعلومات عنها والقيام بالتحريات الرامية الى كشف فاعليها والمسهمين في ارتكابها وجمع الادلة عليهم، بما يستلزم ذلك من ضبط المواد الجرمية وإجراء كشوفات حسية على اماكن وقوع الجرائم، يستعمل القانون عبارة: «وفق دراسات علمية وتقنية على ما خلفته من آثار ومعالم».

كما أن على قاضي التحقيق إطلاع المدعى عليه على الأدلة المتوافرة لديه ليتمكن من تفنيدها والدفاع عن نفسه وفق أحكام المادة 76 من القانون، وذلك يكون بمعرض مناقشة الأدلة ومقايستها. فحين يكون الدليل أمراً مادياً علمياً لا يمكن تفنيده الا بالعلم الجنائي، واذا قدّر قاضي التحقيق ان ما تجمع لديه من أدلة في الدعوى يكفي لمنع المحاكمة عنه ينهي التحقيق. فكيف يقدّر قاضي التحقيق ذلك؟ الأمر ليس استنسابياً، بل هو نتيجة تمحيص للدليل بأنه غير كاف للإدانة، وذلك يكون أيضا بالعلم، حيث يعود للمحكمة حق تقدير الأدلّة، والشك في الدليل يقتضي تفسيره دائماً لمصلحة المتهم.

الاحكام تبنى على اليقين

القاعدة التي تحكم عمل المحاكم هي أن الاحكام لا تبنى على الشك بل على الجزم واليقين، وانه يجب أن تتكون لدى المحكمة القناعة اليقينية الكاملة بنسبة الجرم الى المتهم.

أما عن كيفية شك المحكمة في الدليل، فيقع حين لا تثق المحكمة بأن الدليل المدلى به يؤدي الى اثبات تجريم المتهم. فقد اعتبرت محكمة الجنايات «أن وجود المتهم داخل التخشيبة لا يعتبر دليلاً كافياً على توافر القناعة اليقينية للمحكمة عن نية المتهم بالسرقة»، ومن جهة ثانية «عدم ثبوت ان المتهم هو من خلع وكسر اللوح البلاستيكي العائد لشباك مدخل التخشيبة»، واخيرا لسبب ان «الهدف من تقديم الشكوى ضد المتهم المفترض المتشرد هو ابعاده عن الحضور او التردد الى التخشيبة». في المجمل، اعتبرت المحكمة ان الشك يقتضي تفسيره دائما لمصلحة المتهم. (منشور على موقع الجامعة اللبنانية - مركز الابحاث والدراسات في المعلوماتية القانونية).

وفي حكم صادر عن محكمة الجنايات، لم يثبت اتهام شخص بسرقة إلا بموجب افادة صادرة عن متهم آخر لم تعزّز بأي دليل اضافي، وكانت النتيجة الحكم بالبراءة لعدم كفاية الدليل، في حين أن المحكمة نفسها حكمت بالإدانة لأنه ثبت لديها كيفية حصول السرقة بالدخول عن طريق تغيير قفل المحل، واثبات الضابطة العدلية لوقائع ودلائل وبصمات المدعى عليهم.

وفي أحد الأحكام، قضت محكمة الجنايات ببراءة المتهم بجرم تزوير وترويج عملة مزورة لعدم كفاية الدليل، اذ ان وسيلة الاثبات الاساسية في الملف كانت افادة عامل محطة المحروقات الذي لم يتمكن من التعرف إلى المتهم بشكل اكيد.

الأدلة هي الإثباتات والبيّنة، ويقتضي أن لا تقبل الشك، فإما الدليل الجنائي الدامغ وإلا البراءة للشك وعدم كفاية الدليل.

(ارشيف - مروان طحطح)
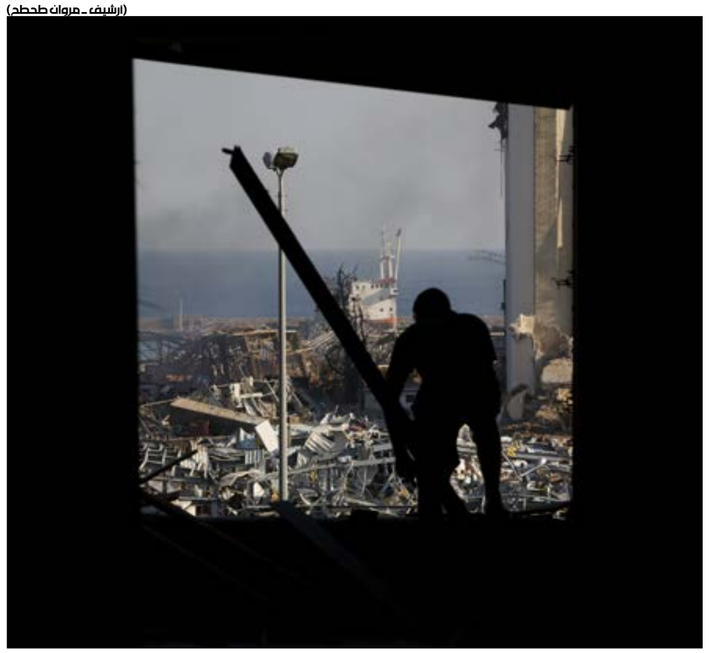

في الواجهة

متى تتحول الأسرة إلى عصابة؟

(ارشيف ـ مروان طحطح)

مع تفاقم الأزمة الاقتصادية، وانعدام القدرة على تلبية أساسيات العيش الكريم، وفي ظل فقدان الثقة العامة بسيادة القانون، بدأت بعض الأسر بـ«استثمار» أفرادها للحصول على مكاسب مادية. وبتشكيل «عصابات عائلية»، فأصبحت الروابط الأسرية «بوابة» لتجنيد أفراد العائلة في الجرائم المنظمة. وقد أظهرت الجرائم المسجلة في الآونة الأخيرة، انخراط الأم والأبناء في الأعمال الإجرامية، لا سيما جرائم النشل والسرقة وتجارة المخدرات. ونظرًا لتنوع الجريمة القائمة على الأسرة وتعقيدها، من المفترض أن تكون إجراءات العدالة الجنائية مصممة لتلائم مشكلة «الجريمة العائلية» الخطيرة ومعالجتها

■ سمر فرحات

تعاني العائلات في لبنان من وضع معيشي صعب، في ظل التدهور المستمر للأوضاع المعيشية، والغياب التام للخدمات العامة من رعاية طبية وتعليم وكهرباء ووسائل النقل وغيرها. هذا الوضع دفع بعض العائلات إلى البحث عن دخل إضافي لتلبية احتياجاتها من خلال العمل في وظائف إضافية، أما البعض الآخر فاتخذ مسلكاً مختلفاً من خلال الانخراط في نشاطات إجرامية وتشكيل «عصابات عائلية».

يجرم قانون العقوبات اللبناني العصابات، فقد نصت المادة 336 على أن «كل جماعة من ثلاثة أشخاص أو أكثر يسيرون في الطرق العامة والأرياف عصابات مسلحة بقصد سلب المارة والتعدي على الأشخاص أو الأموال أو ارتكاب أي عمل آخر من أعمال اللصوصية يستحقون الأشغال الشاقة المؤقتة مدة أقلها سبع سنوات. ويقضي عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة إذا اقترفوا أحد الأفعال السابق ذكرها. ويستوجب عقوبة الإعدام من أقدم منهم تنفيذا للجناية على القتل أو حاولهم أو أنزل بالمجني عليهم التعذيب والأعمال البربرية».

من بين هذه الحالات سيدة في الخمسين ألقت القوى الأمنية القبض عليها بعد عدة شكاوى بحقها، ليتبين من خلال التحقيقات بأنها أقدمت على سرقة أكثر من عشرين منزلاً في منطقة بيروت بالتعاون مع ابنها العشريني. بعدما كانت تدخل المنازل بهدف التنظيف، كانت فتسهّل بذلك دخول ابنها لسرقة ما تيسر له من أموال ومجوهرات. أما «محمد» الذي يقيم مع عائلته المؤلفة من 6 أشخاص في البقاع، فيدير مع والده وأبناء عمومته شبكة لسرقة السيارات وبيع قطعها. يقول محمد - الذي لم يحظ بفرصة التعليم - أنه لم يسع للبحث عن عمل «فالمكسب هنا وفير وبالدولار». «أمير» طفل الأحياء العشوائية ابن التسع سنوات، ينقل «كميات صغيرة» من المخدرات مع إخوته، وبالنسبة للعائلة هذا هو الدخل الأساسي للأسرة، بعدما حُكم على رب العائلة بالسجن بسبب اتجاره بالمخدرات.

هذه الأفعال الجرمية وغيرها تفتح النقاش حول التغييرات التي طرأت على الأسرة التي يفترض أنها المؤسسة الأولى المنتجة للقيم والمبادئ لأفرادها، والتي تتحول في بعض الأحيان إلى مؤسسة منتجة للجريمة بكافة أشكالها. فهل الوضع الاقتصادي المتردي هو العامل الوحيد الذي يشكل هذا السلوك الجنائي أم أن هناك عوامل أخرى؟

أعادت الأزمة الاقتصادية تشكيل حياة اللبنانيين وأنماط حياتهم، ولم تسلم كافة الطبقات من ارتدادات هذه الأزمة. إلا أن الطبقة الوسطى والفقيرة كانت أكثرها تأثراً بعدما فقدت الرواتب 90% من قيمتها ليجد بعض اللبنانيين أنفسهم أمام خطر الفقر المدقع، بعدما اعتادوا لفترات طويلة على نمط حياة معينة في ظل استقرار الليرة وانتعاش نسبي في الحركة الاقتصادية والقدرة على الاقتراض من المصارف.

تشير الباحثة في الأنثروبولوجيا، ليلى شمس الدين، إلى أن هناك صلة بين البطالة والانخراط بالأفعال الجرمية، إنما هناك تباينات في مستوى هذه الجرائم وتصنيفها. فهناك جرائم توضع تحت عنوان السرقات وتجارة المخدرات وأغلبها يكون لمكاسب سريعة. لذا يمكن القول، بحسب شمس الدين، إن ارتفاع معدل البطالة في لبنان إلى 40% على المستوى الوطني و35% على مستوى الشباب أسهم في ارتفاع معدلات السرقات والإتجار بالمخدرات.

من جهة أخرى، تؤكد شمس الدين أن الأزمة السياسية الاجتماعية تسهم في جنوح البعض نحو ارتكاب الجرائم، فغياب الضمانات والتامينات للأشخاص وعدم توافر حماية من مسكن، وغذاء وتعليم يدفعهم نحو المزيد من الأفعال غير المشروعة.

يتمثل القانون في احترام سلطة «زعيم العشيرة» أو «تاجر المخدرات» وتنفيذ أوامره طمعاً في الحصول على نوع من الحماية الاجتماعية والاقتصادية

عصابات اسرية؟

تمثل الأسرة الركيزة والبنية الأولى التي تعمل على غرس القيم والمبادئ لأفرادها. وهي بطبيعة الحال المسؤول الأول عن حماية أبنائها من الأخطار التي قد تواجههم. فهل من مبرر يعطي بعض الأهل تعريض حياة أولادهم للخطر أو السجن من خلال انخراطهم في أعمال غير مشروعة؟ لا شك في أن التنشئة الاجتماعية السليمة تلعب دوراً هاماً في بناء الشخصية السوية، وتؤمن نوعاً من الحماية الذاتية التي تجعل الأشخاص قادرين على التمييز بين الخير والشر. لكن إذا ما أخذنا في الاعتبار الظروف التي تحكم بعض المناطق في لبنان خصوصاً المناطق المهمشة التي تفتقر إلى أدنى مقومات الحياة بعدما غابت عنها خطط التنمية وترك أبناؤها لمصير مجهول، فإن هذه العوامل مجتمعة تمثل أرضاً خصبة لبناء شخصية يصبح مقياس العدالة بالنسبة إليها يوازي معدلات الفقر والحرمان. أما القانون وسلطته فيتمثلان في احترام سلطة «زعيم العشيرة» أو «تاجر المخدرات» وتنفيذ أوامره طمعاً في الحصول على نوع من الحماية الاجتماعية والاقتصادية.

وهكذا، فإن تربية الأبناء على كسر هيبة القانون يدفعهم إلى ارتكاب أعمال تبدو من وجهة نظرهم مشروعة، وتصبح الجريمة وسيلة للبقاء على قيد الحياة. ويتحول هؤلاء إلى ضحايا لعائلاتهم ومجتمعهم. فبحسب شمس الدين «أطفال مرتكبي الجرائم المنظمة يكبرون ويتربون على قواعد وقيم مختلفة عن الآخرين وبتنشئة اجتماعية تعتبر أن العنف حل طبيعي للمشكلات».

شركاء موقوف بهم

تتطلب الجريمة المنظمة أن يتعاون الجناة مع شركاء موثوق بهم. لتحديد وتجنيد الجناة الجديرين بالثقة، يميل الجناة إلى تفضيل الأشخاص الموجودين بالفعل في شبكاتهم الاجتماعية العائلية كالزوجة والأبناء والكنة والصهر. إذ يمكن لأفراد الأسرة أيضاً تجنيد بعضهم البعض بشكل أكثر نشاطاً في الجريمة المنظمة. وهذا يعني أن العائلات الإجرامية قد تكون نتاج عمليات متأصلة في الجريمة المنظمة، فتكون الروابط الأسرية هي البوابة لتجنيد الأفراد في عصابات منظمة.

الإجرام ... موروث؟

في العائلات الإجرامية، يتعرض كل جيل جديد لخطر «وراثة» السلوك الإجرامي لوالديه. فمن المرجح أن يشارك الأطفال الذين ينشأون في مثل هذه الأسر، في مرحلة ما، في المشروع الإجرامي لأسرهم، وأحياناً في سن مبكرة. لذلك تواجه سلطات إنفاذ القانون مشكلة مزدوجة. فمن ناحية، هي بحاجة إلى منع أفراد العائلات الإجرامية النشطين من ارتكاب (المزيد) من الجرائم؛ من ناحية أخرى، عليها منع العائلات الإجرامية من العمل كحاضنات للمجرمين الجدد.

سمعة العائلة

سمعة العائلة، ويشكل أكثر تحديداً ما قد تسببه من «تصنيف» labelling، قد تكون عامل خطر كبيراً لانتقال الإجرام بين الأجيال. فالنشأة في أسرة إجرامية لا تزيد فقط من احتمالية تبني السلوكيات الإجرامية، بل تزيد من المواقف المتحيزة والأحكام المسبقة للمحققين من احتمالية الإدانة والتجريم.

يمكن لسمعة العائلة أيضاً أن تغرس شعور «الخوف من الانتقام» لدى الضحايا والشهود، مما يؤدي إلى عدم التبليغ والادعاء التي بدورها تسهل الحياة المهنية الإجرامية. كما يمكن أن تؤدي سمعة العائلة إلى التمييز والاستبعاد، على سبيل المثال عندما يتردد أرباب العمل في توظيف شخص يحمل اسم عائلة معينة.

متابعة

هل يستدعي إصلاح السجون توجيهاً دستورياً؟

■ عمر نشابة

إن فشل السجون في إصلاح أو ردع السلوك الجرمي يؤدّي إلى حلقة مفرغة من الظلم والهدر والفساد، إذ إن الهدف الأساسي من عقوبة المنع من الحرية والاحتجاز في مؤسسة سجنية هو حماية المجتمع والناس وأرزاقهم والحق العام. فإذا فشلت السجون في الحماية وعاد الشخص المعاقب إلى ارتكاب الجرم بعد اكتسابه مهارات إضافية خلال مدة السجن، وبعد تعرّفه إلى عدد من المجرمين المحترفين خلف القضبان، ستزيد صعوبات الشرطة في التعامل معه من جديد، وستعود المحكمة إلى الانعقاد بقضاتها ومحاميها وموظّفيها. وبما أن السجون ما زالت على حالها، فقد يكرر الشخص الجريمة للمرة الثانية والثالثة والرابعة... فهل يستدعي إصلاح السجون توجيهاً دستورياً؟

صحيح أن وزارة الداخلية والمديرية العامة لقوى الأمن الداخلي تمكّنتا، بمساعدة وزارة الصحة العامة وبعض المنظمات الدولية، من التعامل باحتراف ومهنية عالية مع مخاطر انتشار وباء كوفيد 19 في السجون ولم تسجّل وفيات كما كانت الحال في بعض الدول الأوروبية (ويدل ذلك على قدرة قوى الأمن على تخطي الصعوبات لدى تأمين الموارد اللازمة وإذا توفّرت الإرادة السياسية من قبل الحكومة ومجلس النواب). لكنّ الإرادة السياسية التي تشكل الشرط الأساسي لوضع السجون على سكة الإصلاح غائبة. فلا يكفي أن يتخذ مجلس الوزراء قراراً بتكليف وزير العدل التنسيق مع وزير الداخلية لوضع آلية لنقل صلاحية الإشراف على السجون إلى وزارة العدل (القرار رقم 56 تاريخ 2-8-2011)، كما لا يكفي أن يوافق المجلس على استحداث المؤسسة العقابية (منذ عشر سنوات كما بيّنّا في «القوس»، 8-10-2022)، بل يفترض أن يكون مجلس الوزراء مقتنعاً بأن المشكلة الأساسية ليست في تحديد صلاحية الإشراف على السجون أو في إنشاء مؤسسة عقابية، وأن السبب الأساسي لعدم إصلاح السجون هو غياب الإرادة والتصميم الجدّي. إذ لم يتكوّن لدى معظم المسؤولين في الدولة مفهوم واضح للسياسة العقابية الحديثة ولم يقتنعوا، على ما يبدو، بأن السلوك الجنائي وليد خلل في البيئة الاجتماعية. كما لا يتفق معظم الرؤساء والنواب والوزراء والمدراء والقضاة والضباط والموظفين على أن العقوبة التي يفرضها القانون لا يجوز أن تكون غير إنسانية. والجزء الأكبر منهم لا يبدو مقتنعاً بأهمية إعادة التأهيل وإصلاح السلوك الجنائي، ربما لأنهم على يقين بأن من يرتكب جناية إنما يرتكبها بسبب «طبيعته» وخياره، ولا علاقة حاسمة للبيئة التي نشأ فيها أو الظروف التي يمر بها بسلوكه وأفعاله.

بعد مراجعة أوضاع السجون وبرامج إعادة التأهيل في عدد من دول حوض البحر المتوسط، تبين أن السجون في إيطاليا، مثلاً، تعاني من مشاكل عديدة. غير أن المساعي الحكومية لإصلاح السجون وتحسين أوضاع السجناء لا يفترض أن تتوقف، وعلى الحكومات القيام بما يلزم لتطوير عمل السجون، وأن ذلك يكون في إطار توجيه دستوري. فبحسب المادة السابعة والعشرين من الدستور الإيطالي، «لا يجوز أن تكون العقوبات غير إنسانية، ويجب أن تهدف إلى إعادة تربية المدانين». وبالتالي، فإن أي عقوبة سجنية أو غير سجنية لا تهدف إلى «إعادة تربية» مرتكبي الجرائم، تُعد مخالفة للدستور. وبناءً عليه، يمكن لمجلس النواب محاسبة الحكومة بموجبه. والمقصود بإعادة التربية هو تصحيح السلوك الجنائي من خلال البرامج التربوية وبرامج إعادة التأهيل والبرامج العلاجية لمدمني المخدّرات ولمرتكبي الجرائم الذين يعانون من أمراض أو اضطرابات نفسية.

صحيح أن الدستور اللبناني يشير إلى أن لبنان يلتزم بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وبالتالي لا يجوز أن تكون العقوبات «غير إنسانية»، وصحيح أن المادة الثامنة من الدستور تذكر أن «الحرية الشخصية مصونة وفي حمى القانون ولا يمكن أن يُقبض على أحد أو يُحبس أو يوقف إلا وفاقاً لأحكام القانون، ولا يمكن تحديد جرم أو تعيين عقوبة إلا بمقتضى القانون»، إلا أن مرسوم تنظيم السجون (المرسوم 49/14310) لا يشير بشكل واضح إلى الهدف الأساسي من عقوبة السجن، ولا يضع إعادة تربية وتأهيل السجناء المحكومين في أعلى سلّم الأولويات. أضف إلى ذلك أن المادة الثامنة ترد تحت الفصل الثاني من الدستور، وهي بعنوان «في اللبنانيين وحقوقهم وواجباتهم»، فقد يُفهم من ذلك أنها تخص المواطنين اللبنانيين وحدهم ولا تعني الأجانب.

إن إضافة جملة مقتضبة إلى نص الدستور اللبناني تكون بمثابة توجيه دستوري واضح بأن الهدف من العقوبة السجنية هو إصلاح سلوك السجين الجنائي وإعادة تأهيله تمهيداً لإعادته إلى المجتمع مواطناً صالحاً، قد تلزم الحكومات المقبلة بتنفيذ القرارات التي قرّرتها الحكومات السابقة لإصلاح السجون، فيكون استحداث المؤسسة العقابية بداية الطريق لإصلاح الخلل المستمر منذ عشرات السنين.

الدستور الإيطالي: لا يجوز أن تكون العقوبات غير إنسانية ويجب أن تهدف إلى إعادة تربية المدانين

آمرو السجون يتولون مهام النيابات العامة

صدر عن النائب العام لدى محكمة التمييز القاضي غسان عويدات قرار بـ«تعليق العمل بأذونات مواجهة الموقوفين في السجون والنظارات كافة التي تصدرها النيابات العامة وذلك خلال مدة اعتكاف القضاة».

وكلف عويدات «كل آمر سجن أو نظارة بتخصيص يومين في الأسبوع على الأقل لمواجهة الموقوفين»، كما أجاز لهم «إعطاء إذن مواجهة لوكيل الموقوف أو لأنسبائه من دون مراجعة النيابة العامة المختصة، باستثناء الموقوفين الممنوعين من الاتصال بقرار قضائي من المرجع الواضع يده على الدعوى». (القرار رقم 197/ص/2022 في تاريخ 2022/10/13)

وجاء قرار القاضي عويدات بهدف التخفيف من الضغط ولتسهيل معاملات المحامين وذوي السجناء. علماً أن منح ضباط قوى الأمن صلاحيات تعود الى السلطة القضائية لا يتناسب مع الأصول في التعامل مع السجناء وفي إدارة التحقيقات، وقد تكون له نتائج سلبية على المدى الطويل.

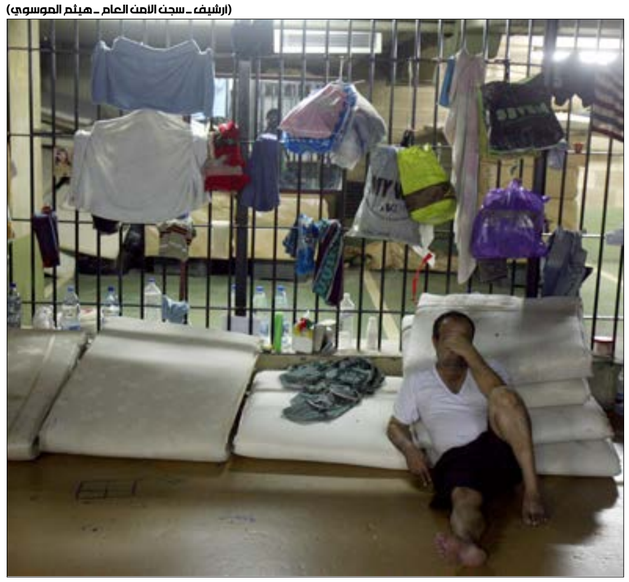
(ارشيف ـ سجن الامن العام ـ هيثم الموسوي)

قصور العدل في لبنان

يوجد في كل محافظة قصر عدل ويتبع له قضاة منفردون في كل قضاء

القصر العدلي يضم

- محكمة استئناف لبنان الشمالي (8 غرف)
- النيابة العامة الاستئنافية في لبنان الشمالي
- دائرة التحقيق في لبنان الشمالي
- محكمة الدرجة الأولى في لبنان الشمالي (3 غرف)
- قضاة المنفردون في لبنان الشمالي (طرابلس، حلبا-القبيات، زغرتا-اهدن، بشري، أميون، سير الضنيه-المنيه، البترون-دوما)
- محكمة استئناف البقاع (6 غرف)

القصر العدلي يضم

- محكمة استئناف جبل لبنان (11 غرف مركزها بعبدا، 5 غرف مركزها جديدة المتن، 1 غرفة مركزها المتن)
- النيابة العامة الاستئنافية في جبل لبنان
- دائرة تحقيق لبنان
- غرف محكمة درجة اولى في جبل لبنان (4 غرف مركزها 5 غرف مركزها جديدة المتن)
- قضاة المنفردون في جبل لبنان (بعبدا، المتن، جونية، قرطبا، عاليه، بعقلين، دير القمر، الدامور-شحيم)
- القاضي العقاري والقاضي العقاري الإضافي في جبل لبنان (مركزه بعبدا)

القصر العدلي يضم

- محكمة التمييز بيروت (10 غرف)
- محكمة استئناف بيروت (15 غرف)
- النيابة العامة الاستئنافية في بيروت
- دائرة التحقيق في بيروت
- القضاة المنفردون في بيروت

القصر العدلي يضم

- النيابة العامة الاستئنافية في البقاع
- دائرة التحقيق في البقاع
- محكمة الدرجة الأولى في البقاع
- قضاة المنفردون في البقاع (زحلة، بقاع غربي صغبين-جب جنين، بعلبك-دير الأحمر، الهرمل-راس بعلبك)
- قاضي عقاري وقاضي عقاري اضافي في البقاع

القصر العدلي يضم

- محكمة الاستئناف النبطية (3 غرف)
- النيابة العامة الاستئنافية في النبطية
- دائرة التحقيق في النبطية
- غرفة محكمة الدرجة الأولى في النبطية
- القضاة المنفردون في النبطية (نبطية، مرجعيون، حاصبيا، تبنين-بنت جبيل)
- قاضي عقاري وقاضي عقاري اضافي في محافظة النبطية

القصر العدلي يضم

- محكمة استئناف الجنوب (5 غرف)
- نيابة العامة الاستئنافية في الجنوب
- دائرة التحقيق في الجنوب
- محكمة الدرجة الأولى في الجنوب (2 غرف)
- القضاة المنفردون في الجنوب (صيدا، صور-جويا، جزين)
- قاضي عقاري وقاضي عقاري اضافي في محافظة الجنوب

بعض المشكلات التي تعاني منها قصور العدل

- غياب المكننة وتكديس الملفات في المستودعات ما يسفر عن فقدانها
- عدم وجود طوابع
- غياب التيار الكهربائي والمياه
- تكدس النفايات وغياب ادنى معايير النظافة
- حمامات قصور العدل خارجة عن الخدمة
- عدم وجود ادوات مكتبية ومحابر للطباعة

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous | al_qaous | alqaous22 | alqaous | 01/34 99 54
info@alqaous.com | www.alqaous.com